

التَّغْيِيهِ الْمُبِينُ

ألفه وكتبه :
الفقير إلى عفو ربه

الدكتور / عبد الرحمن بن حسن النفيسة

صاحب

مجلة البحوث الفقهية المعاصرة

المجلد السابع

(ح) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النفيسه ، عبد الرحمن بن حسن

التفسير المبين. / عبد الرحمن حسن النفيسه . - الرياض ، ١٤٢٩هـ

۷ مج

ردمك : ٧-٠-٣٠-٩٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

(٧ج) ٩٧٨-٦.٣-٩.٣-٨-٣

١- القرآن - التفسير الحديث أ. العنوان

ديوي ۲۲۷,۶ ۱۴۲۹ / ۳۶۱۴

رقم الايداع : ١٤٢٩ / ٣٦١٤

ردمك : ٧-٠-٣٠-٩٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

(۷ج) ۹۷۸-۶.۳-۹.۰.۳.۰-۸-۳

جميع الحقوق محفوظة

لـ «مجلة

البحوث الفقهية المعاصرة»

المملكة العربية السعودية - الرياض

يطلب هذا التفسير وكتب المؤلف من

الدار التدمرية للنشر والتوزيع بالرياض

هاتف: ٤٩٢٤٧٠٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة العنكبوت

مكية وآياتها تسع وستون آية

﴿الْم ١﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ
 ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ
 الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا
 يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾

بيان الآيات:

﴿الْم﴾ الله أعلم بمراده ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ هذا استفهام إنكاري، والمراد أن على المؤمن أن يعرف أنه قد يفتن في دينه ويمتحن فيه؛ لأن حكمة الله اقتضت أن يختبر عباده ويبتليهم، بيظهر من هو منهم المؤمن الصادق الذي لا تغيره الفتن والمحن فيثبت على إيمانه، ومن هو الذي تؤثر فيه الفتن فينكفي على عقبيه كما قال عز وجل ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾^(١).

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٢ .

الْكَذِبِينَ ﴿٦﴾ أي: قد فتننا من قبل الأمم السابقة فظهر من هو المؤمن ومن هو الكافر منهم ﴿٧﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا ﴿٨﴾ أي: أظن الذين عملوا المعاصي وارتكبوا المحرمات أن يفوتونا فلا نجازيهم على أفعالهم السيئة ﴿٩﴾ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٠﴾ أي: بئس ما يظنون.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن المؤمن يفتن في دينه فيعرض للسراء والضراء والعسر واليسر والضيق في العيش وغير ذلك من أنواع البلاء والفتن، وقد جاء في الحديث: (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلماً اشتد بلاءه)^(١). وفيها: أن الابتلاء بالفتن من سنن الله في خلقه، فقد فتنن الأمم من قبل؛ ليعلم الله من هو الصادق منهم في دينه ومن هو الكاذب فيه. وفيها: تقرير أن الذين يعملون السيئات لن يفلتوا من حساب الله على أفعالهم.

﴿١١﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

(١) سنن الترمذي ج ٤ ص ٥٢٠، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، برقم (٢٣٩٨)، وقال هذا حديث حسن صحيح، وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٣٤، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، برقم (٤٠٢٣).

﴿٥﴾ وَمَنْ جَاهِدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

بيان الآيات:

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ أي: من كان يرجو
ويطمح في لقاء الله رجاء ما عنده من الثواب لعباده المؤمنين، فإن
لقاء الله في الدار الآخرة آتٍ لا محالة، وسوف يحظى بما يرجوه
ويؤمله من ربه عند لقائه ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ المطلع على
نوايا عباده وأحوالهم ﴿وَمَنْ جَاهِدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ أي: إن
من جاهد الهوى والشيطان وتوكل على الله وعمل الصالحات، فإن
نفع جهاده هذا عائد له؛ لأن الله سوف يجازيه عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ
عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ أي: إنه عز وجل غني عن أعمال عباده، فلا تنفعه
طاعتهم ولا تضره معصيتهم.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ المراد
أن الذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات من صلاة وزكاة وصيام وغيرها
من الأعمال الصالحة سوف يكفر الله سيئاتهم ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ
الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: يضاعف لهم الحسنات بعشر أمثالها.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الذي يعمل الصالحات ويتطلع إلى لقاء الله، فإن لقاء الله آتٍ لا شك فيه فيحبه ويجازيه على أعماله وفي الحديث (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه)^(١). وفيها: أن نفع العمل يعود إلى صاحبه وحده؛ لأن الله غني عن عبادته. وفيها: وعد الله - ووعد الحق - أنه سيكفر سيئات عباده إذا آمنوا وعملوا الصالحات، وسوف يجازيهم على أعمالهم باضعاف الحسنات.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ هذا بيان من الله أنه أمر الإنسان ببر والديه والإحسان إليهما وطاعتهما قولاً وعملاً في السراء والضراء ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ أي: وإن طلب إليك والداك المشركان أن تكون معهما على دينهما فلا تطعهما ﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: ستعودون

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١١ ص ٣٦٤، كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، برقم (٦٥٠٧).

إلى يوم القيامة فأجازي كلا بعمله، وقد نزلت هذه الآية - كما سبق ذكره - في سعد بن أبي وقاص وأمه حمنة بنت أبي سفيان، فلما أسلم قالت له: ما هذا الذي فعلت؟ والله لا أكل ولا أشرب حتى تعود إلى ما كنت عليه من دين آبائك أو أموت فيكون ذلك سبة لك أبد الدهر بأنك قتلت أمك، ثم مكثت يوماً وليلة لم تأكل ولم تشرب فأصبحت وقد أجهدتها الجوع والعطش، ثم مكثت يوماً آخر على تلك الحال فأتاها سعد وقال: يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت واحدة بعد الأخرى ما تركت ديني، فكلي إن شئت، وإن شئت فلا تأكلي فلما عرفت صلابته ويئست من رجوعه عن دينه أكلت وشربت^(١).

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾

المراد بهم الذين آمنوا بالله قولاً وعملاً فأحلوا ما أحل وحرموا ما حرم وصدقوا رسوله واتبعوه، وفي الإجمال: عملوا الأعمال الصالحة من الصلاة والزكاة والصيام والصدقة وذكر الله، فهؤلاء قد تعهد الله بأن يكونوا مع الصالحين من الأنبياء والصديقين والشهداء.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بوجوب بر الوالدين والإحسان إليهما، وهذا الوجوب قضاء قضاءه الله في قوله عز ذكره ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٥٤٦-٥٤٧، وتفسير البغوي ص ٩٩٢.

أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴿١﴾. وهذا البر مقيد بكونهما مسلمين، فإن لم يكونا كذلك وجبت مصاحبتهما بالمعروف كما قال عزوجل ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ ﴿٢﴾. وفيهما: وعد الله للمؤمنين الذين عملوا الصالحات أن يكونوا في زمرة الأنبياء والصديقين والشهداء.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ ۗ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ ﴿١١﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ أي: أن هناك فريقاً من الناس يدعي الإيمان فإذا جاءه أذى بسبب دينه ﴿جَعَلَ فِتْنَةً النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ أي: فيرتد حينئذٍ عن دينه لزعمه أن هذا الذي حدث له ما أصابه إلا بسبب هذا الدين ﴿وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ أي: إذا جاء نصر من الله لنبيه والمؤمنين

(١) سورة الإسراء من الآية ٢٣ .

(٢) سورة لقمان من الآية ١٥ .

ورأى الغنائم والمكاسب تقرب إليهم قال: أنا من إخوانكم ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ أي: أن الله أعلم بما يعلنون وما يسرون في قلوبهم.

﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ أي: ومن حكمته أن يبتلي الناس في دينهم؛ ليعلم من هو المؤمن الصادق في إيمانه، ومن هو المنافق الذي يبدي الإيمان، وهو على خلافه من الكفر والنفاق.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بضلال المنافقين وسوء عاقبتهم كما قال عز وجل ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(١). وقوله عز ذكره ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمُ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ

(١) سورة الحج الآية ١١ .

(٢) سورة النساء من الآية ١٤١ .

﴿١٢﴾ وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾

بيان الآيتين:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ المراد بهم كفار قريش، فقد قالوا للذين آمنوا برسول الله ﷺ وصدقوه ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ﴾ أي: اتركوا دين محمد واثبتوا على ديننا وإذا كان لكم ذنوب سوف نحمّلها عنكم فكذبهم الله بقوله ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: أن ما قالوه كذب وزور، فلا هم ولا غيرهم يحمل خطايا أحد، بل توفي كل نفس ما عملت. ولما قالوا هذا الكذب بين عز وجل أنهم سوف يحملون أوزارهم وخطاياهم، وخطايا وآثام من صدوهم وأضلوهم عن سبيل الله فقال ﴿وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ وقوله ﴿وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: سوف يقفون أمام الله فيسألهم عن كذبهم وافتراءهم ثم يجزيهم بالعذاب.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بأن أحدا لا يحمل خطايا غيره كما قال الله عز وجل ﴿وَأَن تَدْعُ مَثْقَلَةً إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ

ذَاقُ رَبِّي ﴿١﴾. وقوله عز ذكره ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ ﴿٢﴾. وفيهما: أن من صد عن سبيل الله سوف يحمل وزره ووزر الذي أضله فيكون جزاؤه مضاعفا، وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا) ﴿٣﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ﴿١٤﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾

(١) سورة فاطر من الآية ١٨ .

(٢) سورة فاطر من الآية ١٨ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، برقم (٢٦٧٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٧٤٩ .

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ لما ذكر الله ما كان رسول الله ﷺ يلاقيه من العنت والتكذيب من قومه بين له أن نبيه نوحا قد عانى من قبله مع قومه ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ أي: مكث يدعوهم هذه المدة الطويلة إلى عبادة الله وحده، وقد كذبوه حتى دعا عليهم ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ أي: أغرقهم الله بالطوفان؛ بسبب ظلمهم والمراد لا تأس يا محمد على قومك، وفي هذا تسلية له عليه الصلاة والسلام وتثبيت له ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ﴾ أي: نجاه الله ومن كان مؤمنا به من الطوفان ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ أي: جعلنا حادثة السفينة عبرة للعالمين، يعتبرون بها على مرور الزمن؛ ليدركوا ما يؤول إليه الظالمون.

﴿وإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ لما ذكر الله دعوة نوح عليه السلام لقومه إلى عبادة الله وحده ذكر أن إبراهيم دعا نفس هذه الدعوة بقوله ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾ أي: اعبدوه وحده وأخلصوا له هذه العبادة ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: أن في هذه العبادة الخير لكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما فيه الخير وما فيه الشر لكم ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ أي: تعبدون أصناما لا تنفعكم

ولا تضرکم، وتنسون عبادة خالقکم ورازقکم ومحییکم وممیتکم ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاً﴾ أي: تفترون الکذب فتجعلون هذه الأصنام آلهة تعبدونها من دون الله دون أن تدركوا بعقولکم أنکم تکذبون على أنفسکم وعلى غیرکم بعبادتها ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُم رِزْقًا﴾ أي: أن هذه الأصنام التي تعبدونها لا تغنيکم بشيء من الرزق وغيره من أمور الدنيا أو الآخرة ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ أي: اطلبوا أرزاقکم من عند الله؛ لأنه هو الذي يملكه وحده ﴿وَاعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ﴾ أي: وحدوه واعبدوه واشكروه على ما رزقکم ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: سوف تعودون إليه يوم القيامة؛ ليحاسبکم على أعمالکم.

﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ المراد هنا أهل مكة والمعنى إن کذبتُم محمدا فقد کذبت أمم من قبلکم رسلهم کقوم نوح وإبراهيم وهود وصالح ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي: ليس على محمد شيء من أمركم إلا إبلاغکم الرسالة وبيانها لکم، أما حسابکم فأمره إلینا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن نوحا مکث يدعو قومه مدة طويلة، ومع ذلك کذبوه وعصوه وفي ذکره عزوجل

لهذا تسلية له مما عاناه من قومه. وفيها: أن الهلاك عاقبة الظالمين، وهو ما حدث لقوم نوح من إغراقهم بالطوفان ونجاته ومن كان معه من المؤمنين. وفيها: الحكم بتحريم عبادة غير الله وإن الذين يتخذونها آلهة هم كذابون ومفترون وفيها: تقرير أن الأصنام لا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا، وأنها مخلوقة مربوبة، وأن الرزق يجب أن يطلب من الله؛ لأنه القادر عليه وحده. وفيها: أن على العباد وجوب شكر الله وحده على نعمه. وفيها: تهديد المشركين من أهل مكة وأن ما أصاب الأمم التي سبقتهم من العذاب قد يصيبهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَكْفُرُونَ بِرَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

بيان الآيات:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ استفهام إنكاري ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾

ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴿١٧﴾ المراد هنا تقرير حقيقة البعث والإنكار على من يكذب به والمعنى: ألم ير هؤلاء المكذبون بالبعث أن الله أنشأهم من العدم إلى الوجود، وأن من كان قادرا على هذا الإنشاء قادر على إعادته من جديد، فيبعثهم من قبورهم؛ ليعودوا إليه كما بدأ خلقهم أول مرة ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: لا يصعب ذلك عليه أبدا ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ أي: قل يا محمد للذين كذبوا من قومك بالبعث والجزاء: أخرجوا من قريبتكم وسيروا في الأرض؛ لتروا كيف خلق الله خلقه وسخر لهم ما في الأرض من البحار والأنهار والأشجار وسائر النبات، وهو ما لا يقدر عليه إلا هو ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ أي: بعد هذه النشأة الأولى ينشئ النشأة الآخرة وهي بعث الخلق يوم القيامة من جديد ليجازيهم على أعمالهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: هو القادر وحده على إنشاء الخلق ثم إماتتهم ثم إحيائهم.

﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ المراد أنه حينما يبعث الخلق من جديد يعذب من كان كافرا بما جاءه من البينات ويرحم من كان مؤمنا ومصدقا بما جاءه منها ﴿وَالِيَهُ تُقْلَبُونَ﴾ أي: ترجعون إليه يوم القيامة ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي: لستم أيها الخلق الموجدون في السماء والأرض بمعجزين الله في بعثكم

بعد موتكم ﴿وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ أي: ستجدون يوم القيامة أنه ما من ولي يواليكم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ينصركم من دون الله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ﴾ أي: إن الذين جحدوا آيات الله وكذبوا بها وأنكروا البعث ﴿أُولَٰئِكَ يَكُونُ مِنْ رَّحْمَتِي﴾ وذلك بسبب جحودهم وتكذيبهم ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: استحقوا بذلك العذاب الشديد.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب التفكير في خلق الله الخلق في نشأتهم الأولى حيث خلقهم من العدم إلى الوجود، والاستدلال بذلك على الإيمان به كما قال عز وجل ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١). وفيها: الحكم بأن الله كما أنشأ الخلق أول مرة سوف ينشئهم النشأة الآخرة ليوم الحساب والجزاء. وفيها: الحكم بعجز المخلوقين، وأنه لا ولي يواليهم ولا ناصر ينصرهم من دون الله. وفيها: تقرير يأس الكافرين من رحمة الله بسبب كفرهم وتكذيبهم بآياته.

﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَقْتُلُونَهُ أَوْ حَرِّقُونَهُ فَأَنْجَاهُ

(١) سورة آل عمران الآية ١٩٠.

اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾

بيان الآيتين:

﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ لما قال إبراهيم لقومه: اعبدوا الله واتقوه واتركوا عبادة الأصنام ودحض حجتهم الباطلة في عبادة الأصنام قال بعضهم لبعض - كما سبق ذكره - ما لنا إلا أن نقتله أو نحرقه للخلاص منه فأوقدوا له نارا عظيمة فألقوه فيها ﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ حيث تحولت إلى برد وسلام عليه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: عبرة للمؤمنين الذين يعرفون قدرة الله ويؤمنون بما جاءت به رسله من البينات الموجبة لعبادته وحده.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: قال إبراهيم لقومه: لقد اتخذتم أوثانكم وقمتم على عبادتها محبة ومودة وتعظيما لها ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ أما يوم القيامة فسوف تتغير علاقتكم

ومحبتكم فيتبرؤون منكم وتتبرؤون منهم ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ أي: تلعنونهم ويلعنونكم ﴿وَمَأْوَنُكُمْ النَّارُ وَمَالُكُمْ مِّنْ نَّصِيرٍ﴾ أي: ما تجدون إلا الخسران والندامة وسوء المنقلب والعذاب الأليم.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: بيان أن الطغاة حينما يعجزون عن الحجج والبراهين التي تؤيد ضلالهم يلجأون إلى معاقبة الداعين لهم من الرسل والدعاة والمصلحين ظنا منهم أن ذلك ينقذهم مما هم فيه من الضلال. وفيهما: أن العلاقة والمودة بين عبدة الأصنام وأصنامهم تنقلب يوم القيامة إلى عداوة، فيتبرأ بعضهم من بعض كما قال عز وجل ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ (١). ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِي فَنَتَّبِعَ لِمِثْلِهِ مَا كُنَّا مِنَ الْخَائِبِينَ﴾ (٢). وقالوا: لو أننا كنا نعلم ما كان لهم من العذاب، لكانوا يتبعون ما كان لهم من الهدى. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِي فَنَتَّبِعَ لِمِثْلِهِ مَا كُنَّا مِنَ الْخَائِبِينَ﴾ (٣).

﴿فَأَمَّا لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٦) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾

(١) سورة البقرة الآية ١٦٦ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٦٧ .

وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ



بيان الآيتين:

﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ﴾ وهو ابن أخيه هاران ولم يؤمن من قوم إبراهيم إلا هو وزوجته سارة ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ لما رأى إبراهيم عليه السلام عدم إيمان قومه به في العراق هاجر إلى الشام ليجدد الدعوة إلى الله بتوحيده وطاعته قائلاً ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: هو الذي يعز دينه وينصره وهو الحكيم في تدبيره ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ أي: لما ترك قومه وأرضهم وهبه الله الولد من زوجته سارة وهو إسحاق وولد لإسحاق يعقوب كما قال عز وجل ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾^(١). أما إسماعيل فقد ولد له من قبل من أمه هاجر ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ أي: كان من ذريته الأنبياء الذين أنزلت عليهم الكتب وهي: التوراة على موسى، والزبور على داود، والإنجيل على عيسى، والقرآن أنزل على رسول الله محمد ﷺ وهو من ذرية إسماعيل بن إبراهيم ﴿وَعَاطَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ أي: بما أنعم الله به عليه من الرزق في مكان هجرته ومحبة الناس له واتباعهم لما

(١) سورة هود من الآية ٧١.

أنزل على ذريته من الكتب ومنها القرآن الكريم ﴿وإنه في الآخرة
 لمن الصالحين﴾ أي: ممن أنعم الله عليهم بكرامته في الدار الآخرة.
أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير وجوب الهجرة عندما يجد المرء نفسه
 في قوم يشركون بالله ويكفرون به ويؤذونه في دينه فلا يستطيع
 القيام به كما يجب عليه. وفيهما: أن الهجرة في سبيل الله تكون سببا
 لحصول نعم الله وثوابه كما قال عز وجل ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ
 وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(١).

﴿وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا
 سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(٢٨) أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ
 الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ
 جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ
 الصَّادِقِينَ^(٢٩) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ^(٣٠) ﴿

بيان الآيات:

﴿وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ هذا بيان من الله لنبيه ورسوله

(١) سورة النساء من الآية ١٠٠ .

محمد ﷺ عن إنكار لوط عليه السلام ما كان يفعله قومه من الفواحش القبيحة التي لم يأتها أحد قبلهم من الأمم وهي إتيانهم الذكران وترك ما أحل الله لهم من الزوجات بقوله ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿أَيِّنْكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ﴾ أي: أنكم تأتون الرجال في أدبارهم، وتعتدون على المارة بإرغامهم على فعل الفاحشة فيهم ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ﴾ أي: ترتكبون في مجالسكم الفواحش والمنكرات وما حرم الله عليكم ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اأْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ورغم دعوة لوط لهم إلى ترك الفواحش ابتغاء هدايتهم وتركهم ما حرم الله عليهم، فقد قابلوا هذه الدعوة بالاستهزاء والسخرية والتكذيب والتحدي بأن يأتيهم بالعذاب، فما كان منه إلا أن دعا ربه أن ينصره عليهم بقوله ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ وقد استجاب الله دعاءه فنصره عليهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بتحريم جريمة اللواط وقبحها ووضاعة مرتكبيها، وأنها لم تكن في الأمم السابقة، بل كان أول من فعلها قوم لوط، ووقوع هذه الجريمة يقتضي إقامة الحد على مرتكبها فاعلا أو

مفعولا به. وفيها: تحريم المنكرات التي ترتكب في النوادي والاجتماعات كما يحدث اليوم في نوادي القمار والخمر وما يحدث فيها من الفجور، والتعدي على حرمة الله مما هو حري بنزول العذاب.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانَُوا ظَالِمِينَ﴾ (٣١) قَالَ إِنِّي فِيهَا لَوَطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (٣٢) وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِوَهُمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (٣٣) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٣٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٣٥)

بيان الآيات:

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ لما يئس لوط عليه السلام من قومه لفسقهم دعا الله أن ينصره عليهم فاستجاب الله له وأرسل ملائكة لنصرته وفي طريقهم إليه مروا على إبراهيم ضيوفاً، فأكرمهم بما يجب من إكرام الضيف إلا أنه أحس منهم وحشة، فلما عرفوا ذلك منه بدؤوا يزيلون عنه الوحشة ثم بشروه بأنه سيولد له

ولد صالح من زوجته سارة - كما سبق ذكره في سورة هود - وأخبروه أنهم رسل من الله أرسلوا ليهلكوا قوم لوط فأخذ إبراهيم يحاول ثنيهم، لعل الله أن يهديهم ويزيل عنهم الضلال فقالوا له ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ أي: قرية سدوم ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ أي: كافرين بالله مكذبين لرسوله ﴿قَالَ إِنْ فِيهَا لُوطًا﴾ لعله عليه السلام خشي عليه ﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أي: سوف ننجيه بأمر الله من العذاب ما عدا امرأته فستكون من الهالكين وذلك لأنها كانت تقرهم على فعلتهم الشنعاء.

﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وضاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ المعنى: أنهم لما وصلوا إلى لوط ورأى ما هم عليه من الهيئة الحسنه والجمال ضاق بمقدمهم خشية عليهم من سوء قومه؛ لأنه لم يعرف أنهم رسل من عند الله ﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ وهنا طمأنوه فعرف أنهم رسل الله وأخبروه أنهم سيهلكون قومه وأن الله نجاه وأهله إلا امرأته بسبب فسادها بقولهم ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ وقد انتهى أمرهم حين أنزل الله عليهم العذاب فاقتلع جبريل عليه

السلام قريتهم، فجعل عاليها سافلها، وجعل مكانها بحيرة تعرف الآن ببحيرة لوط أو البحر الميت كما سبق ذكره ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً﴾ أي: جلية ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي: يتفكرون ويعتبرون بآيات الله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن من يعمل الفاحشة يعد ظالماً، وقد توعده الله الظالمين بأشد العذاب. وفيها: أن الأهم في العلاقة بين البشر علاقة الدين، فلم ينفع امرأة لوط أنها زوجته بل كانت في العذاب مع قومها، بسبب تماثلها معهم على فعل الفاحشة. وفيها: أن الضيافة مما عرفته الأمم، وأن من واجبات المضيف حماية ضيفه من الغرباء. وفيها: أن الهلاك عاقبة الفواحش، وأن العقل السليم يمنع صاحبه من التردّي في الفواحش وخطاياها.

﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا
الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٣٦) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ
الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ﴾ (٣٧)

بيان الآيتين:

﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا

أَلْيَوْمَ الْآخِرَ ﴿١﴾ هذا بيان من الله لرسوله محمد ﷺ عن قصة شعيب مع قومه أهل مدين، فقد دعاهم إلى عبادة الله وحده والبراءة من الشرك به، وأن يخشوا اليوم الآخر وهو يوم القيامة وأهواله ﴿٢﴾ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣﴾ والمراد بالإفساد هنا: كونهم يطففون الكيل والوزن، فإذا كان الكيل أو الوزن لهم استوفوه كاملاً وإذا كان الكيل أو الوزن منهم لغيرهم جعلوه ناقصاً ﴿٤﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴿٥﴾ أي: أنهم كما كذبوا نبيهم شعيباً وعصوه فيما أمرهم به من الهدى أخذتهم رجفة رجّت أرضهم ثم أتبعوا بصيحة تقطعت منها قلوبهم. ﴿٦﴾ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جاثمين ﴿٧﴾ أي: صاروا جاثمين على ركبهم بعد أن تقطعت قلوبهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تحريم الفساد في الأرض بكل أنواعه وصوره، سواء كان بقطع الطريق، أو بإنقاص الكيل، أو الوزن، أو الغش في المعاملات، أو بأي صورة أخرى تتنافى مع ما وضعه الله من الأحكام لعباده. وفيهما: تقرير أن الله يهلك من ينتهك حرماته فيظلم في الأرض، أو يفسق أو يطغى فيها كما حدث من الأمم البائدة التي بادت؛ بسبب سوء أفعالها.

﴿٨﴾ وَعَادَا وَثمودَا وَقَدْ بَيَّنَّا لَكُم مِّن مَّسْكِنِهِمُ وَزَيْنَ

لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ
 ﴿٣٨﴾ وَقُرُونِ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ
 فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنْبِهِ
 فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ
 وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ
 اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

بيان الآيات:

﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكَنِهِمْ﴾
 هذا بيان من الله عز وجل عن الأمم البائدة ومساكنهم فعاد قوم
 هود عليه السلام ومساكنهم في الأحقاف كما قال عز وجل ﴿وَأَذْكُرُ
 أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾^(١) وهي المعروفة حالياً بالشر
 من حضرموت. وثمود قوم صالح عليه السلام ومساكنهم في
 الحجر أو ما يعرف الآن بمدائن صالح في المملكة العربية السعودية
 ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ أي:
 أن الشيطان سول لهؤلاء الأقوام أعمالهم، وذلك بتكذيبهم لرسولهم
 وعصيانهم فيما أمرهم به ونهواهم عنه ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾

(١) سورة الأحقاف من الآية ٢١ .

أي: كانوا على بصيرة ومعرفة بما أمرهم رسلهم به ولكنهم استكبروا وحكموا أهواءهم، واتبعوا رؤساءهم في الكفر والضلال ﴿وَقَرُّوْكَ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ﴾ قارون من بني إسرائيل وقد أعطي الأموال الكثيرة، وفرعون حاكم مصر، وهامان وزيره وكبير مستشاريه ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: جاء إليهم بالبراهين القاطعة ﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أرض مصر ومملكتها ﴿وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ أي: منفكين من عذاب الله.

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُبِهِ﴾ أي: جعل الله عقوبته تتناسب مع جريمته ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ والمراد بهم عاد قوم هود، فقد أرسل الله عليهم ريحا عاتية كانت ترفع الواحد منهم ثم تنكسه على رأسه ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ والمراد بهم ثمود قوم صالح جاءتهم صيحة قضت عليهم ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ والمراد به قارون ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ والمراد فرعون ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ أي: لم يظلمهم بما عاقبهم به ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أي: هم الذين ظلموا أنفسهم بسبب شركهم وعصيانهم لأنبيائهم وتكذيبهم وإيذائهم لهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن هلاك الأمم البائدة كان بسبب تزيين

الشیطان لهم أعمالهم وتصديقهم له رغم أنهم يعرفون ما جاءتهم به رسلهم من البينات والبراهین. وفيها: أن الطغیان والاستکبار سبب لهلاك الأمم واندثار حضارتها. وفيها: أن الله جل وعلا عاقب الأمم البائدة حسب سلوكها، فأهلك عادا بالريح؛ لأنهم كانوا يقولون ﴿مَنْ أَشَدُّ مَنَا قُوَّةً﴾^(١). وأهلك قارون بالخسف في الأرض؛ بسبب علوه وتجبره وهكذا. وفيها: الحكم أن الله قضى وقضاؤه الحق أنه لا يظلم أحدا ولا يعاقبه إلا إذا كان هذا ظلما لنفسه بسبب كفره ومعاصيه.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنَكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٤١) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ^(٤٢) وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ^(٤٣) ﴿٤٣﴾

بيان الآيات:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ هذا مثل ضربه الله للمشرکين في اتخاذهم أصناما وأوثانا يعبدونهم من دون الله يرجون نفعهم ليرزقوهم وينصروهم ويدفعوا عنهم الضر، فهم في حالهم هذه مثل بيت العنكبوت في وصفه

(١) سورة فصلت من الآية ١٥ .

ورداءة بنيانه، وما أملهم في نفع أصنامهم لهم إلا مثل أمل من يرى في بيت العنكبوت ملاذاله ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ أي: أن هذا البيت أضعف البيوت وأوهنها ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو كان هؤلاء عقلاء لعرفوا أن عبادة الأصنام لا تنفعهم بل تضرهم حين يجازيهم الله على شركهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ في هذا تهديد ووعد للمشركين بأن الله يعلم سلوكهم في عبادتهم للأصنام وجعلها شريكة تعبد من دونه وسوف يجازيهم بما كانوا يعملون ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ بقوته ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تصرفه في خلقه ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ أي: نبينها لهم لعلهم يعتبرون ويدركون أنه ما من إله إلا الله ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ أي: ما يفهمها ويدركها إلا الذين لهم بصائر يميزون بها بين الحق والباطل.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: فوائد ضرب الأمثلة، للناس لتبسيط الأحكام لهم وتقريبها إلى أفهامهم من خلال الحقائق التي يعايشونها في حياتهم، فبيت العنكبوت مثلاً مما يعرف الناس أنه أوهن بيت تسكنه الحشرة الصغيرة، وتشبيه عبادة الأصنام بهذا البيت دليل على ضعف عقل من يعبدها بسبب وهنها وضعفها. وفيها: تقرير أنه لا يفهم هذه الأمثال

إلا الذين استنارت بصائرهم بالعلم والهدى، أما الذين على قلوبهم غشاوة من الضلال فلا يعقلون الأمثال ولا غيرها.

﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٤٤ ﴿ أَتُلُّ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ ٤٥ ﴿

بيان الآيتين:

﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه خلق السموات بأفلاكها وزينتها والأرض بجزالها وبحارها وأنهارها وبراريها، وذلك بحكمته وقدره وليس لمجرد العبث فالله منزه ومقدس عن ذلك ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ إن في هذا الخلق برهاناً للمؤمنين أنه هو القادر على ذلك.

﴿ أَتُلُّ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ بتلاوة القرآن، وذلك بتدبره في ألفاظه ومعانيه ومعرفة أحكامه وأوامره ونواهيه، وهذا الأمر يقتضي إبلاغه للناس وتبشيرهم بالثواب والأجر العظيم إذا عملوا بما فيه وتحذيرهم من العقاب إذا تولوا وأعرضوا عنه ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ أي: حافظ أنت

وأمتك على أداء الصلاة في أوقاتها بأركانها وشروطها وواجباتها ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ الصلاة صلة بين العبد وربّه وبها ينشرح قلب المؤمن ويتعلق بربه فيرجو دائما ثوابه ويخاف عقابه، فصلاته تنهاه عن إتيان الفواحش أيا كان مسماهما والمنكرات أيا كانت صفتها ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: إن ذكر الله هو الأعم والأشمل للمنع من الفحشاء والمنكر، فما دام العبد يذكر الله في قلبه ولسانه في الصلاة وفي غيرها، فهو يستشعر في كل وقت عظمته في نفسه ويعرف أنه معه بعلمه ويعرف أن عليه حفضة يكتبون ما يقول وما يفعل، فمن كان هذا صنيعه بذكر الله وخشيته منه فلن يرتكب فاحشة ولا منكرا ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ أي: يعلم ما يفعله عباده من خير وشر، وكل سيُجزى بما عمل.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير وجوب تلاوة القرآن بتدبر ألفاظه ومعانيه وتحكيم أحكامه في أوامره ونواهيه. وفيهما: وجوب إقامة الصلاة في أوقاتها وإقامتها بأركانها وشروطها وواجباتها. وفيهما: الدلالة القطعية على أن الصلاة تحجز صاحبها عن إتيان الفواحش والمنكرات وفي حديث أبي هريرة: أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق فقال: (إنه سينهاه

ما تقول^(١). وفيهما: وجوب ذكر الله في السر والعلن وشاهده قوله عز وجل ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^(٢). وقوله عز ذكره في ثنائه على المؤمنين ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ الآية^(٣). وفي الحديث القدسي (إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم)^(٤).

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٤٦).

بيان الآية:

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ هذا توجيه من الله عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ والمؤمنين أن تكون مجادلتهم لأهل الكتاب مجادلة حسنة؛ لإقناعهم بصدق النبوة والرسالة، وأن الإسلام هو الدين الحق الذي من ابتغاه اهتدى، ومن أعرض عنه ضل وشقى ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ هذا استثناء من المجادلة الحسنة

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٢ ص ٤٤٧ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٥٢ .

(٣) سورة آل عمران من الآية ١٩١ .

(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ٣٩٥، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى (ويحذركم الله نفسه) برقم (٧٤٠٥).

للذين يجانبون الحق ويعرضون عنه ويكيدون للإسلام ويحاربونه، فهؤلاء لهم حكم يختلف وهو معاداتهم ومقاتلتهم ما لم تكن ثمة عهد معهم ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ الإسلام: دين الشمول، والدين الحق والمسلمون يصدقون جميع الكتب المنزلة من السماء كما أنزلت، وقبل أن يعتريها التحريف والتأويل ويصدقون جميع الرسل دون تفريق بينهم، فإذا حدث أهل الكتاب بأمر قد صدقه الإسلام، فالمسلمون يؤمنون به وإن تحدثوا بشيء لم يعرف من الإسلام صدقه أو كذبه فلا يكذب ولا يصدق؛ لأنه قد يكون حقا، وقد يكون باطلا ﴿وَالْهَنَاءُ وَالْهَكْمُ وَحْدٌ﴾ أي: يقال لهم إلهنا وإلهكم هو الله الواحد الأحد الذي لا إله لنا سواه ولا معبود لنا إلا هو ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ أي: مستسلمون له بالطاعة.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تقرير جواز مجادلة أهل الكتاب مجادلة حسنة تستهدف إقناعهم بأن الإسلام خاتم الأديان، وأن الله اختاره لهداية البشرية وتخليصها من الوثنية والطغيان وإقناعهم بأن رسول الله محمداً ﷺ خاتم الأنبياء أرسله الله؛ ليجدد دينه ويعلي كلمته في الأرض. وفيها: تقرير أن هذه المجادلة محصورة في الذين يريدون الحق. أما الذين يريدون معاداة الإسلام ومحاربته فلهم حكم آخر هو

معاداتهم وقتالهم مالم يكن لهم ذمة أو عهد. وفيها: وجوب تصديق ما يقولون إذا كان قد ورد النص على صدقه في كتاب الله، أما مالم يرد فلا يكذب ولا يصدق فقد يكون حقا، وقد يكون باطلا وفي حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم) الآية^(١).

﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَانَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبِطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أي: أنزلنا إليك القرآن كما أنزلنا الكتب على الرسل من قبلك كموسى وداود وعيسى ﴿فَالَّذِينَ ءَانَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي: إن الذين أوتوا الكتاب كالتوراة يؤمنون بالقرآن مثل: عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي؛ لأنهم عرفوا من كتابهم أن القرآن كتاب منزل من عند الله ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ﴾

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ٥٢٥، كتاب التوحيد، باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية . برقم (٧٥٤٢).

مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ﴿١٠﴾ أَي: من العرب وغيرهم من الأجناس من يؤمن به
ويصدقه ﴿١١﴾ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿١٢﴾ أَي: ما يجحد
القرآن وغيره من آيات الله إلا الذين زاغت أبصارهم وعميت قلوبهم
فكفروا بالله .

﴿١٣﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ﴿١٤﴾ أَي:
ما كان رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه القرآن يقرأ أو يكتب، بل
كان أمياً والكفار يعرفون ذلك عنه ﴿١٥﴾ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٦﴾ أَي:
لو كنت تقرأ وتكتب لقال أعداؤك من السفهاء والجهال والمعادون
لك أنه تعلم ما يقوله من الكتب السابقة ﴿١٧﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ
فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴿١٨﴾ أَي: إن هذا القرآن آيات واضحة،
حفظه أولو العلم في صدورهم جيلاً بعد جيل، وقرنا بعد قرن
محفور بنوره في قلوبهم، لا يتطرق إليه تبديل أو تحريف ﴿١٩﴾ وَمَا
يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٢٠﴾ أَي: ما يعرض عنها ويكذبها
إلا المعاندون للحق الجاحدون له.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن رسول الله ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب،
وفي هذا إبطال لما قاله أو يقوله المشركون والكفار أن رسول الله ﷺ
أتى بالقرآن من عنده وأمية رسول الله ﷺ معروفة في الكتب السابقة

كما قال عز وجل ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾^(١). كما أن أميته معروفة عند العرب من كفار قريش وغيرهم؛ لأنهم يعرفون أنه لم يتعلم القراءة ولا الكتابة وهو يعيش بين ظهرانهم.

وفيها: الحكم أن الله هو الذي أنزل القرآن آيات بينات، حفظه أهل العلم في قلوبهم وحفظه الله من التحريف والتبديل كما قال عز وجل ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢). وفي الحديث: يقول الله تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ: (إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظانا)^(٣). وفيها: أن آيات الله ومنها: كتابه العزيز لا يجدها إلا المعاندون المستكبرون عن الحق والمعرضون عنه، فهؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾^(٥٠) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِيَّاكَ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيِّنًا وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا

(١) سورة الأعراف من الآية ١٥٧ .

(٢) سورة الفرقان من الآية ٦ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٤ ص ١٦٢ .

فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا
بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾

بيان الآيات:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَاتٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ هذا بيان من الله عن قول المشركين وتعنتهم في طلب آيات يأتي بها رسول الله من ربه؛ لكي يصدقوا أنه نبي كما أوتي موسى الآيات التسع وأوتي صالح الناقة ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ لما قال المشركون مقولتهم هذه أمر الله رسوله محمدا ﷺ أن يقول لهم: إن أمر الآيات عند الله، فهو العليم بأحوال عباده وما ينفعهم وما يضرهم، فلو علم أن إرسال الآيات تنفعكم لأرسلها؛ لأنه على كل شيء قدير كما أمره الله أن يقول لهم ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: مأمور من الله أن أبلغكم رسالته وأنذركم العذاب إذا توليتم وأعرضتم عن الحق.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ المراد بذلك مشركو مكة الذين طلبوا الآيات والمعنى: ألم يكفهم آية هذا الكتاب الذي أنزل عليك، فيه أخبار الأمم الماضية، وما حل بها من العذاب، وفيه البينات والأحكام التي من تمسك بها اهتدى إلى الطريق المستقيم؟ ألم يكفهم أن هذا الكتاب أنزل عليك يا محمد وأنت أُمِّي لا تقرأ ولا تكتب، ثم جئتهم بهذا القرآن العظيم مما يدل على نبوتك

ورسالتك ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾
 أي: إن في هذا القرآن لرحمة للمؤمنين بما فيه من الهدى، وفيه عظة
 وعبرة لهم عندما يتدبرون ويعرفون ما فيه من أخبار الأمم السابقة
 وما حل بها من النقم عندما أعرضت عن الحق ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيِّنِي
 وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً﴾ هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يقول
 للمشركين: يكفي أن يكون الله هو الشاهد علي وعليكم، فإن كنت كاذبا
 فسوف يحاسبني على كذبي، وإن كنتم كاذبين فسوف يحاسبكم على
 تكذيبكم؛ لأنه ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلا يخفى
 عليه فيها خافية ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ أي:
 إن الذين زاغوا عن الحق وعبدوا غير الله وكفروا به ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ
 الْخَاسِرُونَ﴾ أي: لأنهم فضلوا الحياة الدنيا على الآخرة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن رسول الله ﷺ لا يملك من أمر الآيات
 شيئا كما طالبه المشركون بذلك، وإنما هو منذر لهم يبين لهم الحق
 من الباطل، أما هدايتهم فمن عند الله كما قال عز وجل ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ
 هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾^(١). وفيها: أن القرآن
 هو أكبر معجزة جاء بها رسول الله ﷺ؛ لأن فيه الرحمة للمؤمنين

(١) سورة البقرة من الآية ٢٧٢ .

به وفيه العبر لهم عندما يتدبرون أحكامه وما فيه من أخبار الأمم السابقة وفيه الهداية لمن أرادها وفي هذا قال رسول الله ﷺ: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة)^(١). وفيها: تقرير أن الخاسرين يوم القيامة هم الذين كذبوا الحق واتبعوا الباطل.

﴿وَسْتََعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٥٣﴾ يَسْتََعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ٥٤ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٥٥﴾

بيان الآيات:

﴿وَسْتََعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ من حماقة المشركين وفرط جهلهم وسفاهتهم طلبهم من رسول الله ﷺ تعجيل العذاب لهم استهزاء وسخرية وقد رد الله عليهم بقوله ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ أي: لولا الأجل الذي كتبه الله لجاؤهم في الوقت الذي طلبوه ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: قد يؤخره إلى يوم القيامة،

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، وأول ما نزل، برقم (٤٩٨١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٦١٩.

وقد يأتيهم فجأة دون أن يشعروا به، وقد جاءهم العذاب يوم بدر حين قتل صناديدهم شر قتلة ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ أي: يسألونك أن تعجل لهم العذاب وهو يوم القيامة محيط بهم لا يحددون عنه ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ أي: يوم يغطيهم من فوق رؤوسهم ومن أسفل أرجلهم ليكون شاملا لأجسادهم ﴿وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: يقال لهم على وجه التقرير والتوبيخ: ذوقوا عاقبة كفركم الذي كنتم تجاهرون به في الدنيا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير سفة المشركين وجهلهم في طلب العذاب، تحديا لرسول الله ﷺ، ظنا منهم أن هذا لن يقع لهم. وفيها: الحكم أن تعجيل العذاب أو تأجيله لا يترتب على رغبة أحد، بل يترتب وفق ما يقرره الله بإرادته وحكمته. وفيها: أن عذاب الكافرين سوف يحيط بهم يوم القيامة لا محالة، وسوف يغشى كل أجسامهم كما قال الله عز وجل ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾^(١).

﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾^(٥٦)
 كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ^(٥٧) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

(١) سورة الزمر من الآية ١٦ .

الصَّالِحَاتِ لِنُبُوَّتِهِمْ مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّنْ
مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾

بيان الآيات:

﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ هذا أمر من الله
للمؤمنين في مكة أن يهاجروا إلى أرضه الواسعة؛ لإقامة شعائر
دينهم بعد أن حاصره المشركون وضيقوا عليهم، وقد استجاب
المؤمنون لأمر ربهم، فهاجروا إلى الحبشة، فوجدوا عند ملكها
حسن المأوى والتأييد ومكث رسول الله ﷺ بعدهم ما مكث ثم أمر
بالهجرة إلى المدينة فهاجر إليها مع أصحابه رضوان الله عليهم
فأعز الله دينه وأظهره على الدين كله فله الحمد والمنة. ﴿فَإِنِّي
فَاعْبُدُونِ﴾ أي: لا تعبدوا أحدا غيري فمن عبد غيري معي فهو
مشرك كافر لا يستحق مغفرتي.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ﴾ هذا حكم من الله حكم به، وقضاء
قضى به أن الموت مدرك كل نفس أنى كانت، وحيثما كانت، فالخروج
للهجرة أو الجهاد لا يقدم أو يؤخر الموت؛ لأن للموت والحياة آجال قدرها
الله ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ أي: بعد مماتها سترجع إلى الله لا محالة
للحساب والجزاء ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِنُبُوَّتِهِمْ مِّنَ

الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿١٠١﴾ أي: إن الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله وعملوا الأعمال الصالحة بنية خالصة سوف يسكنهم الله جنات تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿١٠٢﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ﴿١٠٣﴾ أي: مكتوب لهم الخلود فيها لا يحولون عنها ولا يزولون ﴿١٠٤﴾ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٠٥﴾ أي: حسنت وطابت هذه الغرف أجرا على أعمالهم الصالحة ﴿١٠٦﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا ﴿١٠٧﴾ أي: تحملوا الأذى في سبيل دينهم وهاجروا من أجله وجاهدوا لإظهاره ﴿١٠٨﴾ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٠٩﴾ أي: يتوكلون عليه في كل أمر من أمورهم؛ لأنهم يعرفون أنه الحق، وأنه ناصرهم ومعينهم.

﴿١١٠﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ﴿١١١﴾ لما أمر جل وعلا المؤمنين بالهجرة من مكة بين أن المؤمنين سوف يجدون رزقهم في أي: مكان يذهبون إليه من أجل دينهم، فكم من دابة في الأرض لا تستطيع حمل رزقها معها، ولكن الله يرزقها في أي: مكان تكون فيه لأنه قد تكفل بأرزاق خلقه في البر والبحر فلا يخشى المهاجر إذن من رزقه في المكان الذي سيهاجر إليه ﴿١١٢﴾ اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴿١١٣﴾ أي: كما يرزق الدواب والطيور الضعيفة يرزقكم أنتم ﴿١١٤﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ ﴿١١٥﴾ لأقوالكم والعالم ما تكونونه في صدوركم ﴿١١٦﴾ الْعَلِيمُ ﴿١١٧﴾ بأفعالكم وحركاتكم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب الهجرة من المكان الذي لا يستطيع فيه

المسلم إقامة شعائر دينه؛ لأن الله جعل له في الأرض سعة فيها جر حيث يستطيع إقامة دينه. وفيها: الحكم بأنه ما من نفس إلا سيدركها الموت كما قال عز وجل ﴿أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾^(١). ولهذا فإن الخروج للهجرة أو الجهاد لا يقدم ولا يؤخر الموت، وإنما هي آجال كتبها الله. وفيها: أن الله أعد الثواب العظيم للمهاجرين والمجاهدين الذين يخرجون في سبيله ويصبرون على ما ينالهم من المشاق ويتوكلون على الله في إظهار دينهم. وفيها: أن الخروج للهجرة لا يمنع من الرزق، وليس الانتقال من بلد إلى آخر يكون سببا للفقر؛ لأن الله تكفل بأرزاق عباده أنى كانوا كما قال عز وجل ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾^(٢).

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(٦١) ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٦٢) ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٦٣).

(١) سورة النساء من الآية ٧٨ .

(٢) سورة هود الآية ٦ .

بيان الآيات:

﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ﴾ أي: إن سألت يا محمد المشركين ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: كَوْنَهُمَا من العدم إلى الوجود فرفع السماء من غير عمد وأرسي الأرض بالجبال ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ يجريان في نظام دقيق رحمة للعباد ﴿لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ أي: لِيُجِيبَنَّكَ بَأَن الله هو الذي خلق هذه الآيات، فهم إذن يعترفون بربوبيته ﴿فَأَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف يعدلون عن الحق ويشركون معه غيره؟ بينما هم يعرفون أنه الإله الواحد الأحد الذي لا خالق غيره ولا رب سواه ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ أي: من حكمة الله وقدره أن يوسع الرزق على من يشاء من عباده ويضيقه على من يشاء منهم، فمن يوسع له في رزقه يمتحنه هل يشكر ما أنعم الله به عليه أم يكفر به، ومن يضيق عليه رزقه يمتحنه فيرى ما إذا كان يصبر على قضاء الله أم يسخط عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: هو العليم بأحوال خلقه وما فيه خير لهم من الغنى أو الفقر.

﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ﴾ أي: لو سألت يا محمد هؤلاء المشركين الذين يكذبونك ﴿مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ أي: من هو الذي أنزل المطر فأصاب به الأرض فتحولت إلى أرض مخضرة بعد أن كانت أرضاً جرداء لا حياة فيها ﴿لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾

أي: ليجيبك بأن الذي يفعل ذلك هو الله ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: قل لهم حينئذ الحمد لله على اعترافكم بالحق فلماذا إذن لا توحدون الله وتخلصون العبادة له وحده وتتركون عبادة الأصنام والأوثان التي لا تنفعكم بل تضركم؟ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: لا يعرفون ما ينفعهم وما يضرهم فهم عمي عن الحق.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير سفاهة المشركين وجهلهم في كونهم يعترفون بربوبية الله ثم يعبدون معه أصناما يعرفون أنها مخلوقة وأنها أحجار وحطام لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا. وفيها: أن الله حين يبسط الرزق لأحد من عباده لا يدل ذلك على محبته له، كما أن تضيقه على أحد منهم لا يدل على عدم رضاه عليه، وإنما هي حكمة حكم بها وقضاء قضى به يبتلي به عباده ليعرف من هو الشاكر ومن هو الكافر منهم، وفي هذا قول رسول الله ﷺ: (إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا من أحب)^(١).

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَا اللَّهُ

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ١ ص ٣٨٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ١٠ ص ٢٩٢، والمنذري في الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٥٤٩.

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَنَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾

بيان الآيات:

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَاةُ﴾ هذا بيان من الله جل وعلا أن الحياة الدنيا مجرد لهو يلهو ويلعب فيها الغافل والجاهل مدة من الزمن غير مدرك حقيقة مآله، غير أن أولي العقول اليقظة والبصائر النيرة، يعرفون أن الآخرة هي الحياة التي يجب أن يعملوا لها؛ لأن مصيرهم ومردهم إليها طال بهم الأجل أم قصر ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو علم الذين يؤثرون الدنيا على الآخرة وأن الآخرة خير لهم لما آثروا الدنيا عليها ولما لها ولعبوا فيها.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ المراد بهم المشركون، فهم مع اعترافهم بربوبية الله إذا ركبوا في السفن وخافوا من الغرق في البحر يدعون الله وحده ويتركون آلهتهم ﴿فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ أي: إذا نجاهم من مخاطر الغرق وأصبحوا في البر سالمين رجعوا إلى عبادة أصنامهم ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أي: يعودوا إلى الشرك بعد أن نجيناهم من الغرق ﴿وَلِيَتَمَنَّعُوا﴾ أي: ليستمروا في لهوهم ولعبهم وشركهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ في هذا تهديد ووعد لهم بأنهم سيدركون يوم القيامة عاقبة شركهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الدنيا دار لهو ولعب، أما الآخرة فهي الحياة الأبدية، وأن العقلاء هم الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا وفيها: الإخبار بأن مشركي العرب كانوا يعترفون بربوبية الله عزوجل، وأنه فاطر السموات والأرض ومدبر الكون ومصرفه ولكنهم لفرط جهلهم كانوا يشركون معه في ألوهيته فيدعون معه أصنامهم وأوثانهم وهذا مما أحبط أعمالهم كما قال عزوجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١). ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢). وفيها: أن المشركين يخلصون العبادة لله وحده عندما يجدون أنفسهم في خطر البحر وغيره، ولكنهم يعودون إلى ضلالهم عندما يخرجون منه سالمين كما قال تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾^(٣). وفيها: الوعيد للذين يكفرون بآيات الله، وأنهم عندما يتمتعون في الدنيا ويلهون عن الآخرة سيدركون يوم القيامة عاقبة عملهم.

(١) سورة الزمر الآية ٦٥ .

(٢) سورة الزمر الآية ٦٦ .

(٣) سورة الإسراء الآية ٦٧ .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾

بيان الآيات:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ المراد هنا كفار قريش يذكرهم الله أنه جعل لهم حرماً آمناً مطمئنين فيه، لا يعتدى عليهم ولا يتعرض لهم أحد بسوء فيه ﴿وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ أي: بينما هم على تلك الحال من الأمن، فإن الناس من حولهم يتخطفون أي: يتعرضون للقتل والسلب ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: أيؤمنون بعبادة الأصنام والأوثان ﴿وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ أي: يجحدون ما أنعم الله به عليهم من الأمن والأرزاق التي تأتيهم من كل مكان.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾ أي: لا أحد أظلم من هؤلاء المشركين الذين افتروا على الله الكذب فأحلوا ما حرمه وحرّموا ما أحله، وعبدوا الأوثان، وكذبوا بما جاءهم به رسول الله من الآيات البينات ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ هذا استفهام تقريرى مفاده أن جهنم هي المقر والمسكن للكافرين.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ المراد بذلك رسول الله ﷺ والمؤمنون معه وكل مؤمن جاهد في الله لإعلاء كلمته ونصر دينه أن الله سيبدله ويرشده إلى معرفة ما يوصله إلى رضاه ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: إن الله يعين كل محسن تقرب بإحسانه إليه فعمل صالحا وأخلص نيته له في عبادته وفي جهاده وفي إنفاقه من ماله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تنديد الله بكفار قريش لجحودهم نعم الله حين جعلهم مجاورين لبيته الحرام الذي حرَّمه وجعله مثابة للناس وأمنا كما قال جل وعلا ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٌ﴾^(١). ﴿إِلَّا فِيهِمْ رِحْلَةَ الْشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾^(٢). ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾^(٣). ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(٤). وفيها: تقرير أنه لا أحد أظلم ممن يفترى على الله الكذب بتحريم ما أحله أو تحليل ما حرَّمه، ولا أحد أظلم ممن كذب بالحق لما جاءه وهو عبادة الله وحده ثم جعل معه شريكا. وفيها: وعد الله ووعدته الحق أن الذي جاهد في سبيله ابتغاء إعلاء كلمته سوف يهديه إلى ما يبلغه مرضاته.

(١) سورة قريش الآية ١ .

(٢) سورة قريش الآية ٢ .

(٣) سورة قريش الآية ٣ .

(٤) سورة قريش الآية ٤ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الروم

مكية وآياتها ستون آية

﴿الَمْ ١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ
غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ
وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ
مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾

بيان الآيات:

﴿الَمْ﴾ الله أعلم بمراده ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ أي: انهزمت الروم
وغُلِبَت من قبل فارس، والروم: مجموعة من الأمم في أوربا منهم:
الرومانيون أهل إيطاليا ومنهم مجموعات من الصقالبة والأغارقة
اليونانيين، وقد كونوا مملكة كبرى، جزء منها في أوربا والجزء الآخر في
آسيا الصغرى المعروفة بالأناضول، وقد عرفهم العرب بالروم.

وبسبب الحروب بين الرومان واليونانيين اتسعت مملكة الرومان
جاء فتوحات يولويس قيصر لمصر وشمال إفريقيا واليونان ثم انضمت

إليها مملكة بيزنطة الواقعة على البسفور.

ولما أصبح القيصر قسطنطين ملكاً لرومة جعل لمملكته عاصمتين الأولى: غربية هي روما والثانية: شرقية هي القسطنطينية وقد اشتهرت هذه أكثر من الأولى. ولما مات القيصر قسطنطين واقتسم أولاده مملكته صارت القسطنطينية هي مملكة الروم وصارت روما مملكة الرومان.

وفي عام ستمائة وخمسة عشر للميلاد غزا خسرو بن هرمز ملك فارس أطراف دولة الروم التي كان يحكمها آنذاك هرقل فتمكن خسرو من هزيمة الروم في بلاد الشام وهذا معنى قول الله تعالى ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ وقوله ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ أي: إن الهزيمة التي وقعت للروم كانت في الأرض الواقعة بين بصرى وأذرعات القريبتين من أرض العرب ﴿وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ وفي هذا روي أن المشركين في مكة كانوا يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم؛ لأنهم وإياهم أهل أوثان، وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس؛ لأنهم أهل كتاب مثلهم فكانت فارس يوم نزلت ﴿الْمَ﴾ ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ قاهرين للروم فذكروه لأبي بكر، فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: (أما إنهم سيغلبون) ونزلت هذه الآية، فخرج أبو بكر

يصيح في نواحي مكة ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ فقال ناس من قريش لأبي بكر: فذلك بيننا وبينكم، زعم صاحبكم أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك؟ قال: بلى، وكان هذا قبل تحريم الرهان فقالوا لأبي بكر كم تجعل؟ البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين فسم بيننا وبينك وسطا ننتهي إليه؟ فسمى أبو بكر لهم ست سنين، فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان فمضت ست السنين قبل أن يظهر الروم، فأخذ المشركون رهن أبي بكر وقال رسول الله ﷺ: (ألا احتطت يا أبا بكر فإن البضع ما بين الثلاث إلى التسع)^(١) فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين وأسلم عند ذلك أناس كثيرون.

وفي رواية: أنهم بعد أن جعلوا الأجل ستة أعوام غيروه فجعلوه تسعة أعوام وزادوا في عدد القلائص، وأن أبا بكر لما أراد الهجرة مع رسول الله ﷺ تعلق به الذي راهنه وهو أبي بن خلف وقال له: أعطني كفيلا بالخطر إن غلبت، فكفله ابنه عبد الرحمن وكان مقيما في مكة، وأنه لما أراد أبي بن خلف الخروج إلى أحد، طلبه عبد الرحمن بكفيل فأعطاه كفيلا. ثم مات أبي بمكة من جرح جرحه رسول الله

(١) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب (٣١)، سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٢٠، برقم (٣١٩١).

ﷺ فلما غلبت الروم بعد سبع سنين أخذ أبو بكر الخطر من ورثة أبي بن خلف^(١).

﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ أي: له الأمر والحكمة في غلبة فارس للروم ثم غلبة الروم على فارس من بعد ذلك ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾. ﴿بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ أي: بنصر الروم على فارس وقيل: إن ذلك النصر كان يوم وقعة بدر بين المسلمين والمشركين^(٢). ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: ينصر من يشاء من عباده كما نصر الروم على فارس ونصر المسلمين على أهل الشرك ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَنْصُرَ عِبَادَهُ الْمُنْتَظِمَ لَهُمْ مِنْ أَعْدَائِهِ﴾ الرَّحِيمُ ﴿بِأُولِيائِهِ﴾.

﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ أي: إن ما حدث من نصر الروم على فارس هو الوعد الذي وعدناك به يا نبينا محمداً بأن الروم سيغلبون في بضع سنين ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يعلمون حكمة الله في خلقه وتدبيره لهم وتصرفه فيهم والله وعده حق ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ أي: يعلم أكثر الناس أمور الدنيا وأسبابها وكيفية عمرانها؛ وذلك لاهتمامهم بها وحبهم لها، بينما هم يغفلون عن أمور الآخرة وأسبابها

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٤٠٨-٤٠٩، والجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ٢-٣.

(٢) تفسير البغوي ص ١٠٠٣.

ويتركون الأعمال الصالحة التي تكون سببا لهم في منازلها مع أولياء الله الصالحين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن رسول الله ﷺ قد صدق فيما أخبر به عن ربه من غلبة الروم على فارس كما قال عز وجل ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(١). ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢). وفيها: الحكم بأن الله لا يخلف عبادَه ما يعدهم به من النصر والتأييد كما قال عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^(٣). وفيها: تقرير أن أهل الكتب المنزلة من السماء هم أقرب إلى المسلمين من الملحدين والدهريين الذين لا يؤمنون بالبعث وينكرون الحياة بعد الموت. وفيها: أن أكثر الناس يعلمون ظواهر الحياة الدنيا وأسبابها المادية التي هي مجرد حطام، بينما يغفلون عن الأسباب الموصلة إلى الحياة الأخرى التي إليها معادهم وفيها مقامهم وقرارهم الأبدي.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾

(١) سورة النجم الآية ٣ .

(٢) سورة النجم الآية ٤ .

(٣) سورة آل عمران من الآية ٩ .

﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوْءَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾

بيان الآيات:

﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: ألم يتفكر هؤلاء المكذبون بالبعث المنكرون لرسالة الله التي جاءهم بها رسول الله ﷺ والمراد بهم مشركو مكة فيعرفوا أن الله هو الذي أوجدهم من العدم، وأنه هو الذي خلقهم وصورهم وجعل لهم السمع والبصر والعقل ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: أنه جل وعلا خلق السموات والأرض وما بينهما لحكمة وقضاء قدره ولم يخلقهما عبثاً، بل جعلهما مكاناً لعبادته وشكره وسخر لخلقه فيهما: كل أسباب الحياة، إلى أن ينتهي الأجل الذي أجّله فتطوى السماء وتندثر الأرض ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ ومع هذه الآيات التي يرونها في أنفسهم، وفي خلق السموات والأرض؛ فإن الكثير من الناس، والمراد بهم المشركون والملاحدة لا يؤمنون بلقاء ربهم مما يدل على ضعف تفكيرهم.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لم يتفكروا بعقولهم ومداركهم
 ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ
 قُوَّةً﴾ أي: ينظروا كيف كانت عاقبة الذين من قبلهم مثل عاد وثمود
 وقوم فرعون، فقد كانت لهم قوة من العمران والمال أكثر مما لهؤلاء
 ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أي: حرثوها
 للزراعة وعَمَرُوا الأرض أكثر مما عمرها هؤلاء المشركون فكانت
 قوتهم أشد وحضارتهم أقوى ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ كما
 جئت يا محمد قومك بها فكذبوهم فأهلكهم الله ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ
 لِيَظْلِمَهُمْ﴾ أي: لم يهلكهم الله عبثاً؛ لأنه لا يظلم عباده ﴿وَلَكِنْ
 كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أي: هم الذين ظلموا أنفسهم؛ بسبب شركهم
 وكفرهم ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسْأَوْا السَّوْءَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
 وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: كان الهلاك والدمار والخسران عاقبة
 الذين أساءوا أعمالهم؛ بتكذيبهم آيات الله واستهزائهم بها.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب تفكر المرء في خلق الله وذلك بالتفكر في
 نفسه كما قال عز وجل ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(١). والتفكر
 في خلق الله لمخلوقاته كالسماوات والأرض والتفكر فيما حل بالأمم

(١) سورة الذاريات الآية ٢١.

الماضية من الهلاك؛ بسبب طغيانها وتكذيبها لرسالتها. وفيها: الحكم أن الله لا يظلم أحدا من خلقه، ولكنه يعاقب من ظلم نفسه، وذلك بعصيانه لله والإعراض عن عبادته. وفيها: أن عاقبة السوء المتمثل في الاستهزاء بآيات الله هي العقاب الشديد.

﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١١) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِّدُ يَنفَرُقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾.

بيان الآيات:

﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ هذا بيان من الله تعالى أنه هو الذي يخلق الخلائق بقدرته ثم يميتهم ثم يعيدهم أحياء ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: يرجعون إليه للحساب والجزاء ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: إذا رجعوا إلى الله يئسوا من رحمته، بسبب سوء عملهم في الدنيا ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ﴾ أي: سيجدون يوم يرجعون إلى الله أن الذين كانوا يعبدونهم من دونه لا يشفعون لهم من العذاب الذي يجدونه ماثلا أمامهم ﴿وَكَانُوا

بِشْرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١﴾ أي: يتبرؤون منهم ومن عبادتهم، ولكن ذلك لا ينفعهم بشيء ﴿٢﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ﴿٣﴾ أي: ينقسم الناس فيذهب المؤمنون إلى الجنة، ويذهب الكافرون إلى النار ﴿٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿٥﴾ أي: الذين أخلصوا العبادة لله وأطاعوه وأطاعوا رسوله ﴿٦﴾ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿٧﴾ أي: ينعمون في الجنة ﴿٨﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ ﴿٩﴾ أي: الذين كفروا بالله وكذبوا آياته وأنكروا البعث ﴿١٠﴾ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١١﴾ أي: يقربون إلى النار، فيدخلونها ويسيرون فيها ولا يخرجون.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الذي ينشئ الخلق قادر على إعادته كما قال عز وجل ﴿١﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢﴾. وفيها: أن المجرمين ييأسون من رحمة الله يوم القيامة؛ لأنهم يجدون أن من عبدوهم لا يغنون عنهم من الله شيئاً، بل يتبرأ كل منهم من صاحبه، وحينئذ يتفرق الناس إلى فريقين: فريق في الجنة، وهم المؤمنون وفريق في السعير وهم الكافرون.

﴿ فَسُبْحَنَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ۝١٩ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ۝٢٠ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١﴾

بيان الآيات:

﴿ فَسُبْحَنَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ في هذا وصف، وأمر، أما الوصف: فإن الله عز وجل له الكمال المقتضي تنزيهه عن النقص، وأما الأمر: فهو أمره عز وجل لعباده أن يسبحوه في صباحهم ومساءهم، وهذا يشمل تسبيحهم له في صلواتهم في الغداة والعشي ﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: وله الحمد وحده في السموات والأرض، فلا يُحمد أحد سواه؛ لأنه المستحق للحمد من خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه ﴿ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ أي: سبحوه حين يأتي وقت العشي وحين يأتي وقت الظهر ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ هذا بيان

من الله عزوجل عن قدرته الكاملة في إيجاد الشيء بما يقابله بما هو من ضده فيخرج المؤمن من الكافر، ويخرج الكافر من المؤمن، ويخرج الحب من النبات ويخرج النبات من الحب ويحيي الأرض الميتة بالمطر، فكل هذا بقدرته وتصريفه ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أي: وكما هو قادر على ذلك، قادر على إخراج الموتى أحياء من قبورهم بعد أن كانوا ميّتين.

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ أي: ومن آياته الدالة على عظمته وكمال قدرته أن خلق أباكم آدم من طين، وخلق زوجته منه، ثم تناسلتم، فكنتم أمما تنتشرون في الأرض كما قال عز وجل ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ قوله ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ أي: ومن آياته العظيمة وكمال صنعه وفضله عليكم أن جعل لكم من أنفسكم إناثا يكن لكم أزواجا تسكنون إليهن، وذلك بكونهن من جنسكم فتسكنون إليهن، وتأنسون بهن ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ أي: جعل بينكم وبين أزواجكم مودة وهي هنا المحبة نتيجة التآلف والعشرة، كما جعل بينكم رحمة أي: ترحمونهن لما يقمن به من ولادة الولد وحمله وإرضاعه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾ أي: إن هذه الآيات العظيمة لا يدركها إلا الذين يتفكرون في خلق الله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب حمد الله وتسبيحه في الغدو والعشي كما قال تعالى ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾^(١). ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(٢). وفيها: الدلالة على عظمة الله وقدرته في خلق الأشياء المتضادة، فيخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي. وفيها: الدلالة على كمال قدرته وعظيم صنعه في إنشاء الخلق من تراب، ثم تناسلهم وانتشارهم أمما في الأرض مختلفي اللغات والألوان. وفي ذلك قال رسول الله ﷺ: (إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن والخبث والطيب)^(٣). كما أن من آياته الدالة على عظمته: أن جعل لخلقه من الذكور أزواجا من جنسهم؛ لكي يسكنوا إليهن، ثم غرس بينهم المحبة والرحمة؛ لتكوين الأسرة وحفظ النوع إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ السِّنِّكُمْ﴾

(١) سورة الأحزاب الآية ٤١ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٤٢ .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب (٣)، من سورة البقرة، برقم (٢٩٥٥)، سنن الترمذي ج ٥ ص ١٨٧، وأبو داود في كتاب السنة، باب في القدر، برقم (٤٦٩٣)، سنن أبي داود ج ٤ ص ٢٣١، والإمام أحمد في المسند ج ٤ ص ٤٠٠ .

وَالْوَنُكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ
بَالَيْلٍ وَالنَّهَارِ وَابْغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ
ثُمَّ إِذَا دَعَاكُم دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾

بيان الآيات:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: من آياته الدالة
على عظمته وكمال قدرته أنه أنشأ السموات بما فيها من الكواكب
وبهذا الارتفاع الذي لا تدركه الأبصار، وأنشأ الأرض بما فيها من
الجبال والأنهار والبحار والدواب ﴿وَأَخْلَفَ السِّنِّكُمْ﴾ ومن
هذه الآيات: اختلاف اللغات بين البشر، فما من أقوام قلوا أم كثروا إلا
ولهم لغات يتخاطبون بها، ولم تكن هذه اللغات بين البشر، بل جعل
للدواب والطيور لغات يتحدثون بها في نظام وإعجاز لا يقدر عليه إلا
الله عز وجل ﴿وَالْوَنُكُمُ﴾ أي: ومن آياته العظيمة اختلاف الألوان
بين خلقه، فهذا أبيض وهذا أسود وهذا أحمر وهذا أصفر، فلا تجد
واحدا يشبه الآخر، فإن بدا أنه يشبهه في اللون فلا بد أنه يختلف عنه
في عدد من الخواص الأخرى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ أي:

إن في هذه الآيات العظيمة عبراً للعالمين المقرين بقدرة الله وعظمته
وكمال صنعه.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾
أي: ومن آيات الله الدالة على عظمته وقدرته: أن جعل النوم في الليل
راحة تسكن فيه الأجسام من التعب والكلل، وجعل النهار للسعي
والانتشار؛ لطلب الرزق الذي فيه قوام الحياة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ أي: إن في هذه الآيات عبراً للذين يعون
الحقائق ويدركونها.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أي: ومن آياته
الدالة على عظمته أنه يري عباده البرق فتكون رؤياهم له، إما خوفاً
مما قد يعقبه من الصواعق القاتلة، أو تكون رؤياهم له طمعا في
نزول المطر الذي يحيي أرضهم ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْجِ
بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: ومن آياته: أنه القادر على إنزال
المطر من السماء لكي يحيي به الأرض التي همدت واغبرت ويبس
نباتها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي: لا يفهم هذه
الآيات العظيمة إلا الذين يعقلون، فيعرفون أن الله هو القادر وحده
على إنشاء السحاب وإنزال المطر ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ
وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ أي: ومن آياته الدالة على عظيم صنعه وكمال

قدرته: أن السموات والأرض قائمة على تدبيره وتصريفه لها منذ أن خلقها وكونها كما قال عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾^(١). ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾^(٢) أي: ومن آياته الكبرى: أنه عند أمره بقيام الساعة يخرج الناس من قبورهم يرجعون إليه كما قال تعالى ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِّنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾^(٣). ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾^(٤).

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تعداد ووصف لآيات الله، يبين فيها لعباده عظمة خلقه وكمال صنعه وأن عليهم أن يعبدوه وحده. وفيها: تقرير حكمة الله في اختلاف السنة خلقه وألوانهم؛ ليكون في ذلك عبرة لهم. وفيها: حكمته في جعل الليل سكنا لخلقهم، وجعل النهار مبتغاهم في طلب رزقهم ومعاشهم كما قال عز وجل ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾^(٥). ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾^(٦). وقد اقتضت هذه الحكمة عدم قدرة الخلق على تغيير ما أودعه الله في أجسامهم، وجعله نظاما لهم يسرون عليه.

(١) سورة فاطر من الآية ٤١ .

(٢) سورة القمر الآية ٧ .

(٣) سورة القمر الآية ٨ .

(٤) سورة النبأ الآية ١٠ .

(٥) سورة النبأ الآية ١١ .

وفيها: أن من آيات الله ما فيه تخويف للعباد، فالبرق وما ينتج عنه من الصواعق يكون تذكيرا لهم بقوة الله وفيه طمع لهم في إنزال المطر عليهم حين يكونون في شدة من عسرهم وانقطاعه عنهم. وفيها: أن الذين يدركون عظمة آيات الله هم الذين يعونها من قلوبهم ويعقلونها بأفهامهم ومداركهم.

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَانُونٌ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: كل من في السموات من الملائكة وفي الأرض من الجن والإنس كلهم عبيده وتحت ملكه وتصرفه يدبرهم حين شاء ﴿كُلُّ لَهُ قَانُونٌ﴾ أي: كلهم خاضعون لمشيئته وإرادته ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: هو الذي أنشأ الخلق، وأوجدهم من العدم، وهو الذي يعيدهم أحياء بعد موتهم ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ أي: إن الإعادة أيسر عليه والمراد هو إفهام المنكرين للبعث المكذبين به أن إحياء الخلق بعد مماتهم أمر يسير على الله؛ لأنه كما خلق الخلق ويميتهم فمن الهين عليه

جل وعلا بعثهم وهو في كل الأحوال قادر على كل شيء لا يصعب عليه أمر ولا يعجزه شيء في السموات والأرض ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: لا مثيل له فيهما؛ لأنه الرب الواحد الأحد والإله الواحد الأحد ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: القوي في سلطانه الحكيم في تدبيره وتصريفه لخلقه.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بأن الله هو الذي يخلق الخلق إنسهم وجنهم ثم يعيدهم، وإعادتهم أهون عليه، مع أنه لا يصعب عليه أمر ولا يعجزه شيء في السموات والأرض. وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: (يقول الله كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقلوه لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته وأما شتمه إياي فقلوه: اتخذ الله ولدا، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد)^(١).

وفيهما: الحكم بوحداية الله، وأنه لا مثيل له، وأنه الرب الواحد الأحد والإله الواحد الأحد ليس كمثله شيء.

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٦١١، كتاب التفسير، سورة (قل هو الله أحد) باب (١)، برقم (٤٩٧٤).

مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ
 أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ
 الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا
 لَهُمْ مِّنْ نَّصِيرِينَ ﴿٢٩﴾

بيان الآيتين:

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ المخاطب المشركون يقول الله سبحانه لهم: إن الله جعل لكم مثلاً من سلوككم في عنادكم حيث تزعمون الشرك لله. ﴿هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ أي: هل أنتم تجعلون ممالئكم شركاء لكم فيما رزقكم الله من الأموال، والجواب بالنفي؛ لأنه لا أحد يجعل ممالئكم شركاء له في ماله، بل ذلك مستحيل فما دام هذا هو الأمر الواقع فلماذا تجعلون مع الله شريكاً في عبادته وهو من مخلوقاته؟ ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: تخشون أن يقاسمكم ممالئكم أموالكم، فما دمتم بهذا السلوك فكيف تجعلون مع الله شريكاً في عبادته؟ ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي: ضربنا الأمثال وبينناها للذين يعقلون ويعرفون أن الله حق وأنه المستحق للعبادة وحده.

﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: اتبع المشركون

أهواءهم فجعلوا لله شركاء في عبادته ولم يكن ذلك نتيجة علم بل تبعا لأهوائهم وفساد سلوكهم وقلوبهم ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ أي: لا أحد يهدي من أضله الله ﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ﴾ أي: لن يجد المشركون أحداً يهديهم إذا أضلهم الله.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير أن الله يضرب الأمثال للناس؛ لتقريب المعاني والبيانات إلى افهامهم ترشيدا وهداية لهم، ومن ذلك ضرب المثل بالسلوك الذي تسلكه النفس وتفعله. وفيهما: أن الهوى هو السبب في معصية العباد كما قال عز وجل ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ الآية (١).

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٠) ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣١) ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٣٢).

بيان الآيات:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ الخطاب والأمر لرسول الله

ﷺ وهو خطاب وأمر لأمته والمراد: وجهك للدين الحنيف وهو الإسلام الذي شرعه الله لك واستقم عليه ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ أي: إن هذا الدين هو الخلقة التي خلق الله الإنسان وجبله عليها وهي الإيمان به وتوحيده في عبادته ﴿لَا بَدِيلَ لِمَا خَلَقَ اللَّهُ﴾ أي: لا تبديل لدين الله ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ أي: هو دين الفطرة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: إن غالبهم لا يعلم هذه الحقيقة ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ أي: أنتم أيها الناس راجعون إلى الله ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ أي: اخشوه ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: حافظوا عليها في أوقاتها، وأقيموا أركانها وشروطها، وقد خصها الله بالذكر؛ لأنها الجامع لعبادته ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: تبرؤوا من الشرك وأهله وأخلصوا العمل لله وحده.

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَاً﴾ أي: لا تكونوا من الذين تفرقوا في دينهم فكانوا طوائف وأحزابا ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ أي: إن كل طائفة وحزب يتحزب لطائفته وحزبه ويرى أنها وحدها على الحق.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بوجوب الالتزام بدين الإسلام؛ لكونه دين

الفطرة التي فطر الله الناس عليها وهي عبادته وحده، وقد أخذ الله على عباده الميثاق بذلك وهم في ظهور آبائهم كما قال عز وجل ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمُ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾^(١). وفيها: التحذير من تبديل هذه الفطرة وفي هذا روى أبو هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟) ثم يقول ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾^(٢). وفيها: وجوب الإنابة إلى الله بتقواه في السر والعلن وإقام الصلاة بوصفها الجامعة لذكر الله وخشيته. وفيها: التحذير من التفرق في الدين والانقسام إلى شيع وطوائف تدعي كل منها أن الحق معها كما فعل أهل الكتاب والملل الأخرى وفي هذا قال تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ: إنك لست من هؤلاء فأنت منهم على فراق ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَّسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٣).

(١) سورة الأعراف من الآية ١٧٢ .

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٣٧٢، كتاب التفسير، سورة الروم، باب (لا تبديل لخلق الله)، برقم (٤٧٧٥).

(٣) سورة الأنعام من الآية ١٥٩ .

قلت: ولعل أمة المسلمين تعي حق الوعي هذا التوجيه الرباني العظيم فلتلتزم الوحدة في دينها، كما جاء به رسول الله ﷺ من غير تحريف ولا تبديل ولا تأويل؛ ذلك أن تفرقها في الدين سبب مؤكد لتفرقها في كل أمر آخر، فإذا افترقت ضعفت، وإذا ضعفت هانت على أعدائها فيغزونها من داخلها فينتصر هذا العدو لهذه الطائفة، وينتصر ذلك العدو لهذا الحزب وتنسى الأمة حقيقتها، وعندئذ يكون عدوها هو المنتصر وهي الخاسرة.

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَايَنَهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣٤﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٣٧﴾

بيان الآيات:

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ هذا بيان من الله عز وجل وهو الخبر بأحوال خلقه وسلوكهم أنه إذا مسهم ضر في أبدانهم أو أموالهم أو أولادهم دعوا الله منيبين إليه يطلبون منه

كشف الضر عنهم ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ أي: إذا كشف عنهم الضر فأنزل عليهم رحمته من الصحة والمطر والولد تنكر كثير منهم فعبدوا الأصنام وجعلوها آلهة من دونه. ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَيْنَهُمْ﴾ أي: جعلوا مع الله شريكا رغم نعمه عليهم ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ أيها المشركون بما أنعم الله به عليكم في الدنيا ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي: سوف تعلمون يوم القيامة عاقبة فعلكم.

﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ هذا استفهام إنكاري والمراد هل جاءهم بفعلهم هذا المتمثل في دعائهم حال الشدة وكفرهم حال الرخاء حجة أو برهان؟ ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ أي: ينطق بشركهم ويأمرهم به، وهذا مستحيل، وإنما كان السبب اتباعهم لأهوائهم واتباعهم للشيطان ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا﴾ أي: إذا أنعمنا على بعض الناس فوهبناهم رحمة في صحتهم أو مالهم أو ولدهم فرحوا بها واستمتعوا بها ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ أي: إن أصابهم مرض أو جذب بسبب ذنوبهم وكفرهم قنطوا من رحمة الله وتطيروا ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: ألم يدرك هؤلاء بعقولهم أن الله بحكمته يبسط الرزق وييسره لمن يشاء من عباده ويضيق على من يشاء منهم وكل ذلك بحكمته وقدره ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ أي: في هذا عبر لعباد الله الذين يؤمنون بعظمة الله وقدرته وتدبيره لخلقه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير سفه المشركين وجهلهم وضعف مداركهم أنهم يدعون الله عندما يصابون بالشدة، وعندما ينزل عليهم رحمته يعودون إلى ضلالهم فيعبدون معه غيره. وفيها: تهديد لهم بأنهم سيجدون سوء عاقبة فعلهم يوم القيامة. وفيها: تقرير أنه ليس لهم حجة أو برهان فيما يفعلونه وإنما اتبعوا أهواءهم فأضلهم الشيطان. وفيها: أن فريقا من الناس وهم السفهاء والجهلة إذا أصابهم الله برحمة منه كالصحة وإنزال المطر يفرحون بها وإذا أصابهم جذب أو مرض بسبب ذنوبهم يئسوا من رحمة الله وتبرموا مما أصابهم. وفيها: تقرير حكم الله وتدبيره في خلقه أنه يوسع الرزق على من يشاء من عباده، ويضيقه على من يشاء منهم وكل هذا بحكمته.

﴿٢﴾ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣﴾ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّرَبُّوهُ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوهُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٤﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ

ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ مِّنْ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

بيان الآيات:

﴿ فَآتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ هذا عطف على ما قبله وهو أن الله عزوجل لما بين أنه بحكمته يبسط الرزق لمن يشاء ويقدره على من يشاء من عباده أوجب على المسلم أن يؤتي قريبه حقه فينفق على من تجب عليه نفقته كالوالد والولد ومواساة من لا تجب عليه نفقته بإعطائه من زكاته أو من صدقته الأقرب فالأقرب ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ وهو الذي لا مال له ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ والمراد به المنقطع في سفره ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ أي: إن في هذا العمل خيراً كثيراً للذين يبتغون مرضاة الله، ويحبون لقاءه، ليجازيهم على أعمالهم الحسنة ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الفائزون في الدنيا والآخرة.

﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبٍّ لَّيْرُبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرُبُوا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ أي: ما أعطيتكم من عطية أو نفقة أو هدية تريدون أن يأتيكم أكثر منها، فهذا لا أجر له عند الله؛ لأنه عمل دنيوي يراد أن يقابله عمل أكثر منه ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ أي: ما تأتون من زكاة أو عطية تبتغون بها وجه الله، فإن الله يضاعف لكم الأجر والثواب.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ أي: هو الذي أنشأكم من
العدم إلى الوجود ثم رزقكم أي: يسّر لكم أسباب الرزق لحفظ
أنفسكم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ أي: بعد انتهاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾
أي: يبعثكم أحياء مرة أخرى؛ لترجعوا إليه ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ
يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: هل يفعل شركاءكم الذين تعبدونهم
من دوني شيئاً من الخلق والرزق والحياة بعد الموت؟ والجواب
بالنفي ومادام الأمر كذلك قطعاً؛ فإن من السفاهة والحماقة أن
تفعلوا ما فعلتم.

﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تنزهه وتقدس وتعالى عن
الشريك والمثيل.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب بذل النفقة للأقارب وهي على نوعين: نفقة
واجبة للوالدين والولد كما قال تعالى في حق الوالدين ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ
أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(١). والقضاء هنا بمعنى الأمر
والإلزام، وأول الإحسان: إنفاق الولد على والديه، وقال تعالى في وجوب
النفقة للولد ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٢).

(١) سورة الإسراء من الآية ٢٣ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٣٣ .

النفقة الثانية: نفقة مستحبة وهي للقريب الذي لا تلزم نفقته كالأخ المحتاج، والأخت المحتاجة ونحوهما فالصدقة على هؤلاء فيها أجران أجر الصدقة وأجر القربى. وفي هذه الآيات: وجوب إعطاء الفقير وذو الحاجة وابن السبيل الذي انقطعت به السبل وهذا من باب التكافل بين أفراد الأمة عملاً بقول رسول الله ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)^(١). وفيها: تقرير أن الذي يعطي عطية وينتظر مقابلها أو أكثر منها ليس له أجر وشاهده قول رسول الله ﷺ (ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها)^(٢).

وفيها: تقرير مضاعفة الأجر للذي يعطي العطية ابتغاء مرضاة الله ومحبته في لقاءه. وفيها: تقرير عظمة الله وقدرته في الخلق والبعث وتقرير فساد المشركين بجعلهم شركاء يعبدون من دون الله مع معرفتهم بأنهم مخلوقون لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضراً ولا نفعاً.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٦٠٣، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاظدهم، برقم (٢٥٨٥).

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٠ ص ٤٣٧، كتاب الأدب، باب ليس الواصل بالمكافئ، برقم (٥٩٩١).

بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾

بيان الآيتين:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ أي: انتشر في أنحاء الأرض بما
تشملة من البر والبحر والجو، فكثر فيها المعاصي وانتهكت محارم
الله، ففشا الربا والرشا وعم الظلم، وفقد العدل وضيعت الأمانة
﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ أي: ما حدث هذا إلا بسبب أفعال الناس
وسلوكلهم ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ أي: يصيبهم الله بالنقص
في أنفسهم بانتشار الأمراض فيهم والنقص في أموالهم، بسبب الجذب
والقحط وقلة البركة وذلك جزاء لهم على أفعالهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾
أي: يبتليهم الله بهذا النقص لعلهم يتفكرون في أمرهم وأحوالهم
فيرجعوا إلى الله ويتوبوا عن معاصيهم.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ﴾
السير في الأرض يكون: إما بالبدن، أو بالعقل بالتفكير ومعرفة أحوال
الأمم الماضية، وكيف كانت عاقبة الذين كذبوا بآيات الله وعصوا رسله
واتبعوا أهواءهم ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ أي: كانت غالبيتهم
مشركين بالله كافرين بنعمه فانتقم منهم فأهلكهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: عبر كثيرة منها: أن الناس إذا افسدوا علاقتهم مع الله بانتهاك محارمه انتقم منهم فأصابهم بالنقص في أنفسهم وأموالهم ليريهم عاقبة أفعالهم. ومنها: أنه عز وجل ينذرهم بهذا النقص لعلمهم يتفكرون في أحوالهم، لعلمهم يدركون أن ما أصابهم كان بسبب معاصيهم فيتوبون منها والأُمم في هذا قسمان: أُمم تدرك أن ما حدث لها كان بسبب ذنوبها فترجع عنها، وأُمم لا تتفكر فيما يصيبها فتستمر على ما هي عليه من المعاصي وقد وصف الله هذه الأُمم بقوله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ يَرْوُونَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾^(١). فهذه الأُمم حرية بأن ينزل الله عليها أشد العذاب في الدنيا كما حدث للأُمم البائدة مثل عاد وثمود. وفي هاتين الآيتين: أن التفكير في أحداث الأُمم الماضية واجب وذلك إما بمعاينة ما حدث لها من خلال ما بقي لها من آثار أو بقراءة تواريخها.

﴿فَاقْمِ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾

(١) سورة التوبة الآية ١٢٦ .

بيان الآيات:

﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾ هذا أمر من الله لرسوله وأمر لأُمته بالاستقامة على دين الإسلام والتمسك به وامتنال ما فيه من أوامر الله واجتناب ما فيه من نواهيه، فهو الدين الحق الذي من استقام عليه نجا، ومن أعرض عنه شقي ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ ﴾ أي: استقيموا على هذا الدين قبل أن يأتي يوم القيامة وهو اليوم الذي لا عودة بعده إلى الدنيا ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَعُونَ ﴾ أي: يوم يأتي هذا اليوم يتفرق الناس إلى فريقين: فريق في الجنة وفريق في السعير.

﴿ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ﴾ أي: من كفر في الدنيا فعليه وزر كفره في اليوم الذي لا مرد له وهو يوم القيامة ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ أي: من عمل صالحا في الدنيا بأن استقام على دين الله فقد هيا لنفسه مكانا آمنا يتنعم فيه يوم القيامة وهو الجنة ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي: في ذاك اليوم الذي لا مرد له، يجزي الله عباده الذين آمنوا به وعملوا الصالحات من فضله أي: بمنه وكرمه عليهم، فإن العمل الصالح سبب لدخول الجنة، أما المنعم والمتفضل بها فهو الله وحده ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ أي: يبغضهم ولكنه يعدل فيهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بوجوب الاستقامة على دين الإسلام؛ لأنه الدين الحق كما قال عز وجل ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١). وقوله عز ذكره ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢). وفيها: تقرير أن من كفر في الدنيا وجد في الآخرة جزاء كفره، وأن من آمن وعمل صالحا في الدنيا، فقد هيا نفسه لدخول الجنة، وذلك بفضل الله عليه. وفيها: تقرير أن الله لا يحب من كفر به، ولكنه العادل الذي لا يجور كما قال عز وجل ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٣).

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٤) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥)

بيان الآيتين:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ أي: إن من آيات الله الدالة

(١) سورة آل عمران من الآية ١٩ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٨٥ .

(٣) سورة الكهف من الآية ٤٩ .

على عظمته وأنه الرب الواحد والإله الواحد أنه يرسل الرياح تبشر بنزول المطر ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ أي: يرحمكم بنزول المطر الذي بشرت به الرياح ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ﴾ أي: تجري السفن بالرياح وإن كانت السفن تسير في هذا الزمان بالبخار، فإن الرياح بقدرة الله تؤثر على سيرها وجريانها. ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: تطلبوا أرزاقكم بالتنقل في البحر من مكان إلى مكان ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: تحمدون الله وتشكرونه على ما أنعم به عليكم من النعم الكثيرة.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ في هذا تسليية لرسول الله ﷺ وعزاء له عما يصيبه من الذين كذبوه والمراد أرسلنا إلى الأمم السابقة رسلا، وبينا لهم الأدلة والبراهين فكذبوها ﴿فَأَنقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوهُ﴾ أي: أهلكناهم بالعذاب ونجين المؤمنين منهم ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: تعهدنا بنصر المؤمنين.

الحكماء والمؤمنين

في هاتين الآيتين: الحكم بعظمة الله وقدرته وتدبيره لخلقه وتصرفه فيهم بحكمته. وفيهما: الحكم بأن النعم التي يمتن الله بها على عباده تستوجب منهم شكره عليها، وهذا يقتضي أن الكفر بها موجب لعقابه كما قال عز وجل ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ

وَلَيْنَ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿١﴾. وفيهما: تقرير أن الله ينتقم من المجرمين، إما بتعجيل العذاب لهم، أو تأجيله إلى يوم القيامة. ومنها: أن الله عز وجل وعد بنصر المؤمنين ووعدده الحق وله في كل الأحوال الفضل والمنة.

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانْظُرْ إِلَى عَائِثٍ رَحِمَتْ اللَّهُ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ أي: من دلائل عظمة الله وقدرته أنه يبعث الرياح، فتثير سحباً إما من البحر أو من غيره ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ أي: ينشره في السماء ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾ أي: قطعا ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾

(١) سورة إبراهيم الآية ٧ .

أي: يخرج المطر من السحاب ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾
 إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿أي: إذا أنزل الله المطر على من أَرَادَهُ من عباده
 استبشر الناس بنزوله لكونهم يعلمون ما فيه من المنافع لسقياهم
 وإنبات زروعهم وسقي أنعامهم .

﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾
 أي: إن هؤلاء الذين استبشروا بنزول المطر عليهم قد أجهدهم الجذب
 فأصبحوا يائسين من نزوله ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ أي:
 المطر ﴿كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: انظر كيف تتحول
 من البؤس المشبه للموت إلى حياة ممتلئة بالنبات ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ
 الْمَوْتَى﴾ أي: إن الذي يفعل ذلك بقدرته قادر بقدرته أن يحيي
 الموتى بعد مماتهم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: قادر على فعل
 ما يريد، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا
 فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ أي: لو أرسلنا ريحا على النبات فرأوه قد اصفر
 من الفساد ﴿لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ أي: أصابهم السخط
 والغضب فكفروا ووجدوا النعم التي سبق أن أنعم الله بها عليهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بين الله كيف ينشئ السحاب وينزل المطر؛ لمنافع

عباده، وكيف يستبشرون به بعد سيطرة القنوط عليهم. وفيها: وجوب التفكير فيما ينتج بعد المطر من إحياء الأرض بعد تعرضها لموت نباتها، ففتحول بعده من أرض هامدة إلى أرض تنبت أزواج النبات المبهجة. وفيها: أن القادر على هذا قادر على إحياء الموتى من قبورهم. وفيها: أن من العباد من ينسى نعم الله عليه، فإذا تعرض نباته لريح أفسدته، تسخط وكفر بما أنعم الله عليه كما قال عز وجل ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (١).

﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَن يُوْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾

فيان الأبرار

﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾
المراد أنك يا محمد لا تستطيع أن تسمع الموتى في قبورهم ولا يسمع نداءك الصم الذين لا يسمعون الكلام، لهذا لا تقدر على هداية هؤلاء الكافرين؛ لأنهم أدبروا عن سماع الحق وأعرضوا عنه ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ

الْعُمِّي عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ﴿٥٦﴾ وكما أنك لا تقدر على إسماع كلامك للصم، فإنك لا تقدر على هداية العمي عن ضلالتهم ﴿٥٧﴾ إِنْ تُسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٨﴾ أي: لا يسمعك إلا الذين آمنوا بآياتنا واستجابوا لما أمرناهم به فهديناهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: التنديد بالكافرين لعدم سماعهم نداء الحق وأنهم الأموات والصم الذي لا يسمعون من يناديهم. وفيهما: أنه لا يسمع آيات الله إلا الذين آمنوا به وخضعوا له واستجابوا لما أمر به.

﴿٥٦﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٧﴾

بيان الآية:

هذا بيان من الله عز وجل عن مراحل خلق الإنسان وتطوره منذ كونه نطفة، إلى أن يشيخ فينتهي بانتهاء أجله ولهذا قال ﴿٥٦﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ﴿٥٧﴾ أي: بدأ الخلق من نطفة، ثم تحولت النطفة إلى علقة، ثم إلى مضغة، مخلقة في الرحم ثم الولادة ﴿٥٨﴾ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴿٥٩﴾ أي: يتحول الضعف في الطفولة إلى قوة الشباب

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ أي: يتحول الإنسان من قوة الشباب والرجولة إلى حالة الكبر وخروج الشيب فالشيخوخة فالهرم ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: يفعل ويدبر ما يشاء ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بأحوال خلقه ﴿الْقَدِيرُ﴾ في تدبيره.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تقرير تطور خلق الإنسان وتدرجه من بداية خلقه إلى نهاية حياته وانتقاله إلى الحياة الآخرة. وفيها: بيان قدرة الله عز وجل، وتفرد وحده بالخلق متى يشاء وكيف يشاء، وأنه المدبر لخلقه المتصرف فيهم، العليم بأحوالهم من بدء خلقهم إلى يوم يرجعون إليه للحساب والجزاء.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ ٥٥ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٥٦ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ ٥٧.

بيان الآيات:

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾

هذا بيان من الله أن المشركين عند قيام الساعة يقسمون أنهم ما لبثوا في الحياة الدنيا غير ساعة، وذلك إنكاراً لقيام الحجة عليهم ﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ أي: كانوا بقسمهم هذا يكذبون فكما كانوا منصرفين عن الحق في الدنيا، فهم في كلتا الحالتين يكذبون ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ وللدرد على كذبهم يقول لهم أهل العلم والإيمان في الآخرة إنكم لبثتم في الدنيا عمرا من يوم خلقتهم إلى أن جاءكم أجلكم، وإن هذا محصى عليكم في الكتاب الذي تسجل فيه أعمالكم وأعماركم ﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: هذا هو اليوم الذي وعدتم فيه ببعثكم ليوم الحساب ولكنكم كنتم معرضين عن الحق.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ﴾ أي: لا ينفعهم اعتذارهم عن أفعالهم الفاسدة في الدنيا ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: لا يطلب منهم العتب.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: أن المجرمين حين ينكرون مدة لبثهم في الدنيا، لكي لا تقوم عليهم الحجة يرد عليهم أهل العلم بأن أعمالهم محصاة عليهم وأنهم مكثوا مدة أعمارهم وعندئذ لا ينفعهم عذرهم ولا يطلب منهم

العتبي كما قال تعالى ﴿وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾^(١).

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ
بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾^(٥٨) كَذَلِكَ يَطْبَعُ
اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ^(٥٩) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ^(٦٠)
وَلَا يَسْتَخَفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ.

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ يبين الله تعالى أنه ضرب للناس الأمثال التي ترشدهم إلى الحق وتبينه لهم بالحجج والبراهين القاطعة والأدلة المحسوسة؛ لئلا يكون لهم عذر عند مساءلتهم يوم الحساب ﴿وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ والمراد أنك لو جئت المكذبين بك بأي آية أو معجزة تدل على نبوتك ورسالتك ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ أي: سوف يقولون إن ما جئت به باطل، ويصفونه بأبشع الأوصاف كالسحر أو الشعر، أو الكهانة، فهم في كل الأحوال مكذبون بك ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: إن الله يطبع على قلوب هؤلاء الكافرين، فلا تستجيب لمقولة نصح، ولا تقبل وعود خير.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: اصبر على تكذيبهم لك

وجحودهم لآيات الله وإنكارهم لرسالته، فإن الله وعدك وعد الحق وسينجز وعده وينصرك عليهم وسوف يظهر الله دينه ﴿وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ أي: اثبت على ما أنزل الله إليك من الكتاب، ولا يستفزك عن دينك الذين لا يؤمنون بلقاء الله قيل: المراد به النضر بن الحارث كبير المكذبين لرسول الله ﷺ المؤذين له^(١) وقيل: المراد به المشركون بعمامة وهو الأولى.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الله قد أقام الحجة على العباد بما ضربه لهم من الأمثال التي تدلهم على الحق وتبينه لهم واضحا لا شك ولا لبس فيه. وفيها: تقرير أن المكذبين بآيات الله، لا يستهدون بحجة، ولا يهتدون بهدى، فكل حق يأتيهم يصفونه بالباطل، وكل صدق من القول يصفونه بالكذب، ولهذا طبع الله على قلوبهم، فأصبحوا لا يميزون بين الهدى والضلال، ولا بين الحق والباطل. وفيها: الأمر لرسول الله ولأمته المسلمة أن يصبروا على ما ينالهم من الأذى في سبيل الدعوة إلى الله فإن الله وعد المؤمنين - ووعد الحق - بالنصر على أعدائهم. وفيها: الأمر كذلك بالثبات على دين الله الإسلام وعدم الاستفزاز مما يعمله الكافرون مما هو بين اليوم في استفزاز المسلمين واتهامهم بالإرهاب والفاشية ونحو ذلك من الأوصاف التي تدل على الكيد المبني للمسلمين.

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ٤٩ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة لقمان

مكية وآياتها أربع وثلاثون آية

﴿الْم ١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ
يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾

بيان الآيات:

﴿الْم﴾ هذه من الحروف المقطعة الله أعلم بمراده فيها ﴿تِلْكَ
ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ أي: هذه الآيات المنزلة آيات الكتاب المحكم
الذي أنزله الله من اللوح المحفوظ، فلا يعتريه نقص أو تبديل؛ لأن
الله حفظه بحفظه من حين أنزله إلى أن يرث الأرض ومن عليها
﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: أنزله الله هداية ورحمة للذين
أحسنوا في أعمالهم فجعلوها خالصة لوجه الله ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ هذا وصف للذين
جعل الله آيات كتابه هدى ورحمة لهم بأنهم يقيمون الصلاة أي:
يؤدونها كما أمر الله بها، ويؤتون الزكاة من أموالهم طيبة بها
نفوسهم كما أمر الله بها، ويؤمنون بالبعث والنشور والحساب

والجزاء ويرجون من ربهم أن يتفضل عليهم بالجزاء الحسن على أعمالهم ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي: أنهم على تلك الحال من الأعمال الصالحة قد اهتموا بهدى ربهم، وهو التزامهم بدينه دين الإسلام وثباتهم عليه ودعوتهم إليه ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الذين تحصل لهم السعادة والفوز في الدنيا والآخرة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير فضل القرآن وآياته المعجزات، وأنه كتاب الله أنزله من اللوح المحفوظ، وحفظه بحفظه، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وفيها: أن القرآن هدى ورحمة لمن آمن وصدق به واتبع مافيه من الأحكام. وفيها: وجوب الصلاة والزكاة والإيمان بالبعث. وفيها: أن من اهتدى بهدي القرآن سيكون على هدى من الله.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ وإذا نتل عليه آيتنا ولّى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم ﴿٧﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾

بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴿ هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث فقد كان - كما سبق ذكره - يشتري كتب الأساطير، ويجلس في مكة، فإذا قيل له إن محمداً قال كذا، استهزأ به وحدثهم بأحاديث الفرس وغيرهم وقال: هذه أحسن من أحاديث محمد. وقيل: إنه كان يشتري المغنيات، فإذا رأى أحداً يريد الدخول في الإسلام ذهب به إلى قيناته وقال لإحداهن أطعميه وأسقيه وغنّيه^(١).

قوله ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أي: من الناس من يختار الأحاديث الباطلة بما فيها من اللهو والمعازف والغناء وكل حديث فاسد ليضل به غيره بعد أن ضل هو في نفسه بهذه الأحاديث ﴿ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴾ أي: يتخذ دين الله هزواً يسخر ويستهزئ به كما كان النضر بن الحارث يفعل ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ أي: لأولئك المستهزئين بآيات الله عذاب شديد، يهانون ويذلون به يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا وَلِيَ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرَآنًا ﴾ أي: إن هذا اللاهي بالأحاديث الباطلة إذا سمع آيات الله تتلى أعرض عنها مستكبراً، كأن لم يسمعها، كأن في أذنيه صمماً لا يسمع منه وما به صمم، وإنما هو الكبر وفساد القلب وغشاوة العمى ﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي: بشره بما سيلقى يوم القيامة من العذاب المهين.

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٥٥٣، والدر المنثور ج ٥ ص ٣٠٧.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بتحريم اللغو بالقول أو الفعل المحرم، ويدخل في ذلك الغناء، خاصة الأغاني الماجنة المنتشرة في هذا الزمان، فيحرم سماعها والاتجار فيها. كما يدخل في هذا الحكم: كل ما هو شائع أيضاً في هذا الزمان من نوادي الغناء والرقص والمسرحيات الفاسدة ونحو ذلك من المحرمات التي تصد عن ذكر الله، وتزرع السوء في النفوس. وفيهما: تحريم الاستهزاء بآيات الله، سواء على سبيل الجد أو اللعب وشاهده قول رسول الله ﷺ: (أَنْ الْعَبْدَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يُلْقِي لَهَا بِالَا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ) ^(١). وفيهما: تحريم الكبر بأنواعه؛ لما يمثله من قبح السلوك ووضاعته، وقد توعد الله الوليد بن المغيرة لكفره وتكبره وعجبه بنفسه كما قال عز وجل ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ ^(٢). إلى قوله ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ وَأَسْتَكْبَرَ﴾ ^(٣).

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ۝٨ خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٩ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١١ ص ٣١٤، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، برقم (٦٤٧٨).

(٢) سورة المدثر الآية ١١ .

(٣) سورة المدثر الآية ٢٣ .

دَابَّةً وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾
هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي
ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾

بيان الآيات:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ لما ذكر
الله حال الذين يشترون لهو الحديث ليضلوا به عن سبيل الله وما
ينتظرهم من العذاب الأليم وعد المؤمنين الذين آمنوا بالله وكتابه
ورسوله وسارعوا بالأعمال الصالحة بأن لهم جنات النعيم ﴿خَالِدِينَ
فِيهَا﴾ أي: يقيمون فيها إقامة خلود لا يتحولون عنها ولا يزولون
﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ أي: وعد قاطع واقع لا شك فيه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ﴾ أي: هو القادر الذي خضع كل شيء لعزته وهو الحكيم
في إرادته وتصرفه في مخلوقاته.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أي: أنشأ السموات وكوّنوها
قائمة عامرة مستوية دون عمد تمسكها، وهذا من عظيم صنعه
وكمال قدرته ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي: ومن
عظيم خلقه: أن جعل في الأرض جبالا تحفظها من الاضطراب والميلان
بأهلها ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ أي: ونشر فيها أصناف الدواب في
البر والبحر مما لا يعلمه إلا هو ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا

مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ أي: ومن مظاهر قدرته أنه ينزل المطر على الأرض، فتنبت أصنافا من النبات حسنة المنظر.

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ ﴾ أي: هذا خلقه للسموات والأرض والدواب وإنزال المطر ﴿ فَأَرْوِيْ مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء أروني ماذا خلق الذين تعبدونهم من دون الله؟ وجوابهم سيكون بلا شك بالنفي؛ لأنهم لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له كما قال عز وجل ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ (١). ﴿ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: إن المشركين بالله ضالون عن الحق ضللا مبينا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير وعد الله للمؤمنين بأن لهم جنات النعيم التي يخلدون فيها. وفيها: بيان قدرة الله في خلق الكون العلوي والسفلي وتدبيره لخلقه وتصرفه فيهم. وفيها: تقرير ضلال المشركين؛ بسبب إعراضهم عن الحق وعدم التفكير والتبصر في آيات الله.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ

لَا بُنْهٖ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنِى لَا تُشْرِكْ بِاللّٰهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴿١٥﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ ^(١) اختلف في صفة لقمان هل كان نبيا يوحى إليه أم كان من عباد الله الصالحين؟ فقليل: إنه نبي ^(١)، وقيل: إنه عبد صالح، ولعل هذا أقرب ^(٢). وقيل: إنه من النوبة ^(٣) وقد آتاه الله الحكمة والمراد بها قوة الفهم والعلم والفقہ في الدين ^(٤) ﴿أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ أي: أمره الله أن يشكره على ما وهبه من هذه الخصائص ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ أي: يعود جزاء شكره عليه ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ أي: من تولى وأعرض عن شكره، فإن الله غني عنه وعن سائر الخلق وهو حميد في إنعامه وفضله عليهم.

(١) تفسير البغوي ص ١٠١٢، وزاد المسير لابن الجوزي ص ١١٠٠.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١١ ص ٦٧، وزاد المسير ص ١١٠٠.

(٣) وهي سلسلة من الجبال الممتدة من جنوب مصر حتى الجزء الجنوبي الغربي من السودان. انظر: تاريخ جبال النوبة لأحنام عثمان محمد إبراهيم ص ٢٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٤٢٧.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ﴾ هذا بيان من الله لرسوله ليذكر المشركين أن لقمان أمر ابنه ووعظه وحذره من الشرك بالله بقوله ﴿يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ أي: وجب عليك أن تعبد الله وحده فلا تجعل له ندا ولا شريكا؛ لأنه هو الإله المتفرد بالكمال والمنزه عن الشريك ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ أي: إن الشرك بالله أعظم الظلم، ذلك أنه تعدّد على وحدانية الله وتفرد به بالألوهية ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ أي: وعلاوة على عدم الشرك بالله يجب بر الوالدين بقوله ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي: عانت منه الوهن والجهد والتعب في حمله وولادته ﴿وَفِصْلَهُ فِي عَمَيْنِ﴾ أي: عانت تربيته وإرضاعه مدة عامين ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ أي: اشكرني على ما أنعمت به عليك، حيث خلقتك من العدم إلى الوجود، وهيات لك أسباب الحياة، واشكر كذلك والديك على ما فعلاه لك من حملك وتربيته والإنفاق عليك حتى أصبحت رجلا قادرا ﴿إِلَى الْمَصِيرِ﴾ أي: إلى المرجع فأجازي كلا بما عمل.

﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ أي: إن أرادوا حملك على الشرك بي، فإياك أن تطيعهما، بل يجب عليك عصيانهما؛ لأن عبادة الله وتوحيده مقدمة على كل شيء ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ أي: كن لهما صاحباً في الدنيا

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الله يمن على من يشاء من عباده فيعطيه الحكمة والفقه في العلم والدين. وفيها: التحذير من الشرك بالله ووصفه بأنه أعظم الظلم؛ لأنه تعد على وحدانية الله في عبوديته وألوهيته. وفيها: الأمر للولد ببر والديه وإيراد ما تتحمله أمه من الجهد في حمله وولادته وإرضاعه جاء على وجه تعظيم هذا الحق. وشاهده: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: من أحق بحسن صحابتي؟ قال: (أمك) قال: ثم من؟ قال: (أمك) قال: ثم من؟ قال: (أبوك) (١).

قلت: ولكن بر الوالد متحقق ولازم؛ لأن الله قال ﴿وَلِوَالِدَيْكَ﴾

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٠ ص ٤١٥، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة ؟ برقم (٥٩٧١).

وهذا شامل للأُم والأب. وفيها: أن حق الوالدين لا يعلو على حق الله، فإذا أرادا دفع ولدهما إلى الشرك بالله بطل حقهما في ذلك، فيجب لهما حينئذ المصاحبة بالمعروف وهي: البر والصلة مع عدم طاعتها في معصية الله؛ لقول رسول الله ﷺ: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)^(١). وفيها: الأمر للمسلم باتباع سبيل المؤمنين؛ لأنها السبيل الحق. وفيها: أن الخلائق سوف ترجع إلى الله، ثم ينبئهم بأفعالهم التي عملوها في الدنيا ويجازيهم عليها.

﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ
أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾^(١٦)
يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا
أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ^(١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ
فِي الْأَرْضِ مُرَحًّا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ^(١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ
وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ^(١٩) ﴿

بيان الآيات:

﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ قيل: إن ابن لقمان قال لأبيه: يا أبت إن عملت الخطيئة ولا يراني أحد كيف يعلمها الله

(١) أخرجه الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح في كتاب الإمارة والقضاء، برقم (٣٦٩٦)، ج ٢ ص ١٠٩٢، وقال الألباني حديث صحيح والإمام أحمد في المسند ج ١ ص ١٣١.

فأوصاه أبوه بعدد من الوصايا قائلا له: إن كانت هذه الخطيئة تزن
 مثقال حبة من خردل^(١) ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي
 الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ أي: إن كانت هذه الخطيئة التي تزن حبة
 الخردل مكنونة في صخرة أو تكن في ملكوت السموات أو في الأرض،
 فإن الله يعلمها ويجازي عليها يوم القيامة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾
 أي: رحيم بعباده، فلا يخفى عليه خافية وهو خير بما يجري في
 الكون علوه وسفله .

﴿يَبْنِىْ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ وهذا أمر بإقامة الصلاة بأركانها
 وشروطها وفي أوقاتها ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ أي: مُرْ
 بكل فعل فيه خير للناس في أمر دينهم ودنياهم، وأنه عن كل فعل فيه
 شر لهم في دينهم ودنياهم ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ أي: اصبر على
 ما ينالك من الأذى حين تقوم بهذا الأمر ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾
 أي: إن الصبر على الأذى من عزم الرجال وتحملهم وصبرهم.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ أي: لا تصرف وجهك عن الناس حين
 تتحدث معهم تكبرا عليهم واحتقارا لهم ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾
 أي: لا تمش في الأرض في تكبر وخيلاء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ
 فَخُورٍ﴾ أي: يبغض ويكره كل متكبر يتبختر في مشيته فخور بنفسه

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص ١١٠١ .

ومعجب بها ناسيا نعم الله عليه وجاحدا شكره عليها ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ أي: اقتصد وأنت تمشي لا تكن بالمتعجل فيها ولا بالبطيء، بل ليكن مشيك وسطا غير متكبر فيه ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ أي: لا تكثر من الكلام، أو ترفع صوتك في غير فائدة ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ لما بين الله وجوب غض الصوت شبه رفع الصوت بصوت الحمير؛ لما فيه من السوء والقبح والنعارة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأنه ما من عمل مهما كان حجمه إلا ويعلمه الله، سواء كان من عمله مجاهرا به أو مستترا به في صخرة أو في أرجاء السموات والأرض فسوف يأتي الله به يوم القيامة، لينبئ به أصحابه ثم يجازيهم عليه إن خيرا فخير، وإن شرا فشر كما قال عز وجل ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(١). ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٢). وفيها: وجوب إقامة الصلاة بأركانها وشروطها وفي أوقاتها. وفيها: وجوب الأمر بكل ما فيه خير والنهي عن كل ما فيه شر كما قال عز وجل ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣).

(١) سورة الزلزلة الآية ٧ .

(٢) سورة الزلزلة الآية ٨ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٤ .

وفيها: وجوب الصبر على ما ينال المسلم؛ بسبب دينه. وفيها: تحريم الكبر والاستعلاء على الناس وشاهده قول رسول الله ﷺ: (لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق)^(١). وفيها: تحريم المشي خيلاء كما قال عز وجل ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾^(٢). وفيها: وجوب غض الصوت؛ لما في رفعه من النكارة والقبح.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾^(٢٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ^(٢١).

بيان الآيتين:

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا بيان من الله عز وجل لخلقه يذكركم بفضله ونعمه عليهم حيث سخر لهم ما في السموات من الشمس والقمر والنجوم والرياح المسيرة للسحاب، وسخر لهم ما في الأرض من البحار والأنهار والأشجار والأنعام.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٦٦٧، كتاب البر والصلة، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، برقم (٢٦٢٦).

(٢) سورة الإسراء الآية ٣٧.

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ أي: أكمل وأتم عليكم نعمه، وهذه النعم منها: ما هو ظاهر ومحسوس كخلقهم في أحسن تقويم، وكمال عقولهم ومداركهم وتيسير سبل الحياة لهم. ومنها: ما هو باطن كحفظ الله لهم بدفع الأضرار التي لا يعلمونها عنهم، وفوق كل ذلك هدايتهم إلى الدين القويم وإنزال الكتاب عليهم وبعث الرسول الرحيم إليهم؛ ليرشدهم ويدلهم على ما فيه منافعهم الدينية والدنيوية.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ ورغم النعم التي أسبغها الله على خلقه، فإن منهم من يكفر بها ويجادل في الله مجادلة باطلة، فهو ضال؛ لأنه لا يستند في مجادلته على علم من الله ولا هدى منه ولا كتاب مبين يعتمد عليه ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ أي: إذا قيل لهؤلاء المجادلين: اعبدوا الله وحده وتبرؤوا من الشرك به تولوا وأعرضوا وقالوا: إننا نتبع ما وجدنا عليه آبائنا فنعبد ما كانوا يعبدون ونفعل ما كانوا يفعلون ﴿أُولَٰئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: ومن جهلهم وسفاهتهم أنهم يتبعون آبائهم في ضلالهم، ولو كان الشيطان يدعو آبائهم إلى النار المستعرة، وسوف يدعوهم كذلك إلى أن يكونوا معهم في هذا العذاب.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الدعوة إلى التفكير فيما سخره الله لخلقه؛ لأنهم إذا فكروا وأدركوا أن الله هو الذي خلقهم، وسخر لهم ما في السموات والأرض، فسوف يعبدونه وحده. وفيهما: وجوب الإقرار بنعم الله الظاهرة والباطنة وشكر المنعم عليها. وفيهما: الحكم بتحريم الجدل بالباطل، واستحقاق المجادل للعقاب كما قال عز وجل ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾^(١). ﴿ثَانِي عَطْفِهِ، لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ، فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ، يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(٢). وفيهما: الحكم بتحريم تقليد من يضل عن الطريق السوي، سواء كان التقليد لمجرد التبعية له دون التفكير فيها، أو كان عن قصد وإعجاب بالمقلد -بفتح اللام وتشديدها- كما يفعله بعض جهلة المسلمين اليوم من تقليد غيرهم في سلوكه وعاداته، ولو كان هذا السلوك يخالف دينهم.

﴿وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(٢٢) وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾

(١) سورة الحج الآية ٨.

(٢) سورة الحج الآية ٩.

بيان الآيات:

﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: يتجه بوجهه وقلبه منقادا لأمر الله خاضعا وخاشعا لعظمته ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: مخلصا في عبادته موحدا لربه ﴿فَقَدْ أَسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ أي: فقد أخذ عهدا من الله أن يجازيه بأحسن من عمله ﴿وَالِإِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ أي: إن مرد كل أمر في الدنيا والآخرة لله عز وجل فهو الغالب على أمره الحاكم لخلقه ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ﴾ أي: لا يحزنك يا محمد من كفر من مرجعهم فننبئهم بما عملوا ﴿أَي: لا يحزنك يا محمد من كفر من قومك، فإن مرده إلى الله، وسوف ينبئه بما يفعل، ثم يجازيه عليه﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿أي: يعلم أسرارهم وخفاياهم، وكل ما عملوه سرا أو جهرا مدون عليهم، وسوف يعلمونه حين يعرضون يوم القيامة.﴾

﴿نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا﴾ أي: ننظرهم وقتا قصيرا في الدنيا لحين أجلهم المسمى ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ أي: ندفعهم إلى ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ أي: شديد وكبير.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن من اتجه إلى الله بوجهه وقلبه مخلصا له العبادة، مؤمنا بما جاء به رسوله محمد ﷺ، فقد أخذ من الله

عهدا أن ينجيه من العذاب. وفيها: أن الكافر لا يضر بكفره أحدا، وإنما يضر نفسه؛ لأنه سيعود إلى الله ثم ينبئه بسوء أفعاله ويجازيه عليها. وفيها: أن الكافرين بالله الجاحدين لنعمه سوف يمتعون قليلا في الدنيا ثم يدفعون إلى العذاب.

﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ أي: إن سألت يا نبينا محمداً المشركين من قومك عن خلق السموات والأرض، سوف يقولون لك إن الله هو الذي خلقها لهذا ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: قامت عليكم الحجة وعرفت أن الله هو الخالق، إذن لماذا تعبدون غيره؟ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: إنهم سفهاء وجهلة؛ لأنهم لما اعترفوا بوحداية الله في ربوبيته، كان عليهم أن يعترفوا بوحدايته في ألوهيته ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: إن كل ما في الكون العلوي والسفلي عبيد لله ملك له ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ أي: غني عن خلقه وهو محمود في تدبيره لهم وتصرفه فيهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: جهل مشركي العرب وسفاهتهم فهم يعترفون بوحدانية الله في ربوبيته، ثم يعبدون معه غيره، مع أن العقل يقتضي أن الذي خلق الخلق، وخلق كل شيء، وأوجد المعدوم إلى الوجود هو الأحق بالعبادة من غيره، ولكن الإنسان إذا ضل قلبه فلن تجد له وليا مرشدا.

﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٧ ﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ٢٨ ﴾

بيان الآيتين:

﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ المراد بالكلمات: العلم ووقائع الوجود، فلما كان الجهل يغشى قلوب المشركين بسبب البيئة التي كانوا يعيشونها وانعزالها عن العالم وسيطرة السفاهة والضلال عليها، بين عزوجل لهم عظمتهم وقدرته حيث سخر لهم ما في السموات والأرض لعلهم يتوبون إليه فلا يعذبهم فناسب أن يبين لهم سعة علمه أن شجر الأرض كله لو تحول إلى أقلام والبحر، أصبح مدادا ومن ورائه سبعة أبحر أخرى وكتب بتلك الأقلام كلمات الله الدالة على علمه وقدرته وعظيم

جلاله ما نفدت كلماته، بل إن البحار هي التي تنفذ والأقلام هي التي تنكسر، ولا يعني ذكر الشجر والبحار الثمانية على وجه الحصر لكلمات الله، وإنما ورد ذكرها على سبيل التمثيل والمبالغة، أما كلمات الله فلا يحدها حد ولا يحصرها حصر ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: قاهر لكل شيء حكيم في تدبيره وتصرفه ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أي: إن خلق الخلق كلهم وبعثهم كلهم مثل خلق وبعث نفس واحدة كل ذلك على الله يسير ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ أي: يسمع ما في الوجود ويبصر ما فيه، لا تشبهه عليه اللغات ولا تختلف عليه الأصوات.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بأن الله يتكلم، وكلامه مما يليق بجلاله. ومنها: أن كلماته غير متناهية أي: لا تنفذ بأكثر من أقلام الشجر والبحور التي ذكرها، وإنما جاء ذكرها على سبيل المبالغة والتقريب لعقول المخاطبين؛ لأنهم لا يفهمون ما وراء ذلك، فناسب أن يبين لهم على قدر أفهامهم. أما كلمات الله المراد بها علمه المحيط بكل شيء في الوجود، فلا يحدها حد ولا يحصرها حصر، بل هو العليم والمحيط بها لا يعلمها ولا يحيط بها إلا هو. وفيهما: أن خلق الخلائق وبعثهم كلهم هو مثل خلق وبعث نفس واحدة كما قال عز وجل ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾^(١). وقوله عز ذكره ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا

(١) سورة النحل من الآية ٧٧ .

أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ ﴿١﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ
اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ هذا استفهام تقريرى الخطاب به رسول الله ﷺ والمعنى ألم تعلم يا نبينا محمداً ﴿أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ الإيلاج الإدخال والمعنى أنه يدخل جزءاً من النهار في الليل فيطول، ويدخل جزءاً من الليل في النهار فيطول حسب تعاقب فصول السنة ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: سخرهما في نظام دقيق، لا يتبدل ولا يتغير لمنافع عباده إلى أن تقوم الساعة مما يدل على عظيم قدرته ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: عليم بما يفعله عباده في سرهم ونجواهم من عمل صالح أو عمل سيء ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي: هذا الذي ذكر لكم من إيلاج الليل في النهار، وإيلاج النهار في الليل، وتسخير الشمس والقمر، إنما هو بإرادة الله وتصريفه؛ لأنه الإله الحق ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ﴾ أي: إن

الأصنام التي يعبدها المشركون إنما هي عمل باطل ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ أي: هو العلي في ذاته الذي لا يعلو عليه أحد من مخلوقاته وهو الكبير المتعالي في ملكوته له الأسماء الحسنى والصفات العلاء.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير الدلائل العظيمة والآيات البينات التي تقرر وجوب توحيد الله وطاعته وتفرد به بالربوبية والألوهية. وفيهما: أن كل أعمال المشركين أعمال باطلة؛ لأنها لا تقوم على علم ولا هدى ولا كتاب مبين، وإنما هي من أعمال الشيطان وضلاله. وفيهما: أن الله عز وجل هو العلي في ذاته وأسمائه وصفاته وأنه الكبير بكبريائه وعظمته وجلاله.

﴿الْمَرَّانَ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِّنْ آيَاتِهِ﴾
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾

بيان الآيتين:

﴿الْمَرَّ﴾ هذا استفهام تقريرى والمراد ألم تعلم يا نبينا محمداً ﴿أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾ أي: هو الذي سخر البحر وجعل السفن تجري فيه بقدرته وإنعامه على عباده بتيسير سبل الحياة لهم ﴿لِيُرِيَكُمْ مِّنْ آيَاتِهِ﴾ أي: ليرىكم من آياته التي تدل على

عظمته وعلى تفرده بالربوبية والألوهية وأنه المستحق وحده للعبادة. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي: في هذه الآيات عبرة ودلالة لكل مؤمن بالله حق الإيمان، صابر على ما يناله من بأساء أو ضراء، شكور لله في كل حال إن أصابته سراء شكر، وإن أصابته ضراء صبر، فكان كل ذلك خيرا له. ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾ أي: إذا كان العباد في البحر فأصابهم موج كالجبال ﴿دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: أخلصوا الدين له لإدراكهم أن آلهتهم لن تنفعهم وأن الله هو الذي سيكشف عنهم الضر وينجيهم من ظلمات البحر ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْنَصِدٌ﴾ قيل: في المقتصد عدة معان: وذكر ابن عباس أنه الوفاء بما عاهد العبد الله عليه في البحر^(١) وقيل: (مقتصد) أي: مقتصد في القول مضمّر للكفر وهذا قول مجاهد^(٢) وقيل: في الكلام حذف والمعنى: فمنهم مقتصد، ومنهم كافر، ودل على المحذوف قوله تعالى ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾^(٣) أي: ما يجحد بآيات الله ونعمه على عباده إلا الغدار والكفور الجاحد لنعم الله فيكفرها ويعرض عن شكرها.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بأنه ما من شيء يسير في السموات والأرض

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ٨٠ .

(٢) تفسير البغوي ص ١٠١٥، وزاد المسير لابن الجوزي ص ١١٠٤ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ج ١٤ ص ٨٠ .

إلا بإرادة الله وتصريفه. وفيهما: وجوب الصبر على أقدار الله في السراء والضراء والشكر له في كل الأحوال كما قال عز وجل ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾^(١). وقوله عز ذكره ﴿وَالْعَصْرِ﴾^(٢). ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾^(٣). ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾^(٤). وفيهما: تقرير أن المشركين كانوا يلجؤون إلى الله في الضراء ويدعون معه الأصنام في السراء مما يدل على جهلهم وسفاهتهم.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^(٣٣).

بيان الآية:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ هذا أمر من الله للناس أن يتقوه في السر والعلن باتباع أوامره وترك نواهيه ﴿وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ أي: في هذا اليوم يوم القيامة لا ينفع أحد أحدا، فالوالد لا يقدر أن يفدي ولده والولد لا

(١) سورة آل عمران من الآية ٢٠٠.

(٢) سورة العصر الآية ١.

(٣) سورة العصر الآية ٢.

(٤) سورة العصر الآية ٣.

يقدر أن يفدي والده إنما هي الأعمال ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: إن وعده بيوم الحساب والجزاء وعد حق لا شك فيه ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: لا تلهيكم عن يوم الجزاء فتركوا إليها وتنسوا ذلك اليوم ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ أي: لا يغرنكم الشيطان بتسويفه وأمانيه ولهوه.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: وجوب تقوى الله في السر والعلن لأن أساس العلاقة بين الله وعباده هو التقوى فهي جماع الإيمان والصلاح كما قال عز وجل ﴿فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١). وفيها: وجوب خشية يوم القيامة؛ لأنه لا يفدي فيه أحد أحدا، لا والد عن ولد ولا ولد عن والد، إنما هي الأعمال التي يحاسب الله عليها عباده كما قال رسول الله ﷺ في الحديث القدسي: (إنما هي أعمالكم أحصيتها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)^(٢). وفيها: الحكم أن وعد الله بقيام الساعة وحساب الخلق وجزائهم وعد حق لا ريب فيه. وفيها: التحذير من غرور الدنيا والاطمئنان إليها، فهي مجرد وقت زائل وفي هذا قال

(١) سورة الأعراف من الآية ٣٥.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٥٩٢، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٧٧).

ابن عمر رضي الله عنهما: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك^(١). وفيها: التحذير من غرور الشيطان والركون إلى وعده وأمانيه، فهو يحرص على أن يركن إليه العبد حتى يفاجئه الأجل فيندم وحينئذ لا ينفع الندم.

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٣٤)

بيان الآية:

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ هذا مما استأثر الله عز وجل بعلمه فلا يعلم قيامها إلا هو كما قال تعالى ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْعِهَا إِلَّا هُوَ﴾^(٢). ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ وهذا مما استأثر الله بعلمه فهو الذي يعلم زمان نزوله والمكان الذي ينزل فيه ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ أي: يعلم ما في الأرحام من الأجنة من إناث أو ذكور أو أصحاء أو مرضى ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ أي: أن من المحال على الإنسان أن

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١١ ص ٢٣٧، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، برقم (٦٤١٦).

(٢) سورة الأعراف من الآية ١٨٧ .

يعلم ما في غده من صحة أو مرض أو غنى أو فقر أو حياة أو موت ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ أي: أن من المحال أن يعرف المرء مكان موته في الأرض، فقد يموت في موطنه أو قريب أو بعيد منه، وقد يموت في البر أو في البحر أو في الجو وفي الحديث: (إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة)^(١) فكل ذلك بقدر الله وإرادته ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ أي: عليم بأمور مخلوقاته خبير بأحوالهم.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: عدد الله عز وجل مفاتيح الغيب وهي أمر الساعة وإنزال الغيث ومكنونات الأرحام ومستقبل الإنسان ومكان نهايته، فهذه المغيبات مما استأثر الله بها في علمه المحيط، فإذا أمر بها عرفها الملائكة الموكلون بها ثم عرفها المخلوقون حين تنزل بهم ففي حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: (خمس لا يعلمهن إلا الله عز وجل) ثم تلا ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٢).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين ج ١ ص ١٠٢، في کتاب الإیمان، وقال «هذا حديث صحيح ورواته عن آخرهم ثقات».

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٤٥٦، کتاب الإیمان، باب بیان الإیمان والإسلام والإحسان. برقم (٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة السجدة

مكية وآياتها ثلاثون آية

﴿الَمْ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾
أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ
مَنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾

بيان الآيات:

﴿الَمْ﴾ الله أعلم بمراده ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الكتاب القرآن، والمراد أنه لا ريب ولا شك في تنزيله من رب العالمين ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أي: يقول المشركون والكافرون المكذبون لرسول الله ورسالته أنه افتراه أي: اختلقه من عنده فكذبهم الله بقوله ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: هو الكتاب الحق المنزل من ربك يا محمد حقا وعدلا وصدقا ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مَنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أي: لتنذر به قوما هم العرب ما جاءهم نذير من قبل مجيئك لهم بالرسالة، فلعلهم يهتدون إلى الحق ويتركون الشرك والضلال.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله أنزل القرآن على عبده ورسوله محمد

ﷺ نزولا لا ريب ولا شك فيه كما قال تعالى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(١). وفيها: تقرير تكذيب المشركين والكافرين أن محمدا ﷺ هو الذي اختلق القرآن. وفيها: الحكم بأن القرآن منزل من عند الله، ليكون نذيرا للعرب وغيرهم، لأنهم لم يكونوا قبل رسول الله ﷺ ذوي عهد برسول أو نبي يرشدهم إلى توحيد الله وطاعته.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾^٤
يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ
أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ
الرَّحِيمُ ﴿٦﴾

بيان الآيات:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ هذا بيان من الله عز ذكره أنه الذي صنع بقدرته وعظمته السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام هي: الأحد، والإثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، والجمعة، ثم استوى على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ أي: لا مالك

(١) سورة البقرة الآية ٢ .

لكم أيها الخلق إلا هو، ولا ولي لكم إلا هو ولا شافع يشفع لكم إلا بإذنه ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا استفهام إنكاري والمراد أفلا تتفكرون في ذلك أيها المشركون مع الله غيره، فتثوبوا إلى رشدكم ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ أي: يدبر ويصرف أمر المخلوقات من السماء وينزل أمره إلى أهل الأرض فيما يخصهم وتصعد الأعمال إليه في يوم مقداره ألف سنة في حساب الخلق، بينما تصل إليه الأعمال في لحظة مما يدل على عظيم سلطانه ﴿ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: هو الله الذي يعلم ما في الغيب ويشهد على أعمال عباده ﴿الْعَزِيزُ﴾ أي: بسلطانه وجبروته ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده الصالحين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله عز وجل خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، أولها: يوم الأحد وآخرها: يوم الجمعة، وهو أفضلها. وفيها: أن الله استوى على العرش وهو سقف المخلوقات والاستواء معلوم وكيفه مجهول، ولكنه استواء يليق بجلال الله وعظمته.

وفيها: الحكم بأنه لا ولي للخلق إلا الله، ولا شافع يشفع لهم بغير إذنه فهو المالك لهم، والمدبر والمصرف لهم. وفيها: أن تدبير الخلق وتصريفهم يقرره الله في السماء، ثم ينزل إلى الأرض فيتحركون بما

جرت به المقادير عليهم من السماء. وفيها: أن أفعال العباد وأعمالهم تعرج إلى الله في يوم يعد ألف سنة في حساب الخلق، ولكنه في قدرة الله يعد في لمح البصر. وفيها: أن الله هو الذي يعلم الغيب وحده كما قال عز وجل ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(١). وفيها: أن الله عز وجل هو الذي يشهد على أفعال العباد وأعمالهم بعزته ورحمته لعباده الصالحين.

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾^(٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ^(٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ^(٩) وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ^(٩).

بيان الآيات:

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ أي: هو الذي أحسن صنع الأشياء كلها فتجيء متقنة حسب ما يريد ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ لما ذكر الله حسن خلقه لعموم الأشياء خص الإنسان بحسن خلقه حيث بدأ هذا الخلق من طين كما هو الحال في خلق أبي الخلق آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ أي: يتناسل الإنسان

من النطفة التي تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾ أي: بعد ذلك يسويه كما فعل بآدم، ثم ينفخ فيه الملك الروح فيكون بشرا متأهلا للخروج من بطن أمه بعد نهاية مدته في رحمها ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾ أي: جعل لخلقه ما يسمعون به وما يبصرون به، وجعل لهم العقول التي يدركون بها منافعهم ومضارهم ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ أي: رغم هذه النعم التي أنعم الله بها عليكم من السمع والبصر والعقل لا تشكرونه إلا قليلا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله أتقن صنع الأشياء كما قال عز وجل ﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ ^(١). وفيها: تقرير صنع الله للإنسان، حيث بدأ خلق أبيه آدم من تراب، ثم جعله يتناسل من نطفة تخرج من ماء الرجل وماء المرأة فيمتزجان، ويتكون منهما الولد بقدره الله وتدبيره، وذلك بتسويته ونفخ الروح فيه. وفيها: تقرير نعمة السمع والبصر والعقل وما فيهما من المنافع للإنسان. وفيها: أنه يجب على الخلق شكر الله على نعمه والإقرار بفضائله عليهم.

﴿ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ

(١) سورة النمل من الآية ٨٨.

رَبِّهِمْ كَفَرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَنُوفِّكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

بيان الآيتين:

﴿وَقَالُوا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: قال المنكرون للبعث: حينما نموت ونتحول إلى تراب في الأرض ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: هل نخلق من جديد. وقد بين الله مقصدهم بقوله ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ أي: هم منكرون للبعث والحساب والجزاء ﴿قُلْ يَنُوفِّكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ أي: قل لهم يا نبينا محمداً سوف يتوفاكم الملك الموكل بقبض أرواحكم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ أي: تعودون إليه أحياء يحصي عليكم أعمالكم ويحاسبكم عليها فما عملتم من خير وجدتم جزاءه، وما عملتم من شر وجدتم جزاءه.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير كفر المنكرين للبعث كما قال عز وجل ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَنُنَبِّئَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(١). وفيهما: أن ملك الموت هو الموكل بقبض الأرواح فينتزعها أعوانه انتزاعاً من اجساد الكافرين كما قال عز وجل ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ

(١) سورة التغابن الآية ٧.

أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ
عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١١﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا
أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَأَنِينَا كُلَّ نَفْسٍ هَدَيْنَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ
الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا
إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٤﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾
لما ذكر الله عز وجل إنكار المشركين للبعث ذكر أنهم يأتون يوم
القيامة وهم منكسون رؤوسهم من الذل والمهانة، والخوف من
العذاب فيقولون ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ أي: رأينا الحق وسمعناه
﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ أي: ارجعنا إلى الدنيا لكي
نعبدك ونوحدك ونطيع ما أمرتنا به، فقد تيقن لنا أن قولك حق وأن
البعث حق، وأن وعدك حق، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَنِينَا كُلَّ نَفْسٍ هَدَيْنَاهَا﴾
أي: لو أردنا لهدينا الناس كلهم ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ

جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١﴾ أي: إن المشيئة اقتضت أن لا يكون الناس كلهم على الهدى فيكون للجنة أهلها وللنار أهلها ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي: يقال للمجرمين الذين كفروا بالله وكذبوا بالبعث: ذوقوا العذاب؛ بسبب كفركم وتكذيبكم به وتناسيكم له ﴿إِنَّا نَسِيتَكُمْ﴾ أي: سنعاملكم على حسب فعلكم وهو ترككم في العذاب نسيانا لكم ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: سوف تخلدون في العذاب لقاء عملكم وتكذيبكم به.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وصف حال المكذبين بالبعث يوم القيامة وما يعترتهم من الذلة والمهانة وإقرارهم بأن وعد الله حق وطلبهم الرجوع إلى الدنيا كما قال تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْسَ نَارُ وَلَا نُنْكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١). وفيها: الحكم بأن مشيئة الله اقتضت أن يكون للجنة أهلها، وللنار كذلك أهلها. وفيه وجوب المجازاة بالمثل، فمن تناسى أحكام الله تناساه الله كما قال تعالى ﴿الْيَوْمَ نَنَسِّكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ (٢).

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا

(١) سورة الأنعام الآية ٢٧ .

(٢) سورة الجاثية من الآية ٣٤ .

بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

بيان الآيات:

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ﴾ أي: إن الذين يصدقون بآيات الله ويرون أنها الحق الذي لا مرأى فيه هم ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا ﴾ أي: إنهم إذا سمعوا آيات الله تتلى عليهم استمعوا وأنصتوا خاضعين وساجدين ﴿ وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: قدسوه في سجودهم وفي نفوسهم ﴿ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ عن تسبيحه وتقديسه وعبادته ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ أي: يتركون مضاجعهم من أجل الصلاة في الليل ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ أي: يتضرعون إليه خوفاً من عذابه وطمعاً في رحمته ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ أي: يؤتون زكاة أموالهم، ويتصدقون بفضول أموالهم، فلا يبخلون على قريب ولا على محتاج ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ أي: لا يعلم أحد ما أخفى الله لهم من الثواب الجزيل في جنات النعيم بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: جزاء لهم على عملهم في الدنيا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تحريم الاستكبار عن عبادة الله كما قال عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(١). وفيها: فضل قيام الليل وفي حديث معاذ بن جبل قال: كنت مع رسول الله ﷺ في سفر فأصبحت يوما قريبا منه، ونحن نسير فقلت: يا نبي الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار قال: (لقد سألت عن عظيم وأنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت) ثم قال: (ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل) ثم قرأ قول الله تعالى ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ الحديث^(٢).

وفيها: وعد من الله للمؤمنين بالجزيل من الثواب الذي لا يعلمه أحد إلا هو وفي حديث أبي هريرة: عن رسول الله ﷺ قال: (قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)^(٣).

(١) سورة غافر من الآية ٦٠ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٥ ص ٢٣١، وسنن الترمذي ج ٥ ص ١٣، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، برقم (٢٦١٦).

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٣٧٥، كتاب التفسير، باب قوله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) برقم (٤٧٧٩).

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ ١٨ ﴿ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ١٩ ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴾ ٢٠ ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ٢١ ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴾ ٢٢ ﴿

بيان الآيات:

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ هذا استفهام إنكاري، والمعنى: أن من كان مؤمناً بالله مصداقاً بآياته متبعاً لرسوله لا يتساوى مع الفاسق العاصي لربه المكذب لرسوله وآياته ﴿ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ أي: أن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة من الفروض والنوافل والصدقات والبر والإحسان ﴿ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ ﴾ أي: يستحقون الجنات ﴿ نُزُلًا ﴾ أي: دار إقامة وسكن لهم ﴿ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: جزاء لهم على أعمالهم الصالحة. ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا ﴾ أي: الذين عصوا الله واستكبروا عن عبادته ﴿ فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ﴾ أي: مقامهم النار ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ

يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴿١﴾ أي: كلما رغبوا الخروج منها؛ لشدة ما يقاسونه من عذابها أعادتهم ملائكة العذاب إليها ﴿٢﴾ وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٣﴾ أي: تقول لهم ملائكة العذاب وهي توبخهم وتؤنبهم: ذوقوا العذاب جزاء تكذيبكم به ﴿٤﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴿٥﴾ أي: سوف نذيقهم من عذاب الدنيا، وهو ابتلاؤهم بالمصائب في أنفسهم بالأمراض وفي أموالهم بالنقص هذا اضافة إلى العذاب الأكبر يوم القيامة ﴿٦﴾ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧﴾ أي: يتوبون إلى الله ﴿٨﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ﴿٩﴾ أي: لا أحد أظلم ممن جاءته آيات ربه بينة ﴿١٠﴾ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴿١١﴾ استكبارا وجحودا وكفرا ﴿١٢﴾ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿١٣﴾ أي: سننتقم منهم يوم القيامة أشد الانتقام جزاء إعراضهم عن آيات الله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير عدم التسوية بين المؤمن والفاسق، والمطيع والعاصي كما قال عز وجل ﴿١﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢﴾. وقوله تعالى: ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١﴾

وفيها: تقرير جزاء المؤمنين وجزاء الفاسقين، وأن الفاسقين يعادون إلى العذاب، كلما أرادوا الخلاص منه، وذلك جزاء تكذيبهم به في الدنيا. وفيها: أن الله قد يأخذ المكذبين لرسوله بالعذاب في الدنيا بما يصيبهم في أنفسهم وأموالهم وأولادهم، ناهيك عما يستحقونه من عذاب الآخرة!. وفيها: أنه لا أحد أظلم ممن جاءته آيات الله ثم تولى عنها جحودا وكفرا.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِۦ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُم يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ المراد به التوراة وكما أعطيناه هذا الكتاب أعطيناك يا نبينا محمداً القرآن ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِۦ﴾ أي: لقاء موسى ليلة الإسراء وقد ورد - كما سبق ذكره - أن رسول الله ﷺ لقيه ونصحه أن يطلب من ربه التخفيف عن أمته في شأن الصلاة ففعل عليه الصلاة والسلام حيث طلب من ربه التخفيف

عن أمته حتى جعلها خمسا بعد أن كانت خمسين ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: الكتاب الذي أنزل على موسى كان هاديا لبني إسرائيل ومبيناً لهم أوامر ربهم ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يدعون إلى الخير والإحسان والأعمال الصالحة، وذلك عندما كانوا صابرين لأمر الله مؤمنين بآياته كما قال تعالى ﴿لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿فَلَمَّا تَوَلَّوْا وَعَرَضُوا قَتَلُوا أَنْبِيَاءَهُمْ وَحَرَفُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَأْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَلَمْ يَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ سَلَبَ اللَّهُ مِنْهُمْ هَذِهِ الْمِيزَةَ﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: يفصل بينهم في اختلافهم على أنبيائهم، كما يفصل بين الأمم الأخرى فيما اختلفت فيه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الله كما أنزل على موسى التوراة أنزل القرآن على نبيه ورسوله محمد ﷺ، وفي هذا رد على المشركين وعلى اليهود في تكذيبهم لرسالته عليه الصلاة والسلام وإنكارهم لها. وفيها: تأكيد الإسراء والمعراج كما قال عز وجل ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ، لِنُرِيَهُ مِّنْ آيَاتِنَا﴾ الآية^(١). وفيها: تقرير أن الله جعل من بني إسرائيل

(١) سورة الإسراء من الآية ١ .

أئمة يدعون إلى الله لما كانوا صابرين على طاعته وموقنين به، فلما بدلوا في كتابهم وحرفوه وقتلوا من أنبيائهم من قتلوا سلب الله هذه الصفة منهم وغضب عليهم كما قال عز وجل ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(١). وقوله ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾^(٢). وفيها: الحكم بأن الله عز وجل سوف يحكم بينهم ويحكم بين الأمم التي اختلفت على أنبيائها ورسلاها.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾^(٢٦) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾^(٢٧).

بيان الآيتين:

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ أي: أفلم يتبين لهؤلاء المكذبين بآيات الله ورسوله كم هي الأمم التي أهلكناها وهم يرون آثار هلاكها حين يمشون في مساكنهم، وكيف تحولت من مساكن عامرة إلى مساكن خاوية كحال مساكن عاد وثمود وغيرهم. وما كان هذا العذاب ليصيبها إلا

(١) سورة البقرة من الآية ٦١ .

(٢) سورة المائدة من الآية ١٣ .

بسبب تكذيبها لرسالتها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ أي: في هلاك تلك الأمم عبر ومواعظ ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: افلا يستمعون لهذه المواعظ التي تتلى عليهم ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ أي: ألم يتبين لهؤلاء ما أنعمنا به على المكذبين لآيات الله ورسالته أننا ننزل عليهم الماء من السماء فنسوقه إلى الأرض اليابسة فتحيا به بعد موتها، ويكون في حياتها خير لهم، وذلك مما تنبته من النبات لمعاشهم وأنعامهم كما قال تعالى ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ﴾ وقوله ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ أي: هم عمي فلا يبصرون هذه الآيات بأعينهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب الاعتاظ بما حل بالأمم السابقة من العذاب وكيف أصبحت مساكنها خاوية بعد عمرانها، وذلك جزاء تكذيبها لرسالتها كما قال عز وجل ﴿فَإِنَّكَ بِؤُسُتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾^(١). وفيهما: تقرير جهل المشركين والكافرين وسفاهتهم حيث إنهم يرون آيات الله في نفوسهم وأموالهم؛ وذلك بإنزال المطر عليهم وإحياء الأرض لهم ومع ذلك يكذبون بآيات الله.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٨) قُلْ يَوْمَ

(١) سورة النمل من الآية ٥٢ .

الْفَتْحُ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾

بيان الآيات:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: يقول المكذبون لرسول الله محمد ﷺ وللمؤمنين: متى هذا النصر الذي تقولون إنكم تنصرون علينا؟ يقولون هذا استهزاء واستبعادا لما يقوله المؤمنون من نصر الله لهم فأمر الله نبيه ورسوله محمدا ﷺ أن يرد عليهم بقوله ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي: إذا جاء يوم الفتح الذي فيه النصر عليكم وعقابكم فلا ينفعكم إذن إيمانكم ولا تمهلون للتوبة من معاصيكم ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾ أي: أعرض يا محمد عن جدالهم وعن تكذيبهم لك وانتظر نصر الله الذي وعدك به وهم ينتظرون عذاب الله الذي سيحل بهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير سفاهة المشركين باستعجالهم العذاب تكذيبا به وقد جاءهم العذاب العاجل يوم بدر، فقتل صناديدهم وسوف يلاقون عذاب الآخرة جزاء بما كانوا به يستهزئون. وفيها: أن التوبة تكون في حال الإمهال، أما إذا حل العذاب، أو إذا حضر الموت فلا ينفع ندم ولا توبة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأحزاب

مدنية وآياتها ثلاث وسبعون آية

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾

بيان الآيات:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ روي أن أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور عمرو بن سفيان ذهبوا إلى المدينة بعد معركة أحد ونزلوا على عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين في المدينة وقد أعطاهم رسول الله ﷺ الأمان على أن يكلموه، فقام معهم عبد الله بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا لرسول الله ﷺ: أرفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل: إن لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك ودينك، فشق قولهم ذلك على رسول الله ﷺ فقال عمر بن الخطاب وكان حاضرا مقولتهم: دعني يا رسول الله أقتلهم فقال عليه الصلاة والسلام: (إني قد أعطيتهم الأمان) فقال

عمر: أخرجوا في لعنة الله وغضبه، فأمر رسول الله ﷺ أن يخرجوا من المدينة فنزلت هذه الآية^(١) وهي ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ أي: الزم تقواه ومخافته ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ المراد بهم أهل مكة وهم أبو سفيان ومن كان معه ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ المراد بهم المنافقون من أهل المدينة وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول وطعمة بن أبيرق والمعنى: لا تطع هؤلاء الكافرين والمنافقين فيما عرضوه عليك؛ لأنه عرض وقول باطل ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ أي: عليما بكفرهم ﴿حَكِيمًا﴾ فيما سيعاقبهم به.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: التزم واثبت على ما ينزل عليك من القرآن أو ما يعلمك الله به من الوحي ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ أي: يعلم جميع أقوالكم وأفعالكم في سرهم وجهركم فلا تخفى عليه خافية ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: اعتمد على الله، وفوض جميع أمورك إليه ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ أي: حافظا لمن توكل عليه وأنا بإليه.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب تقوى الله المقتضية طاعته بفعل أوامره وترك نواهيه. وفيها: تحريم طاعة الكافرين والمنافقين واتباع أهوائهم، وهذا

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٥٦١، وتفسير البغوي ص ١٠٢٢.

يقتضي معنى البراء منهم، وهذا حكم عام للأمة في كل زمان وحال حيث إن الكافرين لا يأمرهم إلا باتباع ملتهم ومن ابتغى هذه الملة فلن يقبل منه عمل كما قال عز وجل ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾^(١). وفيها: وجوب اتباع ما أوحى الله به إلى نبيه من القرآن أو من السنة كما قال تعالى ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾^(٢). وفيها: وجوب التوكل على الله؛ لأن في هذا التوكل صدق الإيمان به، واليقين بأنه المعين والكافي والحافظ كما قال عز وجل ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٣).

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ النِّسَاءِ تَظَاهِرُونَ مِنَّنِ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾^(٤) ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾^(٥).

(١) سورة آل عمران الآية ٨٥ .

(٢) سورة الأعراف من الآية ٣ .

(٣) سورة الطلاق من الآية ٣ .

بيان الآيتين:

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ قيل: إن هذه الآية نزلت في جميل بن معمر الفهري، كان ذكيا وكانت قريش تقول ما يكون هذا إلا في رجل له قلبان، وقد اغتر بقولهم فقال: إن لي قلبين أعقل بهما أفضل من عقل محمد فكذبه الله وكذب قريشا^(١) ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ الْأُنثَى تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ وهذا أيضا رد على أهل الجاهلية فإذا قال أحدهم لزوجته: أنت علي كظهر أمي حرمت عليه فأبطل الله ذلك وجعل للظهار حكما هو الكفارة ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ أي: لم يجعل الله الدعي ابنا لمولاه، فقد كان أهل الجاهلية وفي صدر الإسلام يعدون الابن بالتبني ابنا تترتب له كل الحقوق التي للابن الحقيقي ومن ذلك: تحريم الزواج من امرأته إذا طلقها أو مات عنها ﴿ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ﴾ أي: أن قول أحدكم لزوجته أنت علي كظهر أمي وقوله لدعيه ابني قول باللسان ولا معنى له في الحكم، فليست زوجته تحرم عليه، وليس دعيه ابنا حقيقيا له ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ ﴾ أي: العدل ﴿ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ أي: يهدي إلى طريق الهدى والرشاد.

﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ ﴾ أي: ادعو الأدعياء لأبائهم الحقيقيين فلا تقولوا مثلا: زيد بن محمد، بل قولوا زيد بن حارثة ﴿ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ

(١) أسباب نزول القرآن للواحد ص ٥٦١، وتفسير البغوي ص ١٠٢٢ .

اللَّهُ ﴿١﴾ أي: إن دعوتهم لأبائهم الحقيقيين هو أعدل عند الله ﴿٢﴾ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴿٣﴾ أي: إن لم تعرفوا آباءهم الحقيقيين لأي سبب، فادعوهم باسم الأخوة في العقيدة ﴿٤﴾ وَمَوْلَاكُمْ ﴿٥﴾ أي: هم بنو عمكم فادعوهم بذلك، وإن كان الدعي ممن ملكتموه ثم اعتقتموه فقولوا له (مولاي) ﴿٦﴾ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴿٧﴾ أي: ليس عليكم إثم في قولكم للدعي يا ابن فلان وهو ليس كذلك؛ لأنكم لم تتعمدوا بهذا القول بل كان مجرد خطأ منكم ﴿٨﴾ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩﴾ أي: يغفر ويتجاوز عن ذنوب من تاب إليه، ورحيم بإعطاء المهلة لعباده ليتوبوا إليه.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بأن الله لم يجعل للمرء إلا عقلا واحدا وهذا يقتضي حكما أنه لا يجتمع في الإنسان إيمان وكفر، فمن كفر بالله وكذب بآياته فهو كافر، ولو قال إنه مؤمن ومن وإلى الكافرين وأحبهم واتبعهم فلا يكون مواليا للمؤمنين، ولو ادعى موالاتهم وحبهم وهكذا. وفيهما: تحريم الظهار الذي كان سائدا في الجاهلية وقد أنزل الله حكمه فيه بقوله عز وجل ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِّن نِّسَائِهِمْ مَّا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ﴿١١﴾. وقد

(١) سورة المجادلة من الآية ٢.

جعل فيه الكفارة وهي عتق رقبة، أو صيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكينا كما قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ ذَلِكَمُ تُوَعُّظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(١). ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾^(٢). وفيها: تحريم التبني وما يترتب عليه من أحكام، كتحريم الزوج من مطلقته وتقرير إرثه، وقد ذكر أهل التفسير أن هذه الآية نزلت في زيد بن حارثة، وكان أهل خيل من تهامة قد سبوه، فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد فوهبه لعمته خديجة فوهبته لرسول الله ﷺ فاعتقه وتبناه فأقام عنده مدة، ثم جاء أبوه وعمه يرغبان في فدائه فقال لهما رسول الله ﷺ قبل بعثته: (خيراه فإن اختاركما فهو لكما دون فداء) فخيراه فاختر البقاء مع رسول الله ﷺ على قومه فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: (يا معشر قريش اشهدوا أنه ابني يرثني وأرثه) فرضي بذلك أبوه وعمه وقد أنشد فيه أبوه قصيدة حين سُبِي منها قوله:

تذكرنيه الشمس عند طلوعها

وتعرض ذكره إذا غربها أفل

(١) سورة المجادلة الآية ٣ .

(٢) سورة المجادلة من الآية ٤ .

وإن هبت الأرياح هيجن ذكره

فيا طول ما حزني عليه وما وجل

سأعمل نص العيس في الأرض جاهدا

ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل

حياتي أو تأتي علي منيتي

فكل امرئٍ فإنٍ وإن غره الأمل^(١)

وفيهما: وجوب مناداة المرء المتبنى بأبيه فإن لم يعرف له أب نوذي باسم الأخوة في الله فيقول صاحبه: هذا أخي في الله أو ينادى باسم العمومة فيقول: هذا ابن عمي، أو إن كان معتقاً فيقول: هذا مولاي. وفيها: انتفاء الإثم إذا أخطأ الإنسان في نسبة شخص إلى غير أبيه إذا لم يكن عامداً ذلك، وشاهده قول الله عز ذكره ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾^(٢). وشاهده أيضاً قول رسول الله ﷺ: (إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)^(٣).

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ١١٨، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، ج ٢ ص ٢٣٨.

(٢) سورة الأحزاب من الآية ٥.

(٣) سنن ابن ماجه ج ١ ص ٦٥٩، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره، برقم (٢٠٤٣).

الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَّعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ
فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

بيان الآية:

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ لقد كان من حسن حظ
هذه الأمة أن جعل الله منها نبيا شقيقا عليها رحيمًا بها كما قال
عز وجل ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(١). فبهذا جعله الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم
وفي هذا قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه أبو هريرة:
(ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤوا إن
شئتم ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فأیما مؤمن ترك
مالا فليرثه عصبته من كانوا فإن ترك دينا أو ضياعا فليأتني
وأنا مولاه)^(٢). ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ أي: أن أزواج رسول الله ﷺ
أمهات للمؤمنين في الحرمة وفي احترامهن وإكرامهن والترضي عنهن
﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي:
أن أهل القربابات أولى في الإرث من غيرهم والمراد به ما كان سائدا

(١) سورة التوبة من الآية ١٢٨ .

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٣٧٦، كتاب التفسير سورة الأحزاب، برقم (٤٧٨١).

في صدر الإسلام من التوارث باسم الدين والهجرة وهو معنى قوله ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾. ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَّعْرُوفًا﴾ أي: إلا أن تبروا بوصية جائزة لأحد من المؤمنين أو المهاجرين فهذا مما يجوز ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ أي: أن كَوْن الأرحام بعضهم أولى ببعض حُكْمٌ حَكَمَ الله به وسطره في اللوح المحفوظ.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: وجوب تقديم إرادة رسول الله ﷺ وحبه على إرادة المسلم وحبه لنفسه وولده وماله وكل الناس؛ ذلك أنه عليه الصلاة والسلام جاء بالهدى الذي أنقذ الله به من الضلالة، فما نالت الأمة من الهداية وما اندفع عنها من الشرك والإثم إلا بسبب رسالته فهو الأب الرحيم للأمة وشاهده قول الله عز ذكره ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١). وشاهده من السنة: قول رسول الله ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين)^(٢). ولما قال عمر: والله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا

(١) سورة النساء الآية ٦٥ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٦١٣، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، برقم (٤٤).

من نفسي قال عليه الصلاة والسلام: (لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك) فقال عمر: أنت أحب إلي من نفسي، فقال رسول الله ﷺ: (الآن يا عمر)^(١). وفيها: حرمة أزواج رسول الله ﷺ وأنهن أمهات المؤمنين، وهذا يقتضي تكريمهن وتوقيرهن والترضي عنهن وإن من تعرض لهن أو لإحداهن بسب أو فحش أو فرية فإن الله بريء منه. وفيها: حصر التوارث بين أولي الأرحام، وقد اقتضى هذا تحريم ما كان سائدا في صدر الإسلام من التوارث بين المهاجرين والأنصار والتوارث بين المؤمنين بموجب العقيدة أو الحلف. وفيها: الاستثناء من الحكم إذا كان بحكم الوصية الجائزة بمقدار الثلث فما دونه.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا ۖ لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝﴾

بيان الآيتين:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه أخذ على الأنبياء العهد والميثاق أن يبلغوا رسالاته، ويدعوا أممهم وأقوامهم، أن يوحدوا الله، ويتبرؤوا من الشرك به، وأن يصلحوا في الأرض ويتجنبوا الفساد فيها ﴿وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١١ ص ٥٣٢، برقم (٦٦٣٢)، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كان يمين النبي ﷺ.

وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴿١٤٥﴾ لما ذكر عز وجل أخذ الميثاق على سائر الأنبياء
 خص أولي العزم منهم بالذكر تشريفا وتكريما لهم وابتدأهم بمحمد
 ﷺ؛ لشرفه وكونه خاتمهم، ثم ذكرهم حسب زمان إرسالهم إلى أممهم
 ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ ﴿١٤٦﴾ تؤكد بأن الميثاق الذي أخذ عليهم
 ميثاق وعهد شديد ﴿لَيْسَ لَكَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ ﴿١٤٧﴾ أي: يسأل يوم
 القيامة الأنبياء عن تبليغ رسالته وهو يعلم ذلك ولكن ليقيم الحجة
 على الكافرين ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١٤٨﴾ أي: أعد للذين كفروا من
 أمم الرسل عذابا مؤلما.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الله أخذ الميثاق والعهد على الأنبياء والمرسلين أن يبلغوا
 رسالاته إلى خلقه، وذلك بتوحيده وطاعته وتنزيهه عن الشرك. وفيهما:
 تشريف أولي العزم من الرسل بذكرهم، وقد بدأ ذكر أسمائهم بمحمد
 ﷺ لشرفه. وفيهما: أن الله عز وجل يسأل الأنبياء عن تبليغ رسالاته
 وهو يعلم أنهم بلغوها وأنهم صدقوا فيما عهد الله إليهم به ولكن أراد
 إقامة الحجة على الكافرين قبل مجازاتهم.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ
 فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا
 إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ

وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ
الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾

بيان الآيات:

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ اِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾

هذا بيان من الله عن نعمه وفضله على رسوله وعلى المؤمنين بهزيمة
المشركين وأحلافهم من اليهود عام الخندق وقصة هذه الواقعة - كما
سبق ذكره - أن قوما من بني النضير اليهود الذين أجلوا إلى خيبر
بسبب غدرهم خرجوا إلى مكة يؤلبون قريشا على رسول الله ﷺ
وأصحابه، وقد وعدوهم بالمدد والنصر، ثم ذهبوا أي: قادة بني
النضير إلى غطفان فألبوهم فخرجت قريش بقيادة أبي سفيان
وخرجت غطفان بقيادة عيينة بن حصن الفزاري والحارث بن عوف
المري على بني مرة فتكون منهم جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل.

فلما سمع رسول الله ﷺ بأمرهم أشار عليه سلمان الفارسي بحفر
خندق حول المدينة من جهة شرقها، فعمل المسلمون جهدهم في الحفر
والتأهب لصد المتآمرين، وكان رسول الله ﷺ أول العاملين في الحفر،
وجاء المشركون ومن معهم إلى المدينة وأقاموا في شرقها قريبا من جبل
أحد ونزلت طائفة منهم في أعالي المدينة والمراد بالجنود جنود المشركين
وأحلافهم من اليهود وخرج رسول الله ﷺ ومعه نحو من ثلاثة آلاف
من المؤمنين وقيل: أقل فجعلوا ظهورهم إلى جبل سلع، ووجوههم

تجاه العدو وجعلوا النساء والذراري في أطام المدينة خوفاً عليهم. وكان رسول الله ﷺ والمؤمنون مطمئنون إلى أن بني قريظة سيقون على الحياد وذلك للعهد الذي معهم إلا أن أحد قادة بني النضير خاطبهم في الانضمام إلى الحلف، ولم يزل بهم حتى نقضوا العهد وانضموا إلى الأحزاب، فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين.

وقد استمر حصار المدينة نحو شهر لم يتمكنوا فيه من عبور الخندق، ولم يحدث قتال، ولأن الخندق لم يكن فيه ما يصد الخيالة، فقد اقتحم عمرو بن عبد ود وفرسان معه الخندق فأمر رسول الله ﷺ علياً أن يخرج إليه، فتقاتلا ساعة ثم صرعه علي رضي الله عنه فكان ذلك بداية النصر للمؤمنين^(١). وفي لحظة من لحظات النصر الإلهي أرسل الله عليهم ريحا شديدة، فلم يبق لهم شيء إلا وقذفته ودمرته حتى رجعوا، وهم أكثر هزيمة وخسرانا.

قوله ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ المراد بالريح ريح الصبا وفيها قال رسول الله ﷺ (نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور)^(٢). والمراد بالجنود الملائكة ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ أي: علم باستعدادكم للمعركة وبما كان يبيته لكم المشركون وأعوانهم من اليهود والمنافقين.

(١) السيرة النبوية لابن إسحاق ج ٢ ص ٥٨-٧٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء برقم ١٠٣٥ ج ٢ ص ٦٠٤.

﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أي: جاءكم المشركون وأعوانهم من شرق المدينة وجنوبها ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ أي: كانت الأبصار تنظر إلى العدو من شدة الخوف. ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ هذا تعبير عن شدة الخوف الذي أصاب المؤمنين أو بعضهم ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ أي: ظن بعض من كان مع رسول الله، خاصة المنافقين أن المؤمنين لن ينتصروا، أما المؤمنون فكانوا ثابتين على إيمانهم، وكانوا يوقنون أن الله سوف ينصر دينه ويعلي كلمته. ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ المراد أن الله ابتلى المؤمنين في تلك المعركة ليعلم - وهو العليم - مدى صبرهم وإيمانهم وثباتهم مع رسوله محمد ﷺ. ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ أي: أصابهم الخوف من شدة ما كانوا فيه من الجهد والحصار وما كان عليه العدو من القوة وكثرة العدد.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب تذكر نعم الله على العبيد؛ لأنه ما من نعمة يتنعمون بها إلا وهو المنعم والمتفضل بها عليهم. وفيها: أن غزوة الأحزاب للمدينة كانت نتيجة تأمر وتحالف بين المشركين واليهود وكانت من أشد المعارك على المسلمين؛ لكون الحصار استمر عليهم شهرا أو نحوه، مع ما في المسلمين من ضعف اقتصادي يقابله قوة اقتصاد العدو وكثرة جنوده. وفيها: التنديد بسوء الظن وأن المنافقين في أي زمان أو مكان أخطر من العدو.

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَتَأَهَّلُ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَعِذُّ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (١٣) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَا تَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا﴾ (١٤).

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ لما حل الجهد والشدة بالمؤمنين أثناء الحصار خرج المنافقون على حقيقتهم، طائفة منهم قالت: إن ما قيل عن وعد الله ووعد رسوله لنا بالنصر ما هو إلا قول باطل. أما الطائفة الأخرى فقالت ﴿يَتَأَهَّلُ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ أي: يا أهل المدينة لا مقام لكم عند النبي ﴿فَارْجِعُوا﴾ إلى بيوتكم ﴿وَيَسْتَعِذُّ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ﴾ أي: أن فريقاً من هؤلاء قيل: إنهم بنو حارثة، استأذنوا رسول الله ﷺ العودة ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أي: مكشوفة ونخاف عليها من الاعتداء وهنا كشفهم الله فقال تعالى ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ أي: ليست كما يدعون ﴿إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ أي: أن هدفهم الفرار من القتال ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ أي: لو دخل عليهم العدو من أنحاء المدينة ﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَا تَوْهَا﴾ أي: لو قيل لهم اكفروا لكفروا

﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ أي: لم يتمهلوا فيما يطلب إليهم من العودة إلى الكفر بل يسارعون إليه.

أحكام ومسائل الآيات:

التنديد بسلوك المنافقين ودعوتهم إلى الهزيمة وظنهم في الله ورسوله ظن السوء. وفيها: وجوب الحذر من المنافقين وعدم الركون إليهم، وعدم الثقة فيهم، وانتحالهم الأعذار في الهروب من الجهاد واستعدادهم للكفر عندما يطلب منهم. ولهذا توعدهم الله بأشد العذاب في قوله عز وجل ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾^(١).

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدَّبَرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ ١٥ ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ١٦ ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ١٧.

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل غزوة الأحزاب

(١) سورة النساء الآية ١٤٥.

بعد معركة بدر؛ ذلك أنهم غابوا عن هذه المعركة ورأوا ما من الله على أهلها من الفضل قالوا: لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ أي: يسأل يوم القيامة عمن نقضه ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾ أي: أن فراركم من القتال لن يمنعكم من الموت فمن جاء أجله فسوف يموت ﴿وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: لن تمكثوا في الدنيا بعد فراركم من الجهاد إلا مدة قليلة حيث إن آجالكم ستنقضي.

﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: قل لهم يا نبينا محمداً من هو الذي يمنعكم من الله ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾ أي: هلاكاً وعذاباً ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ أي: خيراً ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ أي: لن يجدوا من دون الله ولياً يواليهم أو نصيراً ينصرهم بل هو النافع الناصر.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بوجوب الوفاء بالعهد، وأن كل من عاهد على أمر سوف يسأل عما عاهد عليه كما قال عز وجل ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(١). وفيها: تقرير أن الفرار من الجهاد لا يؤجل الموت؛

(١) سورة الإسراء من الآية ٣٤ .

لأن عمر الإنسان محدد بأجل كما قال الله عز وجل ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(١). وفيها: أنه ما من أحد في الوجود يعصم أحدا من دون الله كما أنه لا أحد يوالي أو ينصر أحدا من دونه لأنه العاصم والولي والنصير لعباده المؤمنين.

﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١٨) أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿ (١٩) ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ ﴾ أي: أن الله يعلم من هم المعوقون الداعون للقعود عن الجهاد ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ قيل: إن المراد به رجل من أصحاب رسول الله ﷺ وجد أخاه وبين يديه خبز وشواء فقال له: أنت هنا ونحن بين الرماح والسيوف، فقال: هلم إلى هذا والله لا يشغل بها محمد أبدا. فقال له أخوه: كذبت، فذهب إلى رسول الله ﷺ يخبره فوجد الآية قد نزلت^(٢) وقيل: نزلت في غيره

(١) سورة الأعراف من الآية ٣٤ .

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ص ١١٨، والجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ١٥٢ .

والمراد بها المنافقون الذين تخلفوا عن الجهاد^(١) ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: لا يجاهدون لأنهم يخافون من الموت ﴿أَشْحَةً عَلَيْكُمْ﴾ أي: بخلاء بجهودهم في حفر الخندق ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي: أنهم جبناؤ من شدة خوفهم من الذهاب للجهاد خشية أن يقتلوا ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالْسِنَةِ حَدَادٍ﴾ أي: آذوكم بأقوالهم السيئة ﴿أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ أي: لا خير فيهم لأنهم جمعوا النفاق والجبن ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُوْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ أي: ولأنهم منافقون، فلم يكن لهم إيمان لهذا أحبط الله عملهم وكان هذا هينا على الله.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: التنديد بسلوك المنافقين وجبنهم عن الجهاد. وفيهما: ذم الشح والبخل كما قال عز وجل ﴿وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَفْسِهِ﴾^(٢). وفيهما: ذم كثرة الكلام الذي يفضي إلى الثرثرة وإطالة اللسان، وفيه قول رسول الله: (إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا. وإن من

(١) تفسير البغوي ص ١٠٣٢ .

(٢) سورة محمد من الآية ٣٨ .

أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون) قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: (المتكبرون)^(١). وفيهما: أن المنافقين لا يؤمنون وأن الله يحبط أعمالهم.

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾

بيان الآية:

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ أي: وبسبب جبنهم وعدم إيمانهم يظنون أن الأحزاب لم ينهزموا ولم ينصرفوا ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾ أي: إن يرجع الأحزاب مرة أخرى إلى المدينة ﴿يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ أي: تمنى هؤلاء المنافقون أن يكونوا في البادية مع الأعراب بعيدين عن القتال ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾ أي: يتساءلون عن حال محمد وأصحابه وهل انهزم؟ وهل انتصر أهل الأحزاب؟ ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾

(١) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، برقم (٢٠١٨) سنن الترمذي ج ٤ ص ٣٢٥، والإمام أحمد في المسند ج ٤ ص ١٩٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٨ ص ٢١.

أي: لو كانوا معكم أثناء القتال لم يبذلوا إلا جهدا يسيرا وذلك لجبنهم وضعف إيمانهم وخوفهم من الموت.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تقرير أن المنافقين لا يحبون الخير للمؤمنين، بل يحبون أنفسهم فيكونون مع من يظنون أن القوة له ويتمنون أن يكونوا بعيدين عن القتال، وإذا حدث أن يشهدوا القتال فلا يقاتلون إلا قليلا لشدة جبنهم وخورهم.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۖ﴾ (٢١) وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا
هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا
وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾.

بيان الآيتين:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ هذا خطاب فيه أمر للأمة بالتأسي والافتداء برسول الله محمد ﷺ في صبره في الشدائد والنوائب ومن ذلك: يوم الأحزاب؛ فإنه لما كان حفر الخندق ألقى ثوبه وأخذ المعول ليضرب الحصاة التي ظهرت أثناء الحفر، واشتكى منها الصحابة فكان يضرب ويقول: (باسم الله). وفي أثناء الحصار كان

عليه الصلاة والسلام أشد ما يكون قوة وجلدا وصبرا، لم يتضجر ولم ييأس، ولهذا عاتب الله المتخلفين والمتخاذلين وأمرهم بالاعتداء به ﴿لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أي: يتأسى ويقتدي به من كان يطمع في ثواب الله يوم القيامة ﴿وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي: كان يذكره طمعا في ثوابه وخوفا من عقابه ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ في هذا ثناء على المؤمنين وإخبار عنهم بأنهم لما رأوا اجتماع الأحزاب ثبتوا على إيمانهم وقالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله من الاختبار، ووجوب الثبات عند لقاء الأعداء وما يتفضل به علينا من النصر وهزيمة الأحزاب ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ أي: ما زادهم لقاء الأعداء إلا إيمانا بالله وترقبا لنصره وتسليما لأمره.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بوجوب الاقتداء برسول الله ﷺ والتأسي به في صبره وقوة إيمانه وثباته عند الشدائد والنوائب. وفيهما: مدح الله للمؤمنين الذين يثبتون عند لقاء العدو ويزدادون مع ذلك إيمانا بالله وثقة في نصره والتسليم لأمره. كما قال عز وجل ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(١).

(١) سورة الأنفال الآية ٤ .

﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٢٤).

بيان الآيتين:

﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ لما ذم الله عز وجل حال المنافقين وجبنهم وخوفهم من القتال مدح المؤمنين الذين صدقوا في عهدهم ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ أي: أجله ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ أي: الشهادة في سبيل الله ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ أي: بقوا على عهدهم، فلم يغيروه ولم يبدلوه. قيل: إن هذه الآية نزلت في أنس بن النضر، حيث لم يشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدر فشق ذلك عليه وقال: أول مشهد مع رسول الله غبت عنه، ولئن أراني الله مشهدا فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرين الله عز وجل ما أصنع فشهد يوم أحد فاستقبل سعد بن معاذ فقال له: يا أبا عمرو أين؟ فقال: واهما لريح الجنة إني أجده دون أحد، فقاتلهم حتى قتل رضي الله عنه وأرضاه فوجد في جسده بضع وثمانون ضربة وطعنة ورمية، فما عرفته أخته إلا ببنانته^(١).

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٨ ص ٥٢٥١، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، برقم (١٩٠٣)، وصحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٣٧٧، كتاب التفسير مختصرا، باب قوله تعالى (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً)، برقم (٤٧٨٣).

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ أي: يجزي الله الذين صبروا وثبتوا على العهد وأقاموا عليه ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾ الذين نقضوا عهد الله وعصوه ﴿إِنْ شَاءَ﴾ أي: يعذبهم إذا أراد ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ إذا هم تركوا النفاق ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: يغفر ويرحم من يشاء من عباده ويتوب عليه.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: ثناء الله على المؤمنين الذين يوفون بعهودهم ويحافظون عليها، فلا يخونون ولا يغدرون ولا يبدلون كما قال عز وجل في مدحهم ﴿الَّذِينَ يُوْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾^(١). وفيهما: ذم المنافقين وتحقيرهم؛ بسبب سلوكهم وجعلهم تحت مشيئته إما أن يعذبهم أو يتوب عليهم إذا غيروا سلوكهم وتابوا من نفاقهم.

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾

بيان الآية:

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قالت عائشة رضي الله عنها: المراد به أبوسفیان بن حرب وعيينة بن حصن الفزاري^(٢) ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ أي:

(١) سورة الرعد الآية ٢٠ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ١٦٠ .

بما أصابهم من الغم؛ بسبب فشل أهدافهم ﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ أي: لم يحققوا مقاصدهم الشريرة في النيل من رسول الله ﷺ والمؤمنين ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ أي: لم يحتج المسلمون إلى قتال الأحزاب، بل سلط الله عليهم الريح التي زعزعتهم وقوضت مساكنهم وأنزلت الرعب في قلوبهم فعادوا إلى ديارهم خائبين ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ أي: قويا بقوته وإرادته فردهم على أعقابهم وجعل النصر للمؤمنين.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تقرير إرادة الله في هزيمة الأحزاب وردهم على أعقابهم، فلم يحققوا شيئا من أهدافهم. وفيها: إخبار الله عن خيبتهم وأنهم لم ينالوا خيرا من تحالفهم. وفيها: أن الله كفى المؤمنين شر قتالهم حيث تحقق لهم النصر عليهم دون قتال وكان رسول الله ﷺ يقول في تلك الغزوة: (لا إله إلا الله وحده أعز جنده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فلا شيء بعده)^(١).

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ (٣٦) وَأَوْرَثَكُمْ

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٧ ص ٤٦٩، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، برقم (٤١١٤).

أَرْضَهُمْ وَدِيرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْطُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾

بيان الآيتين:

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾

سبقت الإشارة إلى أن بني قريظة كانوا على عهد مع رسول الله ﷺ، إلا أنهم نقضوا العهد حين أغراهم بنو النضير في الانضمام إلى الأحزاب، فلما رد الله الأحزاب ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ووضع المؤمنون سلاحهم أتى جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال له: أوضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال: (نعم)، قال جبريل: لكن الملائكة لم تضع سلاحها. ثم قال: إن الله تعالى يأمرك أن تذهب إلى بني قريظة، فنهض رسول الله ﷺ من فوره وأمر الناس بعد صلاة الظهر بالمسير إلى بني قريظة وقال: (لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة) فسار الناس فأدركتهم صلاة العصر فصلى بعضهم في الطريق وقالوا: لم يرد منا رسول الله ﷺ إلا تعجيل المسير، وقال آخرون: لا نصليها إلا في بني قريظة. فلم يعتب على أحد منهم فيما فعل. وتبعهم رسول الله ﷺ بعد أن استخلف على المدينة ابن أم مكتوم وأعطى الراية لعلي بن أبي طالب، ثم نازلهم رسول الله ﷺ وحاصرهم خمسا وعشرين ليلة فلما طال عليهم الأمد وبلغ بهم

الجهد قال عليه الصلاة والسلام: (أتنزلون على حكمي) فأبوا، فقال: (أتنزلون على حكم سعد بن معاذ) - سيد الأوس - قالوا: نعم، فحكمه فيهم فحكم أن تقتل مقاتلتهم وتغنم أموالهم وتسبي ذراريهم^(١).

قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ المراد بهم بنو قريظة حين عاونوا أهل الأحزاب ونقضوا العهد الذي عاهدوا عليه رسول الله ﷺ ﴿مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ أي: من حصونهم ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ أي: أنزل الله عليهم الخوف في نفوسهم فقبلوا التحكيم ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ المراد بهم مقاتلتهم الذين حكم فيهم سعد بن معاذ ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ المراد بهم الذراري ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾ أي: مزارعهم ﴿وَدِيَارَهُمْ﴾ أي: حصونهم ﴿وَأَمْوَالَهُمْ﴾ أي: أموالهم المنقولة ﴿وَأَرْضًا لَمْ تَطْئُوهَا﴾ أي: أورثكم بعد ذلك أرضا هي خير حيث فتحها الله على المؤمنين في السنة السادسة من الهجرة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ أي: في نصره لعباده وهزيمته للأحزاب.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن مآل نقض العهد الهزيمة والعقاب كما قال عز وجل ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ

(١) السيرة النبوية لابن إسحاق ج ٢ ص ٧٣-٨١.

فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١﴾. وما حدث لبني قريظة كان عقابا لهم على نقضهم العهد ومناصرتهم الأحزاب. وفيهما: تقرير قدرة الله في هزيمة أعداء دينه بقذف الرعب في قلوبهم، وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر) الحديث (٢). وفيهما: الحكم أن الله يورث الأرض لعباده الصالحين، فقد ورث المسلمون أراضي الجزيرة كلها، وأراضي الشام وفارس وغيرها. كما قال عز وجل ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (٣). وفيهما: تقرير قدرة الله في نصر عباده وهزيمة أعدائه.

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (٢٨) ﴿وَلِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢٩).

بيان الآيتين:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ﴾ الآية. كانت المدينة في وقت من

(١) سورة الفتح من الآية ١٠ .

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ٥١٩ ، كتاب التيمم، باب (١)، برقم (٣٣٥).

(٣) سورة الأنبياء الآية ١٠٥ .

الأوقات في حالة اقتصادية جيدة فتوسع الناس في أحوالهم، وكانت نساء النبي ﷺ يرين نساء الأنصار في سعة من العيش فأردن أن يطلبن زيادة نفقتهن وكن يومئذ تسعا: عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية وصفية بنت حيي النضرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية. وقد تلقى رسول الله ﷺ هذا الطلب من عائشة نيابة عنهن، فلعله عليه الصلاة والسلام تأثر لما سمع ولم يكن عليه الصلاة والسلام ليبخل عليهن، ولكنه أثر الآخرة على الدنيا فلم يكن له من المال ما يزيد في هذه النفقة، وقد اعتزلهن قرابة شهر حتى أنزل الله عليه هذه الآية لتخيير نسائه وهي قوله تعالى ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ أي: قل يا نبينا محمد لنسائك إن كنتن تردن لذة الحياة الدنيا من المأكل والمشرب والملبس ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ أي: أقبلن أمتعن متعة الطلاق ﴿وَأُسْرِحْكُنَّ﴾ أي: أطلقكن ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ أي: أطلقكن طلاق السنة من غير إضرار بكن ﴿وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ﴾ أي: الجنة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: أعد لكن مقاما عظيما في رفقة رسول الله ﷺ وقد امتثل صلاة الله وسلامه عليه

أمر ربه فبدا بعائشة قائلاً: (إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن تستعجلي حتى تستأمري أبويك) وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه قالت: ثم قال: (إن الله قال ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ الآية. فقلت له: ففي أي هذا استأمر أبوي فأني أريد الله ورسوله والدار الآخرة^(١). وما خير واحدة من زوجاته إلا اختارته.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير أن الزوجة إذا طلبت الطلاق من زوجها فالمشروع له أن يطلقها من غير إضرار بها؛ ذلك أن الحياة الزوجية مبنية على التراضي والمودة؛ فإذا فقد هذا تتحول الحياة إلى مشقة بل وإلى مخاطر. وفيهما: فضل أمهات المؤمنين زوجات رسول الله ﷺ فقد اخترنه على الحياة الدنيا وزينتها ونعيمها ورضين أن يعشن معه على أي: حال من النفقة ابتغاء الدار الآخرة فرضي الله عنهن وأرضاهن. وفيهما: أن إعطاء المرأة بعد طلاقها بعض المال أمر مشروع؛ لما في ذلك من تطيب خاطرها بعد الطلاق والفرقة وهو ما يسمى متعة الطلاق، وأن يكون هذا المال حسب قدرة المطلق. وفيهما: وعد الله ووعدته الحق أن من يحسن عمله ويبتغي به وجه الله ينال الأجر والثواب العظيم.

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٣٧٩، كتاب التفسير، باب قوله تعالى (قل لأزواجك إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها)، برقم (٤٧٨٥).

﴿يُنْسَاءُ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفُ لَهَا
 الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَنْ يَقْنُتْ
 مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا
 رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿يُنْسَاءُ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ لما كانت نساء
 رسول الله ﷺ يختلفن عن غيرهن فيما خصهن الله به من الدرجات
 العالية مع رسول الله ﷺ ناسب أن حذرهن الله من الإساءة له
 كسوء العشرة، أو النشوز، وجعل عقوبتهن في ذلك مضاعفة كما
 قال عز وجل ﴿يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ ﴿وَكَانَ ذَلِكَ
 عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ أي: مضاعفة العذاب لمن أساء إلى رسول الله ﷺ
 ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾
 أي: من تطع منكم الله ورسوله بعمل الصالحات فإن الأجر يضاعف
 لها مرتين ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ أي: في الجنة مع زوجها
 رسول الله ﷺ.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير مضاعفة العذاب لمن يكون له خصائص في الفضل إذا أتى

بفاحشة كما هو الحال في زوجات رسول الله ﷺ، فلو أسأَن إليه عليه الصلاة والسلام - وحاشاهن ذلك - ضوعف العقاب لهن؛ بسبب أن الإساءة له محرمة من جهة، ومن جهة ما خصهن الله به من علو المنزلة، وهذا عام لمن كانت له خصائص معينة فخطيئة العالم غير خطيئة الجاهل وخطيئة الشيخ غير خطيئة الشاب وهكذا. وفيهما: فضل طاعة الله واتباع رسوله محمد ﷺ.

﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَأذْكُرَنَّ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤) ﴿

بيان الآيات:

﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ هذا تهذيب لأزواج رسول الله ﷺ وتوجيههن بالآداب التي تليق بمقامهن وعلو منزلتهن وهي في الوقت نفسه توجيه عام لنساء الأمة والمراد أنكن

يا نساء النبي لستن مثل النساء الأخريات بل إن لكن منزلة خاصة ومقاماً متميزاً إذا اتقيتن الله بعمل الصالحات ومنها طاعة الله ورسوله ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ أي: بسبب هذه المنزلة لا يكن كلامكن رقيقاً ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ إما من جهة النفاق، أو من جهة ضعف الإيمان مما يجعله يحب سماع أصواتكن لغرض في نفسه ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ أي: قلن ما تحتجن له من الكلام دون أن يكون فيه زيادة عن هذه الحاجة.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ أي: ليكن قراركن في بيوتكن فلا تخرجن إلى الأسواق إلا لحاجة ﴿وَلَا تَبْرَجْنَ﴾ تَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى ﴿أي: إذا خرجتن للحاجة فكن مستترات محتشمات، ولا تكن مثل نساء الجاهلية اللاتي كن يخرجن إلى الأسواق متبخترات متكسرات في مشيتهن مما يلفت نظر الرجال إليهن.

﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ﴾ أي: أدينها كما كتبت بأركانها وشروطها وواجباتها ﴿وَأَتِينَ الزَّكَاةَ﴾ أي: أدين ما عليكن من زكاة إذا كان لكن أموال ﴿وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: التزمي ما أمركن به واجتنبين ما نهاكن عنه ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ أي: أن الله بهذه الأوامر والآداب التي أمرتم بها أراد أن يطهركن من الرذائل والأنجاس ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ أي: يطهركن

تطهيرا كاملا من الأدناس، فتكونوا بذلك طاهرين ومطهرين. والمراد بآل البيت هنا: زوجات رسول الله ﷺ؛ لأنهن المخاطبات بالآية، ومن آل البيت فاطمة وابناها الحسن والحسين وعلي بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ وصهره. وفي هذا حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط مُحَرَّل فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء عليٌّ فأدخله ثم قرأ الآية^(١).

﴿وَأَذْكُرْتَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾

هذا خطاب لزوجات رسول الله ﷺ فيه موعظة لهن وتذكيرهن بما يتلى في بيوتهن من آيات الله وهي: القرآن والحكمة أي السنة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ أي: لطيفا بكم يا أهل بيت رسول الله بما أنعم عليكم خبيرا بأحوالكم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بتحريم خضوع المرأة في كلماتها وترقيقها مما يغري الفساق وأصحاب الشهوات ومن لا خلاق لهم؛ إذ من عادة الفساق الظن السيء بالمرأة في حال رقة صوتها ولو كانت عفيفة طاهرة، فاقترض ذلك منع ما يكون مدخلا لأهل الظنون السيئة من

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٣٢٦، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بيت النبي ﷺ، برقم (٢٤٢٤).

الفساق. وفيها: الأمر بقرار المرأة في بيتها منعاً لما قد ينالها من الأذى ما لم يكن لخروجها ضرورة أو حاجة كشراء ما لا بد لها منه على ألا يكون في خروجها مظنة الفتنة.

وفيها: الحكم بتحريم التبرج كما كانت نساء الجاهلية يفعلن من المشي بين الرجال متكسرات في مشيتهن مسدلات مروطهن على ظهورهن مظهرات صدورهن وأعناقهن. وفيها: الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله.

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ
وَالْقَنِاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ
وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ
وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

بيان الآية:

روت أم سلمة زوج النبي ﷺ رضي الله عنها قالت قلت: يا رسول الله مالنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال؟ قالت فلم يرعني ذات يوم إلا ونداؤه على المنبر قالت: وأنا أسرح شعري، فلففت شعري ثم خرجت إلى حجرتي، فجعلت سمعي عند الجريد فإذا هو يقول عند

المنبر: يا أيها الناس إن الله تعالى يقول ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية (١).

قوله عز وجل ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ أي: هم الذين أسلموا
من النساء والرجال وجوهمهم لله طائعين منقادين له ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي: هم الذين صدقوا من النساء والرجال بالله ورضوا
به ربا لهم وإلها لهم ﴿وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ﴾ هم الرجال والنساء
الذين أطاعوا الله حق طاعته ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ أي: الذين
يصدقون في أقوالهم من الرجال والنساء ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾
أي: الصابرين من الرجال والصابرات من النساء على طاعة الله
وعلى ما يصيبهم من الشدائد والضيق لا يضجرون ولا يتطيرون
﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾ أي: الذين خشعت قلوبهم من النساء
والرجال لطاعة الله عز وجل ﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾ أي:
الذين يتصدقون من الرجال والنساء من أموالهم فلا يبخلون على
قريب ولا على مسكين أو محتاج ﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾ أي:
الذين يصومون من الرجال والنساء، ابتغاء مرضاة الله وطمعا في
ثوابه ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ أي: الحافظين
من الرجال لفروجهم والحافظات من النساء لفروجهن عن الحرام

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٤٦٨ .

﴿وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ أي: الذين يذكرون الله في سائر الأوقات، فلا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكره. ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: أن الله أعد لهؤلاء المذكورين والمذكورات مغفرة لذنوبهم وأجرا عظيما على عبادتهم وإخلاصهم لله وهذا الأجر هو الجنة.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآيات: تقرير أن الإسلام غير الإيمان كما قال عز وجل ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا قُلْ لَمْ تَوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(١). وفيه قول رسول الله ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)^(٢). ولكن هذا لا ينفي إسلامه، بل يعد مسلما وإن زنى وإن سرق. وفيها: فضيلة القنوت وهو طاعة الله في خشوع وخضوع وهو في المرحلة الأولى من الإيمان قال تعالى ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾^(٣). وفيها: فضل الصدق في القول والعمل ويشهد له قول رسول الله ﷺ: (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى

(١) سورة الحجرات من الآية ١٤ .

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٠ ص ٣٣، كتاب الأشربة، باب قول الله تعالى (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)، برقم (٥٥٧٨).

(٣) سورة الزمر من الآية ٩ .

الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً^(١). وفيها: فضيلة الصبر عند الشدائد وعدم الجزع والرضى بأقدار الله، فما من شيء يقدره على عبده إلا وله فيه خير قال تعالى ﴿وَالْعَصْرِ﴾^(٢). ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾^(٣). ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾^(٤). وفيها: فضيلة الخشوع وهو السكينة في الحركة والطمأنينة فيها والتواضع والخوف من الله في السر والعلن، وقد أثنى الله تعالى على الخاشعين في صلاتهم بقوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٥). ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾^(٦).

وفيها: فضيلة الصدقة؛ لما فيها من الإحسان إلى الأقارب والمحاويج والمساكين والمنقطعين وفي فضلها قال رسول الله ﷺ: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ... ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٦٣٦، كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، برقم (٢٦٠٧).

(٢) سورة العصر الآية ١.

(٣) سورة العصر الآية ٢.

(٤) سورة العصر الآية ٣.

(٥) سورة المؤمنون الآية ١.

(٦) سورة المؤمنون الآية ٢.

شماله ما تنفق يمينه^(١). والصدقة لا تنقص المال بل تزيده وشاهد هذا قول رسول الله ﷺ: (ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً). الحديث^(٢).

وفيها: فضيلة الصيام؛ لما فيه من تعويد النفس على الصبر وكسر حدة الشهوة للطعام والشراب، وقد جعل الله للصائمين باباً خاصاً بهم اسمه الريان، وهذا دليل على فضل الصوم فرضاً كان أو نفلاً. وفيها: وجوب حفظ الفرج عن المحرمات كما قال عز وجل في وصف المؤمنين ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾^(٣). ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾^(٤). وفيها: فضل ذكر الله في السر والعلن، وقد جعل الله الذكر من صفات المؤمنين قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾^(٥).

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾^(٦)

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٢ ص ١٦٨، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، برقم (٦٦٠).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٦٠٧، كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع، برقم (٢٥٨٨).

(٣) سورة المؤمنون الآية ٥.

(٤) سورة المؤمنون الآية ٦.

(٥) سورة الأنفال من الآية ٢.

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ
وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ
أَنْ تَخْشَهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ
اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾

بيان الآيتين:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ
الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ هذه الآية مقدمة لنزول حكم عام، مناطه: جواز
زواج المتبني من مطلقة المتبني، ولم يكن هذا الحكم سهلاً على نفوس
الذين اعتادوا التبني في الجاهلية وفي بداية الإسلام، ولأهمية هذا الحكم
جعل الله رسوله طرفاً فيه؛ ذلك أنه عليه الصلاة والسلام لما خطب
زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب قبلت ذلك اعتقاداً
منها أنه الذي سيتزوجها، فلما تبين لها أنها مخطوبة لزيد بن حارثة
مولى رسول الله ﷺ أخذتها العصبية، فأبت لكون زيد بن حارثة مولى
وقد ساعدها في رفضه أخوها عبد الله بن جحش فنزلت هذه الآية
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ
الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ أي: إذا حكم الله ورسوله بأمر فليس لأحد خيار
في قبوله أو تركه، بل يجب عليه قبوله ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ

ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿١٧٥﴾ أي: حاد عن الحق وضل عنه ضلالا مبينا وهنا قبلت زينب الزواج من زيد طاعة لله ورسوله ولكنها لم تزل تترفع على زيد مما جعله يشعر بعدم الاستمرار في هذا الزواج فاستشار رسول الله في أمرها واستأذنه في طلاقها وأبى عليه السلام وكان يقول له: (اتق الله واصبر عليها ولا تطلقها).

﴿١٧٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴿١٧٦﴾ أي: اعرف يا نبينا محمداً وأنت تقول للذي أنعم الله عليه بنعمة الإسلام ومرافقتك وهو زيد بن حارثة ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بعثته من العبودية ﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ أي: اصبر عليها ولا تطلقها ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ﴾ أي: وتقول له اتق الله في طلاقها، بينما تخفي في نفسك علمك بأنه إذا طلقها زيد زوجها الله ﴿مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ أي: مظهره وهو زواج رسول الله ﷺ من زينب بعد طلاقها من زيد ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ أي: تخاف أن يقول الناس تزوج مطلقة ابنه زيد ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ أي: هو الذي يجب أن تخافه، وقد أمر أن تتزوج زينب بعد طلاقها وانتهاء عدتها وذلك إبطالا لأحكام الجاهلية التي جعلت المتبنئ مماثلا لابن الصلب في الأحكام الشرعية.

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾ أي: لما قضى زيد حاجته منها وهي الدخول بها، ثم طلقها، زوجناها دون ولي أو شهود وذلك

﴿لَكِنَّ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجٍ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ أي: قد أبحنا لك نكاحها حتى لا يبقى حرج على المؤمنين في نكاح مطلقات أدعيائهم قوله ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ أي: إن ما يقدره الله ويشاءه لا محالة كائن.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بأنه لا خيار للمؤمن ولا للمؤمنة في أمر أرادته الله وقضى به على عباده كما قال عز وجل ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١).

وفيهما: الحكم أن من يعصي أمر الله ورسوله فهو ضال ضلالاً مبيناً. وفيهما: أن الله قد عاتب رسوله محمداً ﷺ على ما كان يخفيه، تحرزاً من اللائمة من رغبته في زواج زينب ابنة عمته إذا طلقها زيد بن حارثة، وفي هذا قالت عائشة رضي الله عنها: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً مما أنزل عليه لكتم قوله تعالى ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ الآية^(٢). وفيهما: أن رسول الله كان يخشى القيل والقال من رجال السوء أنه تزوج مطلقة دعيه فأخفى عليه الصلاة والسلام

(١) سورة النساء الآية ٦٥ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٩٧٣، كتاب الإيمان، باب قول الله عز وجل (ولقد رآه نزلة أخرى) وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء؟ برقم (١٧٧).

رغبته حياء من الناس؛ لأنه عليه الصلاة والسلام ما كان أحد أشد منه حياء.

وفيهما: أن هذه المسألة أبطلت إلى الأبد عادة التبني وما كان يترتب عليها من أحكام. وفيهما: دليل على أن الكفاءة لا تعتبر في النسب، وإنما العبرة بالدين، وفيه أيضا قول رسول الله ﷺ: (تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك)^(١). وقد درج السلف الصالح على ذلك، فتزوجت زينب وهي قرشية من زيد، وتزوجت أخت عبد الرحمن بن عوف من بلال بن رباح، وتزوجت ضباعة بنت الزبير من المقداد بن الأسود.

﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ (٣٨)

بيان الآية:

﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ﴾ أي: ليس على النبي من إثم فيما أمره الله به من نكاح زينب بعد أن طلقها دعيه زيد بن حارثة ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ﴾ هذا رد على المنافقين الذين رأوا في نكاح رسول الله ﷺ زينب بعد طلاقها عيباً عليه، أي:

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٩ ص ٣٥، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، برقم (٥٠٩٠).

هذا حكم الله وقضاؤه بأنه ليس على النبيين والمرسلين من حرج في أي أمر يأمرهم به، أو قضاء يقضي به عليهم ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ أي: أن ما يأمر به الله من شيء لابد وأن يقع لا محالة.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: نفى الله الحرج عن نبيه ورسوله محمد ﷺ في زواجه من زينب بنت جحش التي طلقها دعيه زيد بن حارثة وما بينه عز وجل أن هذا هو حكم الله في الأنبياء قبله. وفيها: الحكم بأن رسول الله ﷺ ليس أبا لزيد بن حارثة ولا لغيره، فقد مات أبناؤه وهم أطفال ولم يبق له سوى أربع بنات توفين في حياته، أما فاطمة فقد حضرت وفاته وماتت بعده بستة أشهر فرضي الله عنهن وأرضاهن.

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (٣٩) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٤٠).

بيان الآيتين:

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾ هذا بيان من الله يمدح ويثني فيه على الذين يقومون بإبلاغ رسالاته إلى خلقه، وهي: توحيد الله وطاعته والائتمار بأوامره والإنتهاء عن نواهيه ﴿وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ

أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴿١﴾ أي: يخافونه وحده، فلا يصددهم أحد عن إبلاغ رسالاته
 مهما كانت قوته ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ أي: كفى به ناصرا ومعينا لهم
 في إبلاغ رسالاته إلى خلقه ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾
 أي: لم يكن عليه الصلاة والسلام أباً لأحد من الرجال، فقد مات
 أبناؤه الأربعة وهم أطفال ولدوا من زوجته خديجة وسُرَّيته مارية
 القبطية، وعاش له أربع بنات من خديجة ماتت ثلاث منهن في حياته
 وحضرت فاطمة وفاته، ثم ماتت بعده بستة أشهر ﴿وَلَكِن رَّسُولَ
 اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ أي: هو خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبي ولا
 رسول بعده بل هو آخر الأنبياء والمرسلين وخاتمهم وأشرفهم عليه
 أفضل الصلاة والسلام ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ أي: عليم بكل
 ما في الوجود في علوه وسفله.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: ثناء الله عز وجل على الذين يبلغون رسالاته إلى
 خلقه، وإمامهم في هذا الأمر محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام،
 فقد بلغ رسالة الله وجاهد حق الجهاد من أجل إبلاغها فكان خير
 مبلغ وخير ناصح وأمين لم يهن في إبلاغها؛ بسبب عداة المشركين
 وكيد المنافقين، ولم يضعف أمام الشدائد وهو يبلغ الرسالة فكان خير
 رسول لأُمَّته فجزاه الله عنها خير الجزاء.

وفيهما: الحكم بأن رسول الله محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وأشرفهم فلا نبي ولا رسول بعده. وفي هذا قال عليه الصلاة والسلام: (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به يعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة) قال رسول الله ﷺ: (فأنا اللبنة)^(١). وقال عليه الصلاة والسلام: (فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون)^(٢). وقوله عليه الصلاة والسلام: (إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله تعالى بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد)^(٣). وقد اقتضى هذا أن كل من ادعى النبوة بعده، سواء في قديم الزمان أو حاضره أو مستقبله فهو أفَّاك وضالٌّ يجب تكذيبه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۚ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ۖ

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ٦٤٥، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، برقم (٣٥٣٥).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ١٧٦٥، كتاب المساجد، باب (٥٣)، برقم (٥٢٣).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦١٨٩، كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ، برقم (٢٣٥٤).

الْظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٧﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٨﴾

بيان الآيات:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ هذا أمر من الله لعباده أن يذكروه ويكثروا من ذكره، إقرارا وشكرا له على ما أنعم به عليهم من نعمه الجليلة ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي: سبحوه في الصباح والمساء ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أنه لما نزل قول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ قال المهاجرون والأنصار هذا لك يا رسول الله خاصة، وليس لنا فيه نصيب، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١)، وصلاة الله على عباده رحمته لهم وذكره لهم عند ذكرهم له، وأما صلاة الملائكة فهي استغفارهم لهم ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: إن صلاة الله وملائكته على العباد هي إخراجهم من ظلمات الجهل إلى نور الحق والهدى ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ أي: رحيمًا بهم في الدنيا في هدايتهم إلى الحق، ورحيمًا بهم في الآخرة في مضاعفة حسناتهم ورأفته بهم. ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ أي: إن التحية التي يلقاها المؤمنون يوم

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ١٩٨ .

القيامة هي السلام عليهم فتسلم عليهم الملائكة، ويسلم بعضهم على بعض، وسلام الله لهم يتمثل في رضاه عنهم وتجليه لهم وهذا غاية ما يتمنونه بعد دخولهم الجنة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب ذكر الله، وقد أثنى الله عز وجل على الذاكرين له فقال ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾^(١). وفي الحديث: أن رجلا قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به، فقال عليه الصلاة والسلام: (لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله)^(٢). وفيها: وجوب تسبيح الله في الصباح والمساء وفي هذا قال عز وجل ﴿فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾^(٣). ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾^(٤). وفيها: أن الله يصلي على عباده وصلاته رحمته لهم، وذلك بإخراجهم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهداية. وفيها: أن الملائكة يصلون على العباد وصلاتهم الاستغفار لهم كما قال عز وجل عنهم ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ

(١) سورة آل عمران من الآية ١٩١ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر، برقم (٣٣٧٥)، سنن الترمذي ج ٥ ص ٤٢٧، والإمام أحمد في مسنده ج ٤ ص ١٩٠ .

(٣) سورة الروم الآية ١٧ .

(٤) سورة الروم الآية ١٨ .

رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١﴾. وفيها: أن المؤمنين يحيون يوم القيامة بالسلام من الملائكة، ويسلم بعضهم على بعض. كما قال عز وجل ﴿دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۖ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾.

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٤٥﴾
 وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ
 مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ
 وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾.

بيان الآيات:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا﴾ هذا بيان من الله لنبيه أنه أرسله بالرسالة شاهدا يوم القيامة على أمته بما عملته من خير أو شر ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ أي: مبشرا للمؤمنين بما لهم من الفضل والثواب على إيمانهم، ونذيرا للعصاة بأن يتركوا شركهم وكفرهم ويرجعوا إلى الله ويتوبوا إليه حتى لا يحيق بهم العذاب ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾

(١) سورة غافر الآية ٧.

(٢) سورة يونس الآية ١٠.

أي: دعوة الخلق إلى عبادة الله وحده وإخلاص العبادة له، وذلك بالتبرئ من الإشراك به ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ أي: تنير بالرسالة من أراد الهداية ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ أي: تبشر يا محمد الذين آمنوا بما جئت به أن لهم فضلا من ربهم هو نجاتهم يوم القيامة من العذاب ودخولهم الجنة.

﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أي: لا تطع كلام الكافرين والمنافقين وما يقولونه من الكذب ﴿وَدَعْ أَذُنَهُمْ﴾ أي: اصفح عما يقولونه، فأنت مبلغ لهم فحسب، أما جزاؤهم فعلى الله ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: اعتمد عليه في جميع أمورك ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ أي: حسبك به معينا وناصرًا لك على أعدائك.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بين الله أن لرسوله محمد ﷺ خمس صفات هي الشهادة على أمته، والبشارة لها والندارة لعصاتها، والدعوة لها إلى الهدى، وإنارة الطريق للمهتدين منها. وأمر الله لرسوله أمر لأمته، فكما أنه شاهد عليها، فإنها شاهدة على الأمم الأخرى كما قال تعالى ﴿لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(١). وكما أنه كان داعيا لها ومنذرا لها، فإن عليها واجب

(١) سورة البقرة من الآية ١٤٣.

دعوة العباد إلى الله ونذارتهم من عصيانه كما قال عز وجل ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(١).

وفيها: نهي الله لنبيه عن الاستماع لكلام الكافرين والمنافقين وطاعتهم؛ لأن ما يقولونه باطل من القول وزور. وفيها: أمر الله لنبيه بالتجاوز عن أذى الكافرين والمنافقين؛ لأن رسالته رسالة دعوة وإبلاغ؛ أما الجزاء فمن الله فهو الذي يجازي المطيع والعاصي كلاً حسب حاله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمِيعَتُهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾^(٤٩).

بيان الآية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ المراد بالنكاح العقد أي: إذا عقدتم على المؤمنات ﴿ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ أي: قبل الدخول بهن والخلوة بهن في الفراش ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ أي: ليس عليهن عدة بل يتزوجن

(١) سورة آل عمران من الآية ١١٠.

فور طلاقهن؛ لأن المراد من العدة التأكد من خلو الرحم، وهذا منتف أصلا من غير الدخول بها ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ أي: إن سميتم لهن مهرا، فلها نصفه وإن لم يسم لها فلها المتعة حسب قدرة المطلق.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: إباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها، سواء كانت مسلمة أم كتابية. وفيها: الحكم بأنه ليس على المطلقة قبل الدخول بها عدة؛ لأن المراد بالعدة التأكد من خلو الرحم. وفيها: أن المطلقة قبل الدخول إن كان قد سمي لها مهر فلها نصفه، وإن لم يسم لها المتعة الواجبة حسب يسر المطلق وعسره. وفيها: وجوب سراح المطلقة سراحا جميلا، وتحريم إيذائها بأي صورة. وفيها: أن متعة المطلقة مشروعة، سواء كان طلاقها قبل الدخول أو بعده.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ اللَّاتِيَّاتِ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ

لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾

بيان الآية:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ اللَّاتِي عَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾

الخطاب لرسول الله ﷺ وهو المراد بما في الآية من الأحكام والمعنى
إنا أحللنا لك من أعطيتهن مهورهن من الزوجات ومثله في هذا مثل
المؤمنين الذين يعطون زوجاتهم مهورهن ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا
أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ أي: وأحللنا لك أيضا ما ملكت يمينك بالتسري؛
بسبب الغنائم، وقد ملك ﷺ صفية بنت حيي وجويرية بنت الحارث
فأعتقهما وتزوجهما. كما ملك ريحانة النضرية ومارية القبطية
﴿وَبَنَاتِ عِمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ﴾ والمراد
بهذا بيان ما أحل له ولأئمة من الأقارب وحصرهن فيما ذكر، فلا يحل
ما عداهن من الأقارب من الأصول والفروع.

وقد أشار الإمام ابن كثير إلى أن في هذا مخالفة للنصارى واليهود،
فالنصارى لا يتزوجون المرأة إلا إذا كان بينه وبينها سبعة أجداد
فما فوق. واليهود يتزوج أحدهم بنت أخيه، وبنت أخته، فجاءت
هذه الشريعة بهدم إفراط النصارى وتحريم ما فرطت فيه اليهود^(١).
﴿الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ فيه قولان: الأول: أنه لا يحل لك إلا من أسلم.

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٤٧٩ .

والقول الثاني: أنه لا يحل لك إلا من هاجر إلى المدينة ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً﴾
 إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴿أَي: وأحللنا لك من تهب نفسها لك للزواج
 منها﴾ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا ﴿أَي: إذا أراد نكاحها بعد أن وهبت
 نفسها﴾ خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿أَي: هذه الهبة خاصة
 بك، أما المؤمنون فلا يحل لهم أن يتزوجوا من يهبن أنفسهن لهم إذ إن
 نكاحهم فيه شروط منها المهر والولاية والعقد.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ
 أَيْمَانُهُمْ﴾ ﴿أَي: قد بينا ما على المؤمنين من الأحكام كوجوب الولي
 والمهر والشهود وما لهم من الحلال كالنكاح من أربع من النساء وما
 يشاؤون من الإماء.

﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ ﴿أَي: رخصنا لك فيما ذكر حتى
 لا يكون عليك حرج في النكاح، وهذا من عناية الله به﴾ ﴿وَكَانَ اللَّهُ
 غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿أَي: يغفر لعباده ويتجاوز عن سيئاتهم ويرحمهم
 برحمته الواسعة.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تقرير عناية الله بنبيه ورسوله محمد ﷺ، حيث أباح
 له التزوج بأكثر من أربع، خلافا للمؤمنين الذين قصر الحل لهم على

أربع. وفيها: أن الله أباح له المرأة إذا وهبت نفسها له فيتزوجها بغير ولي ولا مهر، وهذا خاص به عليه الصلاة والسلام دون المؤمنين؛ إذ لا يحل لأحد أن يتزوج امرأة بمجرد هبتها نفسها له، بل يجب أن يكون هناك عقد للزواج ومهر وولي وشهود. وفيها: أن الله قرر أحكام نكاح المؤمنين ولم يتغير من هذه الأحكام شيء.

﴿ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمِنْ ابْنَعْتَ
مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَءَ عِيْنَهُنَّ وَلَا يَحْزَرَ
وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَانَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ
اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ۝١٨٩﴾

بيان الآية:

﴿ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾ هذا من عناية الله برسوله وما أعطاه من الخصوصية ومن ذلك أنه يجوز له أن يؤخر من أراد من زوجاته في المبيت ويؤوي إليه من أراد منهن فيه ﴿وَمِنْ ابْنَعْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ أي: من أخرتها لك الخيار فيها بعد ذلك إن شئت أويتها فلا إثم عليك في ذلك كله. وقيل: إن المراد بالآية أن لك الحق أن ترجئ من تشاء من اللاتي وهبن أنفسهن لك وتؤوي إليك من تشاء منهن، ولك الخيار ومن رددتها

منهن لك الخيار إن شئت عدت إليها فأويتها إليك. ﴿ذَلِكَ أَدْفَىٰ أَنْ تَقْرَأَ عَيْنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَانَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ المراد إذا علمت أزواجك أن الله قد أزال عنك الحرج في القسم في المبيت، وأن الأمر عائد لك في هذا القسم بالاختيار، وليس بالوجوب فإن ذلك يقر أعينهن، بل يرضين ولا يحزن؛ لأنهن يعرفن أنك عادل في قسمتك رحيم بزوجاتك ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي: إن الله يعلم ما في قلوب عباده من الميل لبعض أزواجهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ أي: بما في صدور عباده من الخفايا ﴿حَلِيمًا﴾ أي: عليهم فيما يفعلونه.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تقرير تخيير رسول الله ﷺ في إرجاء من يشاء وإيواء من يشاء من زوجاته في المبيت، ومع هذا كان عليه الصلاة والسلام يقسم لهن، فدل هذا على أن القسم لم يكن واجبا عليه وفي هذا قالت عائشة رضي الله عنها: أنه كان يستأذن في اليوم المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية ﴿تُرْجَىٰ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾. وفيها: أن من الواجب على المؤمن أن يعدل بين نسائه في المبيت، فلا يجوز له أن يعتزل إحداهن إلا بعد أن يستأذنها إذا كانت مسنة أو مريضة والأصل فيه: قول رسول الله ﷺ: (اللهم هذا قسمي فيما أملك

فلا تلمني فيما تملك ولا أملك^(١). ولم يعتزل عليه الصلاة والسلام واحدة من نسائه إلا سودة بنت زمعة، فقد وهبت ليلتها لعائشة طواعية رضي الله عنهما وأرضاها^(٢).

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ۝٥٢﴾

بيان الآية:

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ لما اختارت زوجات رسول الله ﷺ البقاء معه كما ورد في الآية السابقة ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾^(٣) جازاهن بأن منع رسوله من الزواج بغيرهن أو استبدالهن بغيرهن ولو أعجبه بحسنهن، وهذا في الحرائر، أما في الإماء فله ما شاء منهن ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ أي: مراقبا لكل شيء عالما به لا تخفى عليه منه خافية.

(١) سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٠٩، كتاب النكاح، باب في القسم بين النساء برقم (٢١٣٤)، وسنن

الترمذي ج ٣ ص ٤٤٦، كتاب النكاح، باب ما جاء في التسوية بين الضرائر، برقم (١١٤٠).

(٢) سنن أبي داود ج ٢ ص ٢١٠، كتاب النكاح، باب في القسم بين النساء، برقم (٢١٣٨).

(٣) سورة الأحزاب الآية ٢٨.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: إكرام الله لزوجات رسوله؛ جزاء اختيارهن البقاء معه، وذلك بعدم حل تطليقهن أو استبدالهن بغيرهن باستثناء السبايا. وفيها: الحكم بأن الله يراقب جميع أمور خلقه وما يبدونه ويخفونه.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خَفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ﴾ في هذه الآية الكريمة -آية الحجاب- بين الله عدة أحكام وآداب شرعية، وقد نزلت في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في الوليمة التي أولمها حين زواجه من زينب بنت جحش، ولم يكن

الحجاب يومئذ قد فرض، وقد انصرف الناس الذين حضروا الوليمة ومكث هؤلاء نفر يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ، وقد مرَّ أمامهم لعلهم يخرجون فما فعلوا ولم يكن من هديه ولا من حيائه عليه الصلاة والسلام أن يأمرهم بالخروج فأنزل الله هذه الآية^(١) والمراد من الآية منع دخول بيوت النبي دون إذن وهذا حكم عام كما سئرى ﴿غَيْرَ نَظِيرِينَ إِنَّهُ﴾ أي: وقته والمعنى: لا ترقبوا نضج الطعام بمعنى: أن من دعي إلى وليمة يجب أن يأتي في وقتها وليس قبله لما في ذلك من التطفل الذي لا يحبه الله.

﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا﴾ أي: لا يحل لكم أن تدخلوا البيوت دون دعوة ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ أي: إذا انتهى طعامكم فاذهبوا إلى أماكنكم ﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ أي: لا تمكثوا بعد انتهاء الطعام يتحدثون بينكم مستأنسين لحديثكم ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِيهِ مِنْكُمْ﴾ أي: إن فعلكم هذا يؤذي النبي كما فعل نفر الثلاثة الذين طعموا فلم ينتشروا ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِيهِ مِنَ الْحَقِّ﴾ أي: لا يستحي مما يأمركم به من الأحكام والآداب.

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ أي: وكما نهاكم الله عن الدخول في بيوت رسول الله ﷺ دون إذن كذلك ينهاكم

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٣٨٧، كتاب التفسير، باب قوله تعالى (لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه)، برقم (٤٧٩١).

عن النظر إلى أزواجه، وإن عليكم ألا تسألوهن إلا من وراء حجاب ﴿ذَلِكَم أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ ﴿لما فيه من البعد عن الشكوك والريبة﴾ ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: ليس لكم أيها المؤمنون أن تؤذوا رسول الله بأي صفة كانت في القول أو الفعل ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدًا﴾ أي: ولا يحل لأحد منكم نكاح زوجاته من بعده؛ لأنهن أمهات المؤمنين وهن زوجاته في الدنيا والآخرة ﴿إِنَّ ذَلِكَم كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ أي: إن زواجكم من زوجات رسول الله أمر عظيم حرمه الله عليكم ﴿إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ أي: ما تبدوه ظاهرا أو تخفوه في أنفسكم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ أي: يعلمه فلا تخفى عليه منه خافية.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير وجوب الاستئذان في دخول بيوت الأجانب وشاهده أيضا قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَم خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ^(١) ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ الآية ^(٢). ومن الأحكام: تقرير أن الله

(١) سورة النور الآية ٢٧ .

(٢) سورة النور من الآية ٢٨ .

لا يستحي من الحق فيما يأمر به عباده من الأحكام والآداب، وهذا يقتضي أن عليهم ألا يستحوا من الحق. وفيهما: أن من الأفضل للرجل والمرأة الأجنبية عنه أن تكون مخاطبتهما من وراء حجاب؛ لأن ذلك أنفى للريبة وأطهر للقلوب. وفيهما: تحريم إيذاء رسول الله ﷺ بأي صفة من قول أو فعل.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيْ ءَابَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَآتَقِينَ اللَّهَ إِبْرَءًا اللَّهُ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ (٥٥)

بيان الآية:

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيْ ءَابَائِهِنَّ﴾ الآية. لما أمر الله عز وجل النساء بالحجاب من الأجانب بين في هذه الآية الأقارب الذين لا تحتجب عنهم وهم الآباء وإن علوا، والأبناء وإن نزلوا، والإخوان وأبناء الإخوان وإن نزلوا، وأبناء الأخوات وإن نزلوا. قوله ﴿وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾ لعل المراد جنس النساء عامة؛ لأن المرأة لا تحتجب عن جنسها ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ المراد به الأرقاء وكما أن المرأة لا تحتجب عن الأقارب المذكورين في الآية لا تحتجب كذلك عن عمها وخالها، وقيل في عدم ذكرهما: إنهما يصفان المرأة لأبنائهم فكره لها أن تضع خمارها عند

عمها وخالها ﴿وَأَتَقِينَ اللَّهَ﴾ أي: اخشينه أيتها المؤمنات ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ أي: رقيباً وشهيداً يعلم السر وأخفى.
أحكام ومسائل الآية:

تقرير المحارم الذين يحق للمرأة المسلمة كشف وجهها لهم كما هو مبين في الآية. ومن الأحكام: أمر الله للنساء بالتقوى والخشية منه وما يقتضيه ذلك من وجوب احتجابهن من الأجانب.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ٥٦

بيان الآية:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ هذا بيان من الله تبارك وتعالى أنه وملائكته يصلون على رسول الله، وهذا من شرفه وعلو منزلته عند ربه وصلاة ربه عليه ذكره في ملائكته، وأما صلاة الملائكة عليه فهي الدعاء والاستغفار.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ هذا أمر للمسلمين أن يصلوا على نبيهم، اقتداء بربهم وملائكته ومحبة له على تبليغه رسالة ربه إليهم ووفاء لبعض حقوقه عليهم ورحمته بهم ومجاهدته من أجل دينهم وشفاعته لهم وللأمة غيرهم يوم القيامة،

ولما في الصلاة عليه من زيادة الإيمان والحسنات. وفي هذا روى أبو طلحة عن أبيه أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والبشرى في وجهه فقلنا: إنا لنرى البشرى في وجهك. فقال: (إنه أتاني الملك فقال: يا محمد إن ربك يقول: أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد إلا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليه عشرا)^(١).

أحكام ومسائل الآية:

تقرير الفضل الذي أسبغه الله على نبيه ورسوله محمد ﷺ وهو سلامه والملائكة عليه فصلاته عز وجل على نبيه وذكره في ملائكته، وصلاة الملائكة عليه الدعاء والاستغفار له. وفيها: الأمر للمسلم بالصلاة والسلام عليه اقتداء بربه وملائكته.

ويمكن للمسلم أن يصلي عليه بأي صيغة مناسبة كقوله عند ذكره: اللهم صل وسلم عليه أو قوله: اللهم صل وسلم على نبينا محمد ونحو ذلك. أما في حال الصلاة فأفضل صيغ الصلاة الإبراهيمية وهي: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وهذه الصلاة واجبة في التشهد الأخير في صلاة الفرض أو النفل.

(١) سنن النسائي ج ٣ ص ٥١، كتاب السهو، باب فضل التسليم على النبي ﷺ، برقم (١٢٨٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ٥٧ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ ٥٨.

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إيذاء الله يكون بالشرك أو الكفر به أو جحود نعمه وفضله على عباده أو مضاهاته في الخلق أو الالحاد في أسمائه وصفاته. وإيذاء رسوله يكون بالتنقص منه أو الطعن في رسالته أو تبليغه لها، أو وصفه بما هو محرم ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ اللعن: الطرد والبعد من رحمة الله ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ أي: هياً لهم في الآخرة عذاباً يرون فيه الذل والمهانة أمام الخلائق يوم القيامة ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ أي: يتهمونهم بما هم بريئون منه ﴿فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ أي: من تعرض لأحد من المؤمنين أو المؤمنات أو نقل عنهم أو نسب إليهم ما لم يقولوه أو يفعلوه، فقد بهتهم وتحمل بذلك إثماً واضحاً.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير عقاب من يؤذي الله ورسوله، وذلك بالطرد

من رحمة الله، وتهيئة العذاب له يوم القيامة. وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (يقول الله عز وجل يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار)^(١). وفيهما: تقرير الوعيد لمن يؤذي المؤمنين والمؤمنات وذلك بالتعرض لهم بالسب أو البهت كسب الصحابة أو أحدهم أو أمهات المؤمنين أو أحد المؤمنين ونسبة فعل لم يفعله إليه. وشاهده: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أتدرون ما الغيبة؟) قالوا الله ورسوله أعلم. قال: (ذكرك أخاك بما يكره) قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: (إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته)^(٢).

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥٩﴾
 ﴿لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ٦٠﴾
 ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخْدُوا وَقَتِّلُوا تَفْتِيلًا ٦١﴾ سُنَّةُ اللَّهِ فِي
 الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ٦٢﴾

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٤٣٧، كتاب التفسير، سورة الجاثية، برقم (٤٨٢٦).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٦٠٨، كتاب البر والصلة، باب تحريم الغيبة، برقم (٢٥٨٩).

بيان الآيات:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَبِيبِهِنَّ﴾ هذا بيان من الله وأمر لرسوله محمد ﷺ أن يأمر أزواجه وبناته ونساء المؤمنين من أمته أن يضعن الجلباب على وجوههن ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ أي: إن في الجلباب دفعا لأذيتهن. ذلك أن عدم وضعه مما يجعل أصحاب السوء يظنون فيهن ظن السوء. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: غفورا لما سبق أيام الجاهلية من عدم إدناء النساء لجلابيبهن رحيماً لعباده.

﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ﴾ هذا وعيد للمنافقين الذين يظهرون الإيمان وهم يبطنون الكفر ويتربصون بالمؤمنين الدوائر ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي: حب الفجور والفواحش وانتهاك المحرمات ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ المراد بهم الذين يتناقلون الأخبار المغرضة؛ لتخويف الناس وإشاعة الخوف فيهم وتهويل شأن الأعداء وإضعاف نفوس المؤمنين ﴿لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ﴾ أي: لنسلطنك عليهم فتستأصلهم ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا﴾ المراد المدينة ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: مدة قليلة ثم يخرجون أو تطردهم منها ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا﴾ أي: مبعدين من رحمة الله أينما وجدوا وسواء كانوا أسرى أو مقتولين ﴿أُخِذُوا﴾ أي: بالتقتيل أو الأسر ﴿وَقُتِلُوا تَفْتِيلًا﴾ أي: لم يبق منهم أحد في المدينة.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: أن سنة الله التي جرت في خلقه أن المنافقين إذا ظلوا على نفاقهم فلم يتوبوا منه وجب طردهم؛ بسبب نفاقهم وفسادهم عن جماعة المسلمين ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ أي: أن سنة الله لا تتبدل ولا تتحول.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بوجوب وضع الخمار على الجيب والوجه، وفي هذا إبطال للطريقة التي كانت النساء يتبعنها في الجاهلية في تغطية رؤوسهن بالأغطية ثم يسدلنها وراء ظهورهن فتبقى وجوههن وصدورهن وأعناقهن وأذانهن دون ستر، وهذا الحكم يقتضي أن تستر المرأة وجهها وصدرها. ومن الأحكام: ذم سلوك المنافقين ومن على شاكلتهم من أهل الفساد ووجوب معاقبتهم بالطرد من بلاد الأمة إذا لم يتوبوا؛ وذلك لما في سلوكهم من الفساد والإفساد. ومنها: الحكم بأن سنن الله في خلقه لا تتبدل ولا تتحول ولا تتغير كما قال عز وجل ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(١).

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾^(٦٣) إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا^(٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا^(٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ

فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا
 إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ
 مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾.

بيان الآيات:

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾ أي: يسألك المشركون والمنكرون
 بالبعث عن قيام الساعة ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: قل لهم
 لا علم لي بوقت قيامها فلا يعلمه إلا الله ﴿وَمَا يَذْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ
 تَكُونُ قَرِيبًا﴾ أي: ما يدريك لعلها تكون قريبة كقوله ﴿أَقْرَبَتْ
 السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^(١). قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ
 سَعِيرًا﴾ أي: قضى بطرد المكذبين بالساعة من رحمته وقد أعد لهم
 نارا مستعرة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ أي: ما كثين فيها أبد الآبدين
 ﴿لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ أي: لن يجدوا عند قيام الساعة وليا
 يواليهم أو ناصرا ينصرهم من عذاب الله.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ أي: تحول وجوههم ذات اليمين
 وذات الشمال في النار ﴿يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾
 أي: يتمنون لو أنهم أطاعوا الله وأطاعوا رسوله في الدنيا ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا
 إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾ أي: يقولون معذرين:

(١) سورة القمر الآية ١ .

إنا أطعنا أشرافنا وعلماءنا، وإنهم هم الذين أضلونا عن الطريق السوي ﴿رَبَّنَا آتِنَهُمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ أي: ضاعف لهم العذاب جزاء لهم على إغوائنا واتباعنا لهم ﴿وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ أي: اطردهم من رحمتك وابسط غضبك وخزيك عليهم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن أحدا لا يعلم وقت الساعة، وإنما يعلمه الله وحده. ومن الأحكام: أن الساعة قد تكون قريبة لقوله عز وجل ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾^(١). ومنها: أن الله يطرد الكافرين المنكرين للبعث من رحمته ويعد لهم عذابا مهينا فلا يجدون حينئذ من يواليهم أو ينصرهم. ومنها: تقرير أن الكافرين يتمنون يوم القيامة أنهم أطاعوا رسلهم وآمنوا بما جاؤوهم به من عند الله. وشاهده أيضا قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾^(٢). ﴿يَوَيْلَ لِي لَيْتَنِي لَمْ أَخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾^(٣). ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾^(٤). ومن الأحكام: وجوب عدم طاعة دعاة

(١) سورة الأنبياء الآية ١ .

(٢) سورة الفرقان الآية ٢٧ .

(٣) سورة الفرقان الآية ٢٨ .

(٤) سورة الفرقان الآية ٢٩ .

الضلال والغواية. وشاهده قول الله تبارك وتعالى ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾^(١).

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾^(٦٩).

بيان الآية:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَى﴾ في هذا تحذير من الله للمؤمنين من أمة محمد ﷺ أن لا يؤذوا نبيهم كما فعل بنو إسرائيل بنبيهم موسى فقد كان عليه السلام حياً لا يحب أن يرى أحد من جلده شيء فقال بنو إسرائيل: إنه ما فعل ذلك إلا لأن فيه علة كالبرص أو الأذرة وهي انتفاخ إحدى خصيتيه ﴿فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ أي: أطلعهم منه على ما أثبت أنه سليم الجسم ولم يكن به ما قاله بنو إسرائيل ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ أي: إن له مكانة عند الله وجاهاً.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بتحريم إيذاء النبي بأي صفة من قول أو فعل، وفي حديث عبد الله بن مسعود: أن رسول الله ﷺ قسم ذات يوم قسماً فقال رجل: والله إن هذه القسمة ما عدل فيها، وما أريد بها وجه الله. قال

(١) سورة النساء الآية ١٤٤ .

عبد الله: فقلت: يا عدو الله لأخبرن رسول الله ﷺ فأتيته فأخبرته فقال: (فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟ رحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر)^(١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ هذا أمر من الله للمؤمنين أن يتقوه ويعبدوه وحده لا شريك له وأن تكون أقوالهم مستقيمة، فلا يقولوا إلا الحق ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ هذا وعد من الله تبارك وتعالى أنهم إذا اتقوه وفقهم للأعمال الصالحة وغفر لهم ذنوبهم وتجاوز عن سيئاتهم كما قال ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾. ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ هذا بيان وإيضاح أن من استجاب لله ورسوله واتقاه، فإن له الفوز العظيم في الدنيا والآخرة.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب تقوى الله بطاعته وتوحيده، ومن لوازم تقواه: اتباع ما

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ٢٨٩، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفه قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، برقم (٣١٥٠).

أمر به هو ورسوله، واجتناب ما نهى عنه هو ورسوله. ومن الأحكام: وجوب سلامة القول، وهذا يقتضي البعد عن الفحش فيه والقول والقيـل وكل ما يتعارض مع آداب الإسلام وأحكامه. ومنها: أن التقوى سبب في الإرشاد إلى الأعمال الصالحة وغفران الذنوب. ومنها: أن في طاعة الله وطاعة رسوله الفوز العظيم في الدارين.

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾ .

بيان الآيتين:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾ الأمانة كل عمل كلف به الإنسان من الفرائض والطاعات والعهود والأمانة على الأموال ونحو ذلك، وهذا بيان من الله أنه عرضها على السموات والأرض والجبال ﴿ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ أي: خفن من تضييعها؛ بسبب وطأتها وعظم أمرها ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾ أي: حملها آدم وتبعته ذريته ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ أي: إن الإنسان كان ظالماً لنفسه جاهلاً بعواقب حمله لها ﴿ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ ﴾

وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴿١﴾ لما حمل الناس الأمانة انقسموا إلى ثلاث فرق: فرقة المنافقين، وفرقة المشركين، وفرقة المؤمنين الصالحين، وقد توعدهم الله أن يعذب المنافقين والمشركين، ووعد المؤمنين بالتوبة عليهم والتجاوز عن خطيئاتهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: يغفر ذنوب من تاب إليه ويرحمه وينجيه من العذاب.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بوجوب حفظ الأمانة وفي هذا قال تبارك وتعالى في صفات المؤمنين ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١) إلى قوله ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾^(٢). وفيه قول رسول الله ﷺ: (آية المنافق ثلاث.. وإذا ائتمن خان)^(٣). وفي الآية الأولى: تقرير جهل الإنسان في حمله للأمانة وعدم إدراكه لعظمها ووطأة حملها وذلك خلافاً للسموات والأرض والجبال التي خيرت في حملها، فأشفقن منها. وفيهما أن الإنسان حين حمل الأمانة افترق إلى منافق ومشرك ومؤمن ولكل منهم جزاؤه حسب عمله.

(١) سورة المؤمنون الآية ١ .

(٢) سورة المؤمنون الآية ٨ .

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ١١١، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، برقم (٣٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة سبأ

مكية وآياتها أربع وخمسون آية

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي
الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا
وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي له الثناء المطلق في الدنيا والآخرة لأنه المتصف
بالكمال وجميع الصفات الحميدة التي لا ينافيه ولا يماثله فيها أحد
﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: هو الله الذي له ملك
السموات والأرض ملكاً أبدياً، لا يتبدل ولا يتغير وما فيهما كله عبيد
ومملوكون له وتحت مشيئته وتصرفه ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ أي:
كما هو المحمود في الأولى على نعمه، فهو المعبود المحمود في الآخرة
من المؤمنين ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في تصرفه ﴿الْخَبِيرُ﴾ بجميع أمور
خلقه وشؤونهم ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يعلم ما يدخل فيها
من المطر والأسرار ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ أي: يعلم ما تنبت من النبات
ويعلم ما فيها من الكنوز ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: من الملائكة

والأقدار ﴿وَمَا يَعْرِجُ فِيهَا﴾ أي: ما يعرج إلى السماء من أفعال العباد ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ أي: الرحيم بعباده المؤمنين الذي يغفر لهم ذنوبهم ويتجاوز عن سيئاتهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بوجوب صرف الشكر والثناء لله عز وجل والإقرار بأنه المحمود الذي لا يحمد أحد سواه، ومن لوازم شكره: تقواه وخشيته وذكره والتسبيح بحمده. والحكم: أن الله هو العالم وحده بالأرض والسماء وما فيهما من الأسرار.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْزِبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ ٣ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٤ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ ٥ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ٦﴾

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ هذا بيان من الله بأن

منكري البعث يقولون إن الساعة لن تأتيهم فأمر الله رسوله أن يقول لهم ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ أي: أقسم لهم بالله تعالى بأن الساعة آتية لهم في أجلها المسمى، وحينئذ لا ينفعهم كفرهم ولا تكذيبهم ﴿عَلِمَ الْغَيْبُ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أن الذي يعلم علم الساعة هو الذي يعلم كل المغيبات فلا يغيب عن إحاطته وعلمه وزن ذرة ﴿وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾ أي: لا أصغر من الذرة ولا أكبر منها ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ أي: مقدر ومكتوب في اللوح المحفوظ.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ المراد أنه حينما قدر البعث وأحاط بكل شيء وسطره في اللوح المحفوظ فلكي يجزي الذين آمنوا به وصدقوا رسوله، وعملوا الأعمال الصالحة ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي: لهم مغفرة لذنوبهم ولهم كامل الرزق في جنات النعيم ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ﴾ أما الذين كذبوا بآيات الله وصدوا عنها، ظانين أنهم سيفلتون من العذاب ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ أي: لهم عذاب من أشد العذاب وأكثره ألماً.

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾

لما ذكر جل وعلا حال المنكرين للبعث ذكر خلافهم وهم الذين أوتوا

العلم والهداية والبصيرة يؤمنون أن الكتاب الذي أنزل إليك من ربك (وهو القرآن) هو الحق الذي لا مرأ فيه ﴿وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ أي: ويرون أن هذا الكتاب يرشد من اتبعه إلى اتباع صراط الله الذي له العزة وله الحمد في السموات وفي الأرض.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير حقيقة البعث والجزاء وتقرير كتابة قضاء الله وأقداره في اللوح المحفوظ كما قال عز وجل ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١). وفيها: أن الله حكم بالبعث وقدره ليجزي بالجنة عباده الذين آمنوا به وصدقوا رسوله وعملوا الأعمال الصالحة. أما الذين كذبوا بآياته وظنوا أنهم لن يعذبوا فإنه مدخر لهم العذاب الشديد. وفيها: أن الذين أوتوا الكتاب والهداية يرون أن القرآن الذي أنزله الله على نبيه ورسوله محمد ﷺ هو الحق الذي يهدي إلى صراط الله المستقيم.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُكُمُ عَلَى رَجُلٍ يَنْبِتُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(٧) أفترى على الله كذباً أم بهء جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد^(٨) أفلم يروا

(١) سورة الأنعام من الآية ٣٨ .

إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نُخَسِّفَ
بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ﴾ هذا بيان من

الله تعالى يخبر فيه عن مقولة المشركين في مكة بعضهم لبعض ﴿إِذَا
مُرِّقَتْ كُلُّ مُمْرَقٍ﴾ أي: متم وتحولتم إلى أشلاء ممزقة كل التمزيق لا
يجمع بينها جامع ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: سوف تبعثون
وتحيون بعد هذا التمزيق ﴿أَفَتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ أي:
أنه بهذا القول، إما مفتر على الله الكذب، أو إن به مساً من الجنون،
يخيل إليه أن هذا سيحدث فيحيا الناس بعد موتهم.

﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ وقد

رد الله على المشركين كذبهم وبيّن جهلهم وسفاهتهم فقال: إن ما قاله
محمد هو الحق الذي لا ريب فيه وإنهم بإنكارهم البعث ضالون،
وسوف يعذبون على ضلالهم وإنكارهم البعث.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

لما كذب الله المنكرين للبعث بين عظيم قدرته فقال عز ذكره: أفلم
ينظروا ما يحيط بهم من الملكوت الأعلى، وأنهم أينما كانوا يرون أن

السماء فوقهم من كل جانب ﴿إِنْ نَشَأْ نُخِيفْ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ أي: نجعلهم يغوصون في الأرض ﴿أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أي: قطعاً فتهلكهم ولكن أخبرنا هذا عنهم لعلهم يتوبون من ضلالهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ أي: أن في النظر والتفكر في السموات والأرض وفي قدرة الله دليلاً لكل عبد منيب إلى ربه تائب إليه من ذنوبه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان سلوك المشركين المنكرين للبعث واتهامهم لرسول الله ﷺ بالكذب أو بالجنون والحكم بأن رسول الله صادق فيما قاله، وأن المنكرين للبعث هم الضالون في الدنيا وسيحقيق بهم العذاب في الآخرة. وفيها: حلم الله على المشركين والكفرة وذلك بإمهالهم ليتفكروا في قدرة الله على عذابهم، إما بخسف الأرض بهم كما فعل بقارون، أو بإسقاط قطع من السماء عليهم كما فعل بالأمم البائدة قبلهم أو بغير ذلك. وفيها: فضل الرجوع عن المعصية والتوبة إلى الله.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لُهُ الْحَدِيدُ ۚ﴾ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلْ سَبِغْتِ وَقَدَّرِ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾

بيان الآيتين:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ إن من جهل المشركين وسفاهتهم وضلالهم تكذيب رسول الله وإنكارهم لما أنعم الله به عليه من النبوة والرسالة، وقد رد الله عليهم بأنه كما أنعم على محمد فقد أنعم من قبل على داود، فأعطاه النبوة وجعل الجبال والطير تردد معه التسبيح وألان له الحديد كما قال عز وجل ﴿يَجْبَالُ أُوتِي مَعَهُ، وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ﴾ وهذا من كمال قدرة الله، وأنه لا يقدر أحد على ما يقدر عليه ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾ أي: ألان الله له الحديد؛ لكي يصنع الدروع ويتقن صنعها بوضع كل شيء من الصناعة في مكانه ﴿وَأَعْمَلُوا صَدْحًا﴾ أي: اعملوا يا آل داود في طاعة الله وشكره على نعمه ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: خبير به.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين تقرير قدرة الله تعالى في جعل الجبال والطير تردد تسبيح داود كما قال تعالى ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾^(١). ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾^(٢). وفيهما: وجوب تعلم الصناعة وآلات الحرب لإرهاب الأعداء وحماية العقيدة ومكتسبات الأمة.

(١) سورة ص الآية ١٨ .

(٢) سورة ص الآية ١٩ .

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمْثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُ ﴿١٣﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ﴾ لما ذكر الله عزوجل ما سخره لداود ذكر ما سخره لابنه سليمان، ومن ذلك: تسخير الرياح له بحيث تقرب له المسافة البعيدة في مدة قصيرة فتقطع مسيرة شهر في أول النهار ومسيرة شهر في آخره ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ أي: سخرنا له عين النحاس ليصنع منه ما يشاء ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ أي: سخرنا له شياطين الجن ليعمل تحت إمرته ما يريده من الأعمال، وهذا بقدرة الله ومشيئته ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ أي: من يميل من الحق عما أمر به ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: يصيبه العذاب الشديد يوم القيامة ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمْثِيلٍ﴾ أي: يعمل له الشياطين ما يرغب فيه من المساكن الفخمة والصور؛ لأنها لم تكن محرمة في شريعتهم ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ﴾

الجفان القصع الكبيرة والجوابي هي الأحواض أي: يصنعون له قِصَعًا كبيرة كأحواض المياه، كما يصنعون له قدورا كبيرة راسيات ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ أي: اشكروا لله يا آل داود على ما أنعم الله به عليكم وأمدكم به ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ أي: إن الذين يشكرون الله على نعمه قليل من الناس، وذلك لجهلهم وعدم تفكيرهم في إفضال الله ونعمه عليهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين تأكيد قدرة الله عز وجل، فقد سخر لداود وسليمان ما يعجز عنه البشر ولا يقدر عليه إلا هو. وفيهما: دليل على إباحة التماثيل والصور في الشريعة اليهودية، وهذا محرم في دين الإسلام كما قال رسول الله ﷺ: (من صور صورة كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ) ^(١). وفيهما: وجوب شكر الله على نعمه وفضله؛ وذلك بذكره وأداء ما فرضه من طاعته وتوحيده.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ٥٧٣٨ كتاب اللبس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان . برقم (٢١١٠).

بيان الآية:

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ ﴾

الآية. كان الجن يدعون أنهم يعلمون الغيب، وقد سأل سليمان ربه أن يخفي موته على الجن، وقد توفاه الله وهو يصلي في محرابه متوكئاً على منسأته، أي: عصاه فلم يعلم به الجن، بل كانوا يعملون كما لو كان حياً ولم يعلموا بموته إلا بعد أن أكلت دابة الأرض أي: الأرضة عصاه فضعفت فسقط على الأرض وتبين أنه قد مات منذ مدة طويلة والجن لا يعلمون عنه فأخبر الله عز وجل أنهم ما كانوا يعلمون الغيب، ولو كانوا يعلمونه ما لبثوا في العذاب الذي كان يفعله بهم سليمان لعصيائهم.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بأن الله وحده يعلم الغيب ولا يعلمه أحد غيره كما قال عز وجل ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾^(١). وقوله عز ذكره ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾^(٢).

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ

(١) سورة الأنعام من الآية ٥٩ .

(٢) سورة الجن الآية ٢٦ .

وَأَثَلِ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ
تُجَزَى إِلَّا الْكَفُورُ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا
قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾
فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ
وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾

بيان الآيات:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ﴾ سبأ: قبيلة يمنية تنسب إلى
أبيها سبأ بن يشجب بن قحطان، كانت تسكن مأرباً، ولا تزال المدينة
قائمة باسمها في اليمن وسدها معروف باسمه، وقد جرى حديثاً إعادة
بنائه من بعد الخراب الذي حدث له مما قصه الله في هذه الآية قوله
﴿جَنَّاتٍ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ لما ذكر الله في الآية السابقة أن الذين
يشكرون نعم الله قلة من الناس ذكر منهم قبيلة سبأ، وقد تفرع من
هذه القبيلة فروع منها: كندة، ومذحج، والأزد، وكان من فضل الله
عليهم أن جعل لهم جنتين على جانبي الوادي تنبت الزورع والفواكه
وغيرها من النباتات التي تسقى من ماء السد ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾
أي: قيل لهم: كلوا مما أنعم الله به عليكم ﴿وَأَشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾
وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿أي: اشكروا الله على ما أنعم به عليكم بأن جعل بلدكم
بلدة طيبة المناخ، وإنه في حالة شكركم سوف يغفر لكم سيئاتكم.

﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ ومع ما كانوا فيه من النعيم تولوا عن طاعة الله وأعرضوا عن شكره، فأرسل الله على السد دابة هي الجرذ فنقبتة فانهار، وانساب الماء في البراري فهلك النبات وهلكت الأشجار ثم قال تعالى ﴿ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ ﴾ أي: شجر مر قيل: هو الأراك ﴿ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ أي: وقليل من شجر السدر وهو أحسن من الخمط والأثل ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ﴾ أي: بسبب كفرهم وعدم شكرهم جازيناهم بخراب السد وضياع مياهه وموت نباتهم وأشجارهم وتبديلها بما هو أسوأ منها ﴿ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ أي: لا نبدل النعمة إلا بسبب عدم شكرها.

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً ﴾ قيل: هي مدن الشام^(١) وقيل: صنعاء^(٢) والمراد جعلنا بين مكان بلدهم وبين القرى المباركة قرى كثيرة ظاهرة للعيان ﴿ وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ﴾ أي: جعلنا المسافة متقاربة بين قرية وأخرى بحيث لا يحتاج المسافر من أي قرية منها إلى مؤنة أو مشقة السفر ﴿ سِيرُوا فِيهَا لِيَالٍ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾ أي قيل لهم: سيروا بين هذه القرى وأنتم آمنون مطمئنون.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ج ٣ ص ٦٣، وتفسير ابن وهب ج ٢ ص ١٨٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٥١٢ .

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ ورغم ما أنعم الله به عليهم من العمران بين بلداهم والبلاد الأخرى وفقدان المشقة من السفر بطروا بهذه النعمة وتمنوا أن يباعد الله بين أسفارهم رغبة منهم في طول السفر مللا من الراحة ﴿وَزَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: بكفرهم وعدم شكرهم لنعمة الله ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أي: حديثا للناس يتحدثون بما نزل بهم من بأس الله ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي: تفرقوا في البلدان بعد أن كانوا مجتمعين في بلادهم، فذهبت غسان إلى الشام، وذهبت خزاعة إلى تهامة، وذهبت الأزد إلى عمان والأوس والخزرج إلى المدينة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي: أن فيما حصل لسبأ من النعم، ثم من النقم بسبب كفرهم وعدم شكرهم لعبرا لكل امرئ صابر على طاعة الله وشاكر لنعمه.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب شكر الله على نعمه، والتحذير من الكفر بها، وقد بين الله ذلك في قوله عز ذكره ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(١). ومن الكفر بها: صرفها في الملذات والشهوات وعدم صرفها في طاعة الله. ومن الكفر بها: الاستهانة بها والإسراف فيها وما يؤدي إليه ذلك من رميها في الزبل.

(١) سورة إبراهيم الآية ٧ .

وقد دلت الوقائع والمحسوسات أنه ما من قوم أو أفراد بطروا بنعمة الله إلا عاقبهم الله، وقد يكون هذا العقاب بسلبها منهم وتحولهم من الغنى إلى الفقر، ومن الشبع إلى الجوع، أو يكون بعذاب يصيبهم الله به كالأمراض وخراب الديار والتشتت في الآفاق، كما حدث لقوم سبأ من التمزق وخراب العمران.

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ، فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
 ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ
 مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ ﴿٢١﴾

بيان الآيتين:

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ﴾ لما كان قوم سبأ ممن أنعم الله عليهم فلم يشكروا ذكر الله عز وجل حالهم كحال الناس الذين صدق إبليس ظنه في إغوائهم كقوله لربه ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^(١). ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾^(٢). قوله ﴿ فَاتَّبَعُوهُ ﴾ أي: اتبعوا ما زين لهم إبليس من الكفر بالنعمة ﴿ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ هذا استثناء من الذين صدق فيهم إبليس ظنه وهم المؤمنون الذين أخلصوا العبادة لله، وعرفوا نعمه

(١) سورة ص الآية ٨٢ .

(٢) سورة ص الآية ٨٣ .

فشكروه عليها، فلم يقدر إبليس عليهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ
مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾
أي: ما سلطناه عليهم إلا لمعرفة من هو الذي يؤمن منهم بقيام
الساعة والحساب والجزاء ومن هو الذي منهم في شك من ذلك
﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ أي: ربك يا محمد يحفظ أعمال
العباد فيحاسبهم ويجازيهم عليها.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين تقرير أن إبليس قد صدق ظنه في إغواء الناس
وأنهم اتبعوه كما قال عز وجل عنه ﴿ثُمَّ لَا تَنبَهُهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾^(١). وفيهما:
أن الفريق الذي آمن بالله حق الإيمان لم يصدق إبليس في ظنه فيه.
وفيهما: أن إبليس لم يكن له على الناس من حجة أو برهان، ولكن
جرت الحكمة الإلهية لاختبارهم؛ لمعرفة من هو المؤمن بقيام الساعة
ومن هو منها في ريب وشك.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ

(١) سورة الأعراف الآية ١٧.

ظَهِيرِ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾

بيان الآيتين:

﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: قل يا محمد للذين يعبدون الأصنام والأوثان من دون الله ويلجؤون إليها عند الشدائد: إنما تعبدون الباطل فهذه الأصنام ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لا ملك لهم بوزن ذرة لا في السموات ولا في الأرض، بل هم مخلوقون مملوكون لله لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضرا ولا نفعا ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ﴾ أي: وليس لهم شركة بأي صفة أو نسبة في السموات والأرض ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ﴾ أي: ليس لله من أصنامهم وأوثانهم معين له يستعين به بل هم مخلوقون وكل الخلق عبيد لله وتحت مشيئته وتصرفه.

﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ أي: لا يستطيع أحد، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل أن يشفع عند الله إلا بعد أن يأذن له في هذه الشفاعة ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ المراد أن الله عز وجل إذا أذن بالشفاعة، فسمعه أهل السموات ارتجفوا وفزعوا؛ إجلالا لعظمته وقدرته وكبريائه، فإذا زال الخوف والفرع

عنهم سأل الذين أذن لهم بالشفاعة الملائكة عما أوحى به عز وجل فيقولون ﴿قَالُوا الْحَقَّ﴾ وأفادوهم بما قال عز وجل ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ العلي في ملكوته، الكبير على مخلوقاته. وقد يكون المقصود في الآية المشركين لذكرهم فيها، وهم أنهم يوم القيامة يسألون عن عبادتهم لغير الله فيغشاهم الفزع والخوف من مآلهم فإذا زال هذا عنهم أقرّوا بأن عبادتهم للأوثان كانت باطلة وأن ما جاءتهم به الرسل من عبادة الله وحده هو الحق وأن الله هو العلي الذي لا يعلو عليه أحد ولعل التفسير الأول هو الأصح.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الله هو المعبود وحده وأن عبادة غيره باطلة، وأن من يعبد من دونه لا يملك وزن ذرة في السموات ولا في الأرض. ومن الأحكام: أن الشفاعة لا تنفع عند الله إلا لمن أذن له ولا يشفع إلا من أذن له كما قال عز وجل ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(١)، وقوله عز ذكره ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾^(٢). ومنها: تقرير أن الله إذا تكلم بالوحي فزع أهل السموات إجلالا لعظمته فيتساءلون بينهم ماذا قال ربنا ؟ فيقول الذين سمعوا الوحي لمن بعدهم: قال الحق، فيخبر كل منهم من يليه بما أوحى الله به. وفي هذا: روى أبو

(١) سورة البقرة من الآية ٢٥٥ .

(٢) سورة الأنبياء من الآية ٢٨ .

هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إذا قضى الله تعالى الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير) الحديث^(١).

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ
إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾^(٢٤) قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا
أَجْرَمْنَا وَلَا تُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ^(٢٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ
بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ^(٢٦) قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ
شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ^(٢٧) ﴿

بيان الآيات:

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: قل لهم يا رسولنا
محمداً من الذي ينزل عليكم المطر من السماء فتنبت به الأرض
فتأخذون رزقكم منها ؟ فإن أقروا بأن الرازق هو الله وإلا ﴿ قُلِ اللَّهُ
﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: قل لهم
نحن المؤمنون وأنتم المشركين على نقيضين هما: الهدى والضلال المراد
من هذا محاولة إقناعهم حسب تفكيرهم، أما الرسول والمؤمنون فهم

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٣٩٨، كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ برقم (٤٨٠٠).

قطعا على هدى، والمشركون على ضلال مبين ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي: لن تسألوا عن أخطاءنا ونحن لن نسأل عن أعمالكم، ولكننا نتبرأ منها وننكرها وندعوكم إلى نبذها فإن فعلتم وأمنتم فنحن منكم وأنتم منا.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ أي: قل لهم يا رسولنا محمداً: سوف نجتمع نحن وأنتم يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ أي: يحكم بيننا بالعدل فيجزي كل عامل منا بعمله وستدركون يومئذ أنكم الخاسرون ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ أي: الحكم العادل الذي يعلم أعمال خلقه فيحكم فيها بالعدل.

﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾ هذا أمر من الله لنبيه أن يتحداهم ويعجزهم بقوله: أروني آلهتكم التي جعلتموهم شركاء لله وألحقتوهم به لأعرف ما إذا كانت تسمع آلهتكم أو تبصر أو تنفع أو تضر. وهم بلا شك لن يفعلوا؛ لأن آلهتهم مجرد أخشاب وتمثيل مجردة من كل شيء ﴿كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: إن أصنامكم باطلة وأنتم خاسرون، فلا معبود إلا الله العزيز بقدرته وعظمته، الحكيم في تدبيره لخلق.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: مشروعية إقناع المدعو بالأمثلة التي تجعله يفكر

بعقله فيستجيب لما يدعى إليه. وفيها: الحكم بأن الله سوف يحكم بين خلقه فيما اختلفوا فيه. وفيها: تحدي المشركين بأن عبادتهم للأصنام لا تتفق مع النقل أو العقل.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ٢٨ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَّكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾

بيان الآيات:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾ أي: ما أرسلناك إلا إلى الناس عامة، عربهم، وعجمهم، وذكرانهم، وإنائهم ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ أي: تبشر من أطاع الله وأطاع رسوله بأن له الجنة وتنذر من عصاه بأن له العذاب ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يعلمون ما يجب عليهم أن يعلموه لأنهم لو علموا لما تركوا طاعة الله واتبعوا أهواءهم ولكن الجهل وعدم العلم يوقعهم في معصية الله. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: يقول المشركون المنكرون للبعث على سبيل الاستهزاء: متى هذا العذاب الذي تنذروننا وتخوفوننا به؟ ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: إن كنتم يا اتباع محمد صادقين فيما تقولون عن هذا العذاب.

﴿قُلْ لَّكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ﴾ هذا أمر من الله لرسوله أن يقول لهم إن لكم يوماً محدداً ﴿لَّا تَسْتَعْجِلُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ المراد به يوم القيامة، أو انتهاء الأجل، وإذا حل هذا لم يستطع أحد تأخيرته أو تقديمه؛ لأن الله قضي وحكم بتحديدته ولا معقب لحكمه.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بعمومية رسالة رسول الله محمد ﷺ حيث أرسله الله إلى الخلق كافة كما قال عز وجل ﴿قُلْ يَتَايَاهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾^(١). ومن الأحكام: تقرير جهل أكثر الناس؛ وذلك يؤدي إلى كفرهم بالله مما يقتضي وجوب علمهم بما أوجب الله وفرضه عليهم. ومنها: أن يوم القيامة ويوم انتهاء أجل الإنسان يوم حدده الله، فلا يقدر أحد على تجاوزه بالزيادة أو النقص.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنُؤْمِنَ بِهِذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾^(٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ^(٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ

(١) سورة الأعراف من الآية ١٥٨ .

أَسْتَضِعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا
 أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ
 وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ المراد به
 المشركون في مكة، فقد قالوا مكابرة وعناداً: إنهم لن يؤمنوا بالقرآن
 الذي نزل على رسول الله محمد ﷺ ﴿وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي:
 ولا يؤمنون بما سبقه من الكتب كالتوراة والإنجيل ﴿وَلَوْ تَرَى
 إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ
 الْقَوْلَ﴾ أي: سوف ترى يا محمد أن الظالمين وهم في موقف الذل
 والمهانة يوم القيامة يرد بعضهم القول على بعض ﴿يَقُولُ الَّذِينَ
 اسْتَضِعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ أي: يقول الأتباع الضعفاء للمتبوعين
 الأقوياء ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لولا أنكم تصدوننا عن
 سبيل الله لكنا مؤمنين، ولما كنا في الموقف الذي نحن فيه من الذل
 وانتظار العذاب المهين ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضِعِفُوا﴾
 أي: قال المتبوعون لأتباعهم ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ
 جَاءَكُمْ﴾ أي: لم نصدكم أو نصرفكم عن الهدى، بل أنتم اتبعتمونا

بإرادتكم ﴿بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ أي: متبعين لأهوائكم وشهواتكم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ أي: يرد التابعون على المتبوعين ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بل مكرتم بنا في الليل والنهار ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً﴾ أي: تأمروننا أن نشرك بالله ونجعل معه آلهة تعبد ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ أي: أسر المستضعفون والكبراء الندامة لما شاهدوا العذاب يحيق بهم ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: جمعت أيديهم مع أعناقهم بالأغلال ثم ألقوا في جهنم ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: إنما يحاسبون على أعمالهم ويجزون عليها حسب طبيعتها إن كانت خيراً فخير وإن كانت شراً فشر.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير سلوك الكفار وهو أنهم لا يؤمنون بالحق أنى كان مصدره، فالمشركون المنكرون للبعث لما عرفوا أن التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب السماوية المنزلة تؤكد حقيقة البعث، مثلها في ذلك مثل القرآن، أنكروها وأنكروا القرآن. وفيها: أن أتباع الضالين والمجرمين يلومونهم على إفسادهم وصددهم عن سبيل الله كما أن المتبوعين يضعون المسؤولية عليهم لتبعتهم إياهم ويصفونهم بالإجرام، فكل منهم يلوم الآخر ويسر الندامة لما شاهدوا العذاب يحيط بهم، فكان جزاؤهم شد الأغلال في أعناقهم؛ جزاء عملهم.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ ٣٤ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾

بيان الآيات:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ ﴾ لما لاقى رسول الله ﷺ العنت من قومه وتكذيبهم له أراد الله تسليته؛ ليعلم أن من سبقه من المرسلين قد عانى من قومه، فما من قرية أرسل إليها رسول ﴿ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا ﴾ أي: أغنياؤها وكبرائها وأصحاب النعمة فيها ﴿ إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ أي: مكذبون بالذي تقولون إنكم مرسلون به ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴾ أي: تباهاوا بكثرة أموالهم وأولادهم ظنا منهم أن ذلك ما كان ليكون لهم إلا بسبب رضى الله عنهم، فكما أعطاهم المال والولد في الدنيا فلن يعذبهم في

الآخرة ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المتباهين بأموالهم وأولادهم: إن ربي يعطي المال والولد من يحب ومن لا يحب فيبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لمن يشاء، وليس هذا دليلا على محبة هذا وبغض ذاك، ولكن حكمة الله اقتضت ذلك لعلم علمه وقدر قدره ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يعلمون أن بسط أرزاقهم أو تضيقها عليهم إنما هو بحكمة الله امتحانا لهم هل يشكرون أو يكفرون.

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى﴾ أي: ليست أموالكم ولا أولادكم هي التي تقربكم إلينا وتحببكم إلينا، إنما يقربكم إلينا أعمالكم الصالحة وهو معنى قوله ﴿إِلَّا مَنَ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أي: فمن كان هذا عمله ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾ أي: تضاعف أعمالهم الحسنة بعشر أمثالها ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ أي: في غرفات الجنة آمنون من كل آفة.

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ﴾ أي: يسعون؛ لكي يصدوا غيرهم عن سبيل الله كما صدوا هم أنفسهم ظنا منهم أننا عاجزون عن عقابهم ﴿أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ أي: يحضرون إلى جهنم للعذاب ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ

مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴿١﴾ هذا تأكيد لما سبق أي: قل يا محمد لهؤلاء
الجهلة من قومك الذين اغتروا بكثرة أموالهم وأولادهم: إن ربي
يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له، لا محبة لمن بسط له
الرزق ولا كرها لمن ضيق عليه، وإنما هو امتحان لهذا وذاك ﴿٢﴾ وَمَا
أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴿٣﴾ أي: إن ما تنفقونه فيما أباحه الله
لكم كالنفقة على أولادكم وأقاربكم وعلى المحاويج من المسلمين،
فإن الله يخلفه بما هو أكثر منه في الدنيا وما هو أعظم منه في
الآخرة ﴿٤﴾ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿٥﴾ أي: هو بفضلته وإنعامه أعظم
وأجل من الرازقين في الدنيا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن المترفين في الأمم السابقة قد كذبوا رسلهم
وما جاؤوهم به من البينات وأن أتباعهم هم الضعفاء كقول قوم نوح
له ﴿١﴾ أَنْوْمُنْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ ﴿٢﴾. ومن المشاهد والمحسوس
في أي زمان ومكان أن المترفين أكثر ما يكونون غرورا وتهاونا في
حقوق الله وينسون أن أموالهم امتحان لهم ليكفروا بها أو يشكروا.
وكما ينطبق على الأفراد من الأمم ينطبق على الأمم نفسها، فالأمم
القوية في مادتها وسلطانها غالبا ما تكون طاغية في سلوكها كقوله

(١) سورة الشعراء من الآية ١١١ .

تعالى ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ﴾^(١). ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢). وفيها: أن الله حين يبسط الرزق أو يضيقه؛ إنما هو لحكمة وقدر قدره وليس دليلا على محبة من بسط له الرزق كما أنه ليس دليلا على عدم محبة من ضيق عليه فيه.

وفيها: أن المال والولد لا يقرب إلى الله، وإنما يقرب إليه العمل الصالح وهذا العمل مما تضاعف فيه الحسنات. وفيها: أن من يسعى في صد الناس عن الإسلام سوف يحضر يوم القيامة إلى العذاب. وفيها: أنه ما من نفقة ينفقها العبد مما أمر به وأبيح له إلا ويخلفها الله عليه بما هو أكثر منها في الدنيا وما هو أعظم منها في الآخرة. وشاهده: قول رسول الله ﷺ: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا)^(٣).

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾^(٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾^(٤١) فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ

(١) سورة المؤمنون الآية ٥٥ .

(٢) سورة المؤمنون الآية ٥٦ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى)، برقم (١٤٤٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٣ ص ٣٥٧ .

نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا
تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾

بيان الآيات:

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا﴾ هذا بيان من الله أنه يوم يحشر المشركين
يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ أي:
هل أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم من دوننا ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ أي:
تنزهت وتقدسست وتعاليت عن أن يكون لك شريك ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ
دُونِهِمْ﴾ أي: نحن عبيدك ونعوذ من عمل هؤلاء ونتبرأ منهم ﴿بَلْ
كَانُوا يَعْبُدُونَ الْإِنِّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ أي: أن هؤلاء كانوا
يعبدون الشياطين وأكثرهم يؤمنون بما يقولونه لهم ويدعونهم إليه.
﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ أي: يقال
للمشركين إنه لا ينفعكم اليوم من كنتم تدعونهم من دون الله ولن
يدفعوا عنكم ما ستلاقونه من العذاب ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي:
المشركين ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ أي: ذوقوا في هذا
اليوم عذاب النار التي كنتم تكذبون بها.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم ببراءة الملائكة والأنبياء من قبولهم عبادتهم

من دون الله كقول الله للملائكة ﴿أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾^(١). ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يُبْغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾^(٢). وقول الله لعيسى ابن مريم عليه السلام ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾^(٣).

وهذا يقتضي أن الشياطين هم الذين يأمرون المشركين بعبادة الملائكة والنبیین والصالحين؛ أما هؤلاء فهم براء منهم ومن عبادتهم لهم. وفيها: أن تكذيب المشركين ومنكري البعث بالنار واستهزائهم بمن ينذرهم بها يؤول بهم إلى العذاب يوم القيامة.

﴿وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ ءَابَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(٤٣) وَمَا ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ^(٤٤) وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِيعَادَ مَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ^(٤٥).

(١) سورة الفرقان من الآية ١٧ .

(٢) سورة الفرقان من الآية ١٨ .

(٣) سورة المائدة من الآية ١١٦ .

بيان الآيات:

﴿ وَإِذَا تُلِيَّ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ﴾ أي: إذا تتلى عليهم آيات القرآن في بيانها ووضوحها ﴿ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ آبَاءَكُمْ ﴾ أي قالوا: إن قصد محمد مما يتكلم به هو صدكم عن دين آبائكم، وأن ما يقوله ما هو إلا كذب افتراه كما قال الله عنهم ﴿ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرٍ ﴾ وقوله ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ أي: لما جاءهم القرآن وصفوه بالسحر والكهانة ﴿ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ﴾ أي: ما أنزل الله على قومك من كتب يتدارسونها فأباحث لهم ما يفعلونه من الشرك ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴾ أي: ما أرسلنا إليهم قبلك يا محمد من رسول يحتجون بما قاله لهم بل إنهم كانوا يتمنون أن نرسل إليهم رسولا كما قالوا ﴿ لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنْزِلَ وَنَخْزِي ﴾ ^(١). فلما جاءهم عصوه وكذبوه ﴿ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي: كذب من سبقهم من الأمم ﴿ وَمَا بَلَغُوا مِيعَ شَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ ﴾ أي: ما بلغ هؤلاء من القوة معشار ما آتينا أولئك من القوة ﴿ فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَيْفَ كَانَ

(١) سورة طه من الآية ١٣٤ .

نَكِيرٍ ﴿١﴾ أي: لما كذبوا أهلكتناهم، فمنهم: من خسفنا به الأرض ومنهم: من أخذته الصيحة ومنهم: من أخذته الرجفة، وهكذا يكون العقاب لكل مكذب لرسوله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير سفاهة المشركين وجهلهم حين كذبوا رسول الله رغم البينات الدالة على نبوته ورسالته. وفيها: أن العرب كانوا يتمنون أن يأتيهم رسول من عند الله يبين لهم الهداية من الضلال فلما جاءهم بالحق كفروا به. وقد حكى الله ذلك عنهم بقوله عز ذكره ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ ﴿١﴾. ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ﴿٢﴾. وفيها: أن قوة العرب وحضارتهم ما كانت تساوي القليل مما كانت عليه الأمم السابقة من القوة، وقد أهلكهم الله بسبب تكذيبهم لرسوله وفي هذا تخويف وإنذار للمشركين من أن يكون مصيرهم مثلهم في العذاب.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظِيكُمْ بِوَحْدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِزْفَةٍ﴾ ﴿٣﴾. ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ﴿٤٦﴾.

(١) سورة الزخرف الآية ٣٠.

(٢) سورة الزخرف الآية ٣١.

بيان الآية:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بَوَاحِدَةٍ﴾ هذا أمر من الله تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يقول لقومه الذين اتهموه بالجنون: إنما آمركم بمسألة واحدة وهي ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِزْيَافٍ تُرْمَى﴾ ثم تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ ﴿أَيُّ: تَقُومُوا لِلَّهِ قِيَامَ إِخْلَاصٍ وَتَجَرَّدَ مِنَ الْهَوَى، ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا فِي مَسْأَلَةِ مُحَمَّدٍ وَاتِّهَامِهِ لَهُ بِالْجَنُونِ فَتَسْأَلُوا أَنْفُسَكُمْ وَتَسْأَلُوا غَيْرَكُمْ عَنْ حَقِيقَتِهِ وَعِنْدُكُمْ سَوْفَ تَجِدُونَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ وَلَا سَاحِرٍ وَلَا كَاهِنٍ﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿أَيُّ: هُوَ نَاصِحٌ لَكُمْ وَمَشْفِقٌ عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي سَوْفَ يَحِيطُ بِكُمْ إِذَا اسْتَمَرَرْتُمْ عَلَى عَصْيَانِكُمْ وَتَكْذِيبِكُمْ لِمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنَ الْبَيِّنَاتِ.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن رسول الله ﷺ كما بعث مبشرا بعث نذيرا ومخوفا للعصاة من عذاب الله، وفي هذا روى ابن عباس رضي الله عنهما - كما سبق ذكره - أن رسول الله ﷺ صعد ذات يوم على الصفا فهتف: (يا صباحاه؟) فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه فقال: (أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟) قالوا: ما جربنا عليك كذباً قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) قال

أبو لهب: تبا لك ما جمعنا إلا لهذا ؟ فأنزل الله قوله ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾^(١).

﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾^(٤٧) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَمَ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَمَا يُوحِي إِلَى رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾

بيان الآيات:

﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ﴾ لما دعا الله المشركين إلى التفكير في أمر رسوله، وأنه ليس بمجنون ولا ساحر، وإنما هو نذير لهم أمره أن يقول لقومه: لا أسألكم أجرا أي: جُعلا على نذارتي لكم ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أي: الشاهد والعالم بما أنا عليه من تبليغ رسالته وما أنتم عليه من إنكارها ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَمَ الْغُيُوبِ ﴾ أي: قل لقومك يا محمد: إن ربي يلقي بالوحي على من يشاء من عباده وهو علام الغيوب فلا يخفى عليه شيء في الوجود ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ أي: قل لهم: جاءكم الدين من عند الله وزال

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾، برقم (٤٩٧١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٦٠٩.

الباطل في عبادتكم للأصنام كما قال تعالى ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ
الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾^(١).

﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي ﴾ أي: قل لقومك: إني إن
ضللت فيما أدعوكم إليه؛ فإنما ضلالي على نفسي وليس عليكم منه
شيء ﴿ وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي ﴾ أي: إن اهتديت فإنما
هو بفضل الله علي ﴿ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ أي: يسمع ما أقول لكم
وما تقولونه لي وسوف يحاسب كلًا منا على عمله فيجازي المحسن
بالحسنى ويجازي المسيئ بالعذاب.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن من يدعو إلى الله إنما يبتغي الأجر
من عنده، وهذا يقتضي ألا يأخذ جُعلاً من أحد، وهذا ينطبق في
الخصوص على الأنبياء والرسل؛ لأن الله نزههم أن يأخذوا أجوراً
على أدائهم لرسالته، وكما ينطبق على الأنبياء والرسل ينطبق على
غيرهم من الدعاة، ولكن الحال قد لا تكون على العموم فالداعي
إذا تجرد للدعوة وجعل وقته لها يحتاج إلى مؤنة له ولعِياله فلا
مانع إذا من مساعدته من بيت المال أو من إخوانه أو أصدقائه بما
يساعده، فإن كان غنياً أو قادراً على الكسب مع قيامه بالدعوة

(١) سورة الإسراء الآية ٨١ .

فذلك خير وأبقى. وفيها: الحكم بأن نبوة محمد ﷺ ورسالته هي الحق الذي أزال الباطل فلا دين إلا ما جاء به في كتاب الله أو في سنته عليه الصلاة والسلام.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٥١
وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ۚ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَافُثُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝٥٢ وَقَدْ
كَفَرُوا بِهِ ۚ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝٥٣
وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي
شَكٍّ مُّرِيبٍ ۝٥٤ ﴾

بيان الآيات:

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ ﴾ أي: لو ترى يا محمد المشركين يوم القيامة ويوم الحساب، وقد سيطر عليهم الخوف والفرع من شدة ما يرون وأنه لا مهرب لهم منه ﴿ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ أي: يؤخذون على وجه السرعة ﴿ وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ۚ ﴾ أي: بعدما رأوا العذاب قالوا آمنا بالله وما جاء به رسوله ﴿ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَافُثُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ أي: أنى لهم الإيمان وهم كانوا بعيدين عنه في الدنيا فكيف يكون لهم في الآخرة، فهذا بعيد عنهم؛ لأن الآخرة دار جزاء وليست دار عمل.

﴿ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: كذبوا وكفروا بالحق لما جاءهم في الدنيا ﴿ وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ أي: كانوا يترجمون محمداً ﷺ بالظن فتارة يقولون إنه ساحر وتارة يقولون إنه كاهن أو شاعر وكل هذا كان رجماً بالغيب لا علم لهم فيه ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ أي: حيل بينهم وبين الإيمان والتوبة وبين أموالهم وأولادهم في الدنيا ﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: كما جرى لغيرهم ممن كذبوا الله وكذبوا رسوله وعتوا عن الحق واستكبروا عنه ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴾ المراد بهم المشركون في مكة ومن على صفتهم والمعنى: أنهم كانوا في الدنيا في ريبة وشك في توحيد الله وطاعته، فإيمانهم في الآخرة لا ينفعهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الإيمان في الآخرة لا ينفع صاحبه؛ لأن الآخرة ليست داراً للعمل، وإنما العمل في الدنيا، فمن يعرض عنه في الدنيا فليس له سوى الحساب والجزاء. وفيها: الحكم بأن من كان يشك فيما جاء من عند الله على لسان رسله يعد كافراً به؛ لأنه لا إيمان مع الشك، وإنما الإيمان مع اليقين والتصديق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة فاطر

مكية وآياتها خمس وأربعون آية

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَى
أَجْنَحَةٍ مَّثْنَى وَثُلْتَ وَرُبْعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ
مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: هو المستحق وحده للحمد والثناء فوجب على
الخلق أن يحمده ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مبدئهما ومبدعهما
إنشاء وتكوينهما ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا﴾ أي: يبلغون رسالاته إلى
أنبيائه ﴿أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّثْنَى وَثُلْتَ وَرُبْعٌ﴾ أي: منهم من له جناحان
ومنهم: من له ثلاثة ومنهم: من له أربعة ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾
أي: يزيد في خلق الأجنحة ما يشاء ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي:
قادر على ما يشاء، ويريد، فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ
مِنْ بَعْدِهِ﴾ هذا بيان من الله أن كل شيء بيده وتحت تصرفه، فما يمنحه

لخلقه من أرزاقهم لا يقدر أحد على منعه من دونه، وما يمسكه ويمنعه هو لا يقدر أحد على إرساله وجريانه فهو المعطي وحده، والمانع وحده، والمتصرف والمدبر وحده ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ بقوته ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين الحكم بوجوب حمد الله من خلقه وصرف هذا الحمد له وحده؛ لأنه خالقهم ورزقهم ومدبرهم. وفيهما: تقرير قدرة الملائكة الذين يرسلون إلى الأنبياء أو إلى أمر يريده الله أن لهم أجنحة متعددة، كما ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ رأى جبريل ليلة الإسراء، وله ستمائة جناح بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب^(١). وفيهما: أن كل شيء بيد الله وتحت قدرته فما يعطيه لا أحد يقدر على منعه وما يمنعه لا أحد يقدر على إعطائه فهو المعطي والمانع.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانِ تُوَفَّكُونَ﴾

بيان الآية:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ هذا أمر من الله لعباده ومنهم المشركون من أهل مكة أن يتذكروا أن الله هو المنعم عليهم

(١) أخرجه البخاري مختصراً في كتاب التفسير، باب قوله تعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى)، برقم (٤٨٥٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٤٧٦.

والرازق لهم وأن يشكروه على ذلك ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا استفهام تقريرى أى: لا خالق للعباد غير الله ولا رازق لهم إلا هو، فهو الذي ينزل المطر من السماء فتنبت الأرض بالزروع والثمار وهو المتكفل بأرزاقهم كما قال تعالى ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^(١). فاقضى هذا وجوب تذكر نعمه وشكره عليها ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أى: هو الرب والإله الذي لا رب غيره ولا إله إلا هو ﴿فَأَنْتَ تُؤَفِّكُونَ﴾ أى: كيف إذن تصرفون عن عبادته وتوحيده.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: وجوب ذكر نعم الله؛ لأن في ذكرها اعترافاً بها وشكره عليها. وفيها: أن من آتاه الله عقلاً يدرك أن الخالق للخلق والرازق لهم هو المستحق وحده للعبادة كما قال تعالى ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٢). وفيها: العجب من حال المشركين فهم يعرفون أن الذي خلقهم هو الله، وأنه الذي يرزقهم بإنزال المطر عليهم، ومع ذلك يشركون آلهتهم في عبادته.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾

(١) سورة هود من الآية ٦ .

(٢) سورة النحل الآية ١٧ .

يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾

بيان الآيات:

﴿وَأَن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ هذا بيان من الله يسلي فيه نبيه ورسوله محمداً ﷺ أي: أن يكذبك قومك يا محمد بما جئتهم به من البينات والهدى، فقد سبق أن كذبت أمم رسلها بما جاؤوهم به ﴿وَالِإِلَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ أي: أن الله هو المرد والمرجع، وسوف يجازي المكذبين على كذبهم، ويجازي المصدقين على تصديقهم ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: إن يوم المعاد إليه كائن لا محالة ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: لا تغتروا بزينتها ومفاتنها فهي فانية ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ أي: ولا تغتروا بالشيطان بما يزينه لكم من المعاصي ويسوقه لكم بطول الأجل فيصدكم عن سبيل الله ثم يفاجئكم الأجل فتندمون على تفريطكم.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ لما حذر عز وجل من الاغترار بالشيطان بين أنه عدو للإنسان مبارز له بالعداوة يعمل على إيقاعه في المعاصي وإهلاكه بها، ثم أمر بمعاداته وتكذيبه وعصيانه

فيما يأمر به ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: أن غايته ومراده إضلال حزبه وأعدائه؛ ليكونوا معه في النار التي أعدت له وأصحابه.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لما بين تعالى مآل الشيطان وحزبه إلى السعير بين الله أن للكافرين عذاباً أليماً؛ لأنهم اغتروا به وما زينه لهم من الكفر فاتبعوه ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أي: أن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة يغفر الله لهم ذنوبهم ويأجرهم على أعمالهم وذلك بإدخالهم جنات النعيم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تسلية الله لرسوله وللمؤمنين في كل زمان ومكان أنهم إذا كُذِّبوا فيما يدعون إليه من توحيد الله وطاعته، فلهم أسوة بما حصل للأنبياء والمرسلين والمصلحين والدعاة من التكذيب من أممهم. وفيها: الحكم بأن بعث الخلائق ومحاسبتهم ومجازاتهم واقع لا محالة. وفيها: تحذير الأمة من الاغترار بالحياة الدنيا وزينتها كما قال تعالى ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَرَنَهُ مُمْصِرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّن

اللَّهُ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعُ الْغُرُورِ ﴿١﴾. وفيها: التحذير كذلك من الشيطان وما يزينه للإنسان من المعاصي، ووجوب مبارزته بالعداوة؛ لأن مراده هو الإيقاع بحزبه وأصحابه؛ ليكونوا معه في العذاب. وفيها: تقرير الجزاء للكافرين بالعذاب والجزاء للمؤمنين بالأجر والثواب.

﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرْتَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾

بيان الآية:

﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ هذا استفهام إنكاري والمراد أن الله لما حذر من الاغترار بالدنيا والشيطان وما سيؤول إليه الكافرون من العذاب وما سينال المؤمنون من الثواب بين أن من زين له الشيطان سوء عمله واتبع هواه فعصى الله، وهو يرى ذلك حسنا هل يكون مثل من أطاع الله وأطاع رسوله ؟ الجواب بالنفي القاطع؛ لأن بين هذا وذاك بعد كالبعد بين السماء والأرض. ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ أي: يضل بعدله من يستحق الإضلال بسبب إعراضه عما جاءه من الحق ويهدي بفضله من يستحق الهداية بسبب

إقباله على الله واتباع ما أمر به ﴿فَلَا نَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ أي: لا تأسف وتتحسر يا محمد على عدم هداية من لم يؤمن من قومك ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ أي: أنه العليم بأعمالهم، وسوف يجازيهم عليها فلا تأس عليهم.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: التحذير من الشيطان وأتباعه؛ لأنه يزين للمرء سوء عمله فيرى السيئة حسنة، والحسنة سيئة، والمنكر معروفًا والمعروف منكراً. وهذا هو ما يحصل للذين يرتكبون المحرمات ويبحثون لها عن علل وأسباب، ثم ما تلبث إلا أن تكون جزءاً من سلوكهم، فكلما ارتكبوا معصية زينوها لأنفسهم، وهكذا تكون كل أعمالهم عصياناً لله عزوجل. وفيها: أن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، فمن أضل نفسه باتباعه للشيطان أضله الله. ومن اهتدى في نفسه بتقوى الله واتباع أوامره هداه الله وهكذا يضل الله الضالين ويهدي المهتدين.

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ ٩ ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ﴾ ١٠ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى

وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَّعْمَرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

بيان الآيات:

﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ هذا بيان من الله عن عظيم قدرته وكمالها في أنه يبعث الرياح فتحرك السحاب فيسوقه إلى بلد ميت ليس فيه نبات ولا حياة فينزل فيه فتحيا به الأرض بعد موتها أي: ينبت النبات فتتحول من أرض هامدة يابسة إلى أرض مخضرة حية كما قال عز وجل ﴿ فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مُمِيتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ وكما يفعل الله ذلك، يحيي الموتى بعد قيام الساعة، حيث ينزل من تحت العرش مطرا يملأ الأرض فتنبت الأجساد في القبور من عَجَب الذَّنْب كما تنبت الحبة في الأرض بعد نزول المطر.

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ أي: من كان يريد العزة في الدنيا والعزة في الآخرة فليطلبها من الله الذي له العزة وطلبها يكون بتقواه وطاعته وخشيته ولزوم أوامره واتباع رسوله ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ أي: يصعد إليه الذكر والاستغفار والدعاء ﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ أي: إن العمل الصالح يرفع الذكر والاستغفار والدعاء إلى الله، فمن عمل عملاً صالحاً ذكر الله فيه

رفع عمله ذكره، ومن عمل عملاً صالحاً استغفر الله فيه رفع عمله استغفاره، وهكذا يرفع كل عمل صالح ما فيه من تقوى الله ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أي: أن الذين يفعلون السيئات إما بأذى المؤمنين، أو يجاهرون بالباطل، أو يراؤون بأعمالهم أو يكيدون للمؤمنين يعذبهم بالعذاب الأليم ﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ﴾ أي: يبطل الله مكرهم.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ أي: خلق أباكم آدم من تراب، ثم تناسلتم فيبتدئ خلقكم من نطفة امتزجت من ماء الرجل وماء المرأة ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: جعل منكم الذكر والأنثى، ففتزاوجون ويسكن بعضكم إلى بعض ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ أي: ما تحمل أنثى بمولودها، ولا تضعه بعد حمله إلا وهو بعلمه المطلق يعلم ذلك لا تخفى عليه خافية ﴿وَمَا يَعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ أي: أن عمر الإنسان من حيث طوله أو قصره مسجل في كتاب المقادير، فلا يموت إلا وقد بلغ الأجل الذي كتبه الله في هذا الكتاب ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: هين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن إحياء الله الأرض بعد موتها بما ينزله عليها من المطر يماثل إحياءها بالمطر الذي ينزله عند قيام الساعة

فتنبت به الأجساد من عجب الذنب وقد ورد في الحديث: (يبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه فيه الخلق)^(١). وفيها: الحكم بأن العزة في الدنيا والآخرة لا تكون إلا من الله، ومن ابتغاهما عند غيره من الدول أو من الملوك أو الرؤساء أو من أحد من سائر الخلق فقد هان وذل كما قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنَهُوا فِي عُرْسِهِمْ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾^(٢). وفيها: أن الذين يعملون السيئات بما يرتكبونه من الكفر أو إيذاء المؤمنين فإن الله يبطل مكرهم ويعذبهم ويرتد مكرهم إليهم كما قال تعالى ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾^(٣). وفيها: الحكم بأن الله يعلم بعلمه المطلق أمور خلقه وقد قدر خلقهم وأرزاقهم وأعمارهم في كتاب المقادير كما قال تعالى ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَكْتُبُهَا رَبُّكَ بِمِثْقَلِ ذَرَّةٍ مِنْ وَزْنٍ﴾^(٤).

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، برقم (٤٨١٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٤١٤.

(٢) سورة النساء الآية ١٣٩.

(٣) سورة فاطر من الآية ٤٣.

(٤) سورة الأنعام من الآية ٥٩.

الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرُ لَتَبْنَعُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُوَلِّجُ الْبَلَّ فِي
النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي
لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ
دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ
وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۚ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكُمْ ۖ وَلَا
يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾

بيان الآيات:

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾ يبين
عز وجل عظيم قدرته في خلقه الأشياء المتضادة، حيث خلق بحرين
مختلفين أحدهما: عذب الماء يستساغ شرابه لعذوبته كما هو الحال
في مياه الأنهار، والآخر ﴿مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ وهو ماء البحر المر الذي لا
يستساغ شربه ﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ المراد به السمك
الذي يستخرج من هذين البحرين ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾
كاللؤلؤ والمرجان مما يستخرج من البحر ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرُ﴾
أي: وترى السفن تبحر فيه ليلا ونهارا ﴿لَتَبْنَعُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ حيث
تحملكم هذه السفن من مكان إلى آخر وتحمل تجارتكم وأرزاقكم
﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: تشكرون ربكم على ما أنعم به عليكم
وما يسره لكم من مخلوقاته.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ أي: يدخل بعضا من الليل في النهار فيطول ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ أي: يدخل بعضا من النهار في الليل فيطول، كما أنهما يتعاقبان، فيبدأ هذا وينتهي الآخر في نظام ثابت لا يتغير ولا يتبدل ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ أي: وسخر الشمس والقمر لمنافع العباد فجعلهما يجريان في غير انقطاع إلى أن تقوم الساعة وهو قوله ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ أي: أن الذي خلق هذه الأشياء وكونها وقدرها هو ربكم القادر الذي لا يقدر عليها سواه وهو الذي له ملك السموات والأرض ومن فيهن يدبرهما كيف يشاء ويتصرف فيهما بقدرته وحكمته لا إله إلا هو فتبارك الله رب العالمين ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ لما بين عز وجل عظيم قدرته وكمال صنعه بين للمشركين أن الذين يدعونهم من الأوثان والأصنام أو الأنبياء والصالحين لا يملكون لهم نفعا ولا يدفعون عنهم ضرا بقدر القطمير وهو القشرة الرقيقة على نواة التمر أو ما هو أقل منه. ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ أي: لا يسمعون دعائكم؛ لأن الأوثان والأصنام أحجار وأشجار لا تسمع ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ أي: لو فرض أنهم سمعوا دعاء من يدعوهم لما استطاعوا إجابته؛ لأنهم لا يقدرُونَ على نفعه أو ضره ﴿وَيَوْمَ

الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشُرَكَّكُمْ ﴿٥﴾ أي: يتبرؤون منكم يوم القيامة ﴿٥﴾ وَلَا يَنْبِئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴿٦﴾ أي: لا ينبئك بما ستؤول إليه أحوال المشركين يوم القيامة مثل خير، والمراد به الله عز وجل الذي أخبر - عن حق وصدق - بأحوال خلقه وما ادخره من الثواب للمؤمنين منهم وما هياه من العذاب للكافرين منهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير قدرة الله وعظمته في خلق الأشياء المتضادة، وما فيها من المنافع للعباد وتقرير قدرته كذلك في تعاقب الليل والنهار وخلق الأفلاك السيارة في نظام دقيق لا يقدر عليه إلا هو. وفيها: تقرير أن من يدعى من دون الله عاجز في ذاته عن النفع أو الضر، وهذا يقتضي حكماً وعقلاً عجزه عن نفع غيره بمقدار القشرة على نواة التمر وما هو أقل منها.

وفيها: أن من يدعى من دون الله يتبرأ يوم القيامة ممن دعاه كما قال عز وجل ﴿٥﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ وقوله ﴿٦﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٧﴾.

﴿٧﴾ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٨﴾

(١) سورة الأحقاف الآية ٥ .

(٢) سورة مريم الآية ٨٢ .

إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ
وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ ۚ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

بيان الآيات:

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ هذا بيان من الله عز وجل
يخاطب فيه خلقه أنهم فقراء إليه في كل أمورهم، فهم فقراء إليه
في خلقهم وفي أرزاقهم وفي دفع الضر عنهم، كحمايتهم من الزلازل
والأمراض والأوبئة، وكما أنهم فقراء إليه في الدنيا، فهم فقراء إليه في
الآخرة حين يحاسبهم فيرجون عندئذ رحمته ويخشون عقابه ﴿وَاللَّهُ
هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ أي: هو الغني عن خلقه كما قال عز وجل ﴿مَا
أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ﴾^(١). ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو
الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾^(٢). وهو الحميد في ذاته المحمود في قدرته وتدبيره.

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: إن يرد يُفْنِكُمْ
ويهلككم أيها الناس ويخلق خلقاً آخر غيركم يطيعوه ولا يعصوه
﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ أي: ليس هذا بممتنع عليه، بل هو يسير

(١) سورة الذاريات الآية ٥٧ .

(٢) سورة الذاريات الآية ٥٨ .

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ هذا من عدل الله في قضائه ومن حكمته في خلقه أنه ما من أحد يحمل ذنب غيره أو يحاسب عليه، بل يحاسب العامل وحده على ما عمله من عمل كما قال عز وجل ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾^(١). ﴿وَأِنْ تَدَّعِ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ أي: إن دعت نفس مثقلة بذنوبها وأوزارها إلى مساعدتها في حمل ما عليها أو بعضه ﴿لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ أي: لا يحمله عنها حامل ولو كان قريباً لها، كالأب، أو الابن؛ لأن كلاً معني بنفسه مشغول بها ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: إنما يعتبر بدعوتك يا رسولنا محمداً أولئك المؤمنون الذين يخافون ربهم ويصدقون بما جاء من عنده دون أن يبصروه بأعينهم وأقاموا الصلاة في أوقاتها وبأركانها وشروطها ﴿وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾ أي: من طهر نفسه ومنعها من المعاصي ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾ أي: إنما يعود نفع ذلك إليه؛ لأن الله غني عن خلقه، فما يعملونه من عمل صالح يعود نفعه إليهم ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: إليه المآب والمعاد.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الناس فقراء إلى الله في كل أمورهم،

(١) سورة المدثر الآية ٣٨ .

فهم فقراء إليه بإنزال المطر عليهم، وهم فقراء إليه في دفع الكوارث والمصائب عنهم، وهم فقراء إليه يوم القيامة أن يرحمهم من العذاب. وفيها: تقرير قدرة الله في إفناء الخلق وخلق خلق آخر يعبد به ويوحده فكل ذلك من قدرته. وفيها: الحكم بأنه ما من أحد يحمل وزر غيره، بل كل امرئ مسؤول عن عمله وما من أحد يستطيع حمل ثقل غيره، ولو كان من أخص أقاربه كما قال عز وجل ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾^(١). ﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾^(٢). ﴿وَصَحْبِهِ وَبَنِيهِ﴾^(٣). ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾^(٤). وفيها: تقرير أنه لا يستجيب للندارة الربانية إلا المؤمنون الذين آمنوا وصدقوا ما جاءهم من الله. وفيها: تقرير أن عمل العامل يعود إليه إن خيرا فخير وإن شرا فشر؛ لأن الله غني عن خلقه، وفي الحديث القدسي: (إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني)^(٥).

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ ١٩ ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ ٢٠ ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ ٢١ ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ

(١) سورة عبس الآية ٣٤ .

(٢) سورة عبس الآية ٣٥ .

(٣) سورة عبس الآية ٣٦ .

(٤) سورة عبس الآية ٣٧ .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٧٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٥٩٢ .

مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾

بيان الآيات:

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ أي: لا يستوي هذا وذاك؛ لأنهما متضادان، فهذا لا يرى شيئاً لعماه والآخر يراه لإبصاره ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ وكذلك لا يستوي الظلام ولا النور؛ لاختلافهما في الكينونة ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ أي: لا يستوي كذلك الحر والبرد ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ كذلك لا يستوي الحي مع الميت، فلهذا شأن وللآخر شأن. وقد ضرب الله هذه الأمثلة للدلالة عقلاً على عدم استواء الإيمان والكفر فالمؤمن حي بإيمانه والكافر ميت بكفره وفي هذا قال عز وجل ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ ^(١). قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِي الْقُبُورِ﴾ في هذا يخاطب الله رسوله مباشرة بأنه قادر على إسماع من يشاء من

(١) سورة الأنعام من الآية ١٢٢.

خلقه، فيهديه إلى نور الحق، أما أنت يا محمد فلا تستطيع أن تسمع الأموات في القبور وإنما تسمع الأحياء والحال كذلك بالنسبة للمؤمنين والكافرين؛ فالمؤمنون يسمعون ما تقول ويؤمنون به، والكافرون لا يسمعونهم لأنهم كالأموات لا يسمعون نداء ولا يستجيبون له فلا تحزن إذن على قومك ﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أي: لست إلا نذيراً تنذرهم بما أرسلت به وجزاؤهم على الله.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ هذا بيان من الله عز وجل يبين فيه رسالة نبيه ورسوله محمد ﷺ وهي البشارة للمؤمنين أن لهم الجزاء الحسن على إيمانهم واستجابتهم لما جاء به والنذارة بالعذاب للكفرة والعصاة ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ أي: ما من أمة من الأمم إلا وقد سبق لها نذير يبشرهم إذا آمنوا وينذرهم إذا عصوا، إذن فإرسالنا لك يا نبينا محمد إلى قومك ليس حادثاً بل أنت واحد ممن أرسل إلى الأمم ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: إن عصوك فلم يستجيبوا لبشارتك ونذارتك فليسوا أول من كذب من الأمم فقد كذب الذين من قبلهم رسلاً ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ أي: جاءتهم بالحجج والبراهين والدلائل المدونة في الكتب المنزلة عليهم كصحف إبراهيم وموسى والتوراة والإنجيل، فمنهم من اهتدى، ومنهم من ضل ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي:

حق العذاب على الذين كفروا، فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر ﴿فَكَيْفَ كَانَتْ نَكِيرٍ﴾ أي: فانظروا أيها المشركون كيف كان عقابي شديدا لهم حين وقع الهلاك فيهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير ضرب الأمثال للناس؛ تيسيرا لإفهامهم؛ لكي يدركوا المأمور به من الأحكام والمنهي عنه من المحرمات. وفيها: تشبيه الكفار بالأموات الذين لا يسمعون ولا يبصرون كما قال تعالى ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾^(١). وفيها: تحديد رسالة محمد ﷺ بالبشارة للمؤمنين والندارة للكافرين. وفيها: أن الهلاك والعذاب عاقبة المكذبين للحق.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ﴾ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾.

بيان الآيتين:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ هذا بيان من الله تبارك

(١) سورة هود من الآية ٢٤ .

وتعالى عن عظيم قدرته في خلق الأشياء المتنوعة ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ أي: متنوعة في أشكالها وألوانها، فمنها: الأبيض، والأخضر، والأحمر، والأصفر ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ أي: كما خلق الله الثمرات مختلفة الألوان فقد خلق الجبال كذلك فمنها: ما هو أبيض ومنها: ما هو أحمر ﴿وَعَرَابِيٌّ سُودٌ﴾ أي: شديدة السواد. ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، كَذَلِكَ﴾ أي: وكما أن الثمرات والجبال مختلفة الألوان، فإن الناس والأنعام وكل ما دب على الأرض مختلف كذلك، فالبشر يختلفون في ألوانهم، فمنهم الأبيض والأصفر والأسود، والدواب في مجملها تختلف في ألوانها وأشكالها وأحجامها، وكل ذلك بقدرة الله وتكوينه وإبداعه في خلقه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ أي: أن العلماء هم الذين يخشون الله ويتقونه؛ لأن العالم يدرك بعلمه وبصيرته عظمة الله وقدرته فيؤمن به ويخشاه فيأتمر بأوامره وينتهي عن نواهيه؛ فما أحله الله له أحله وما حرمه عليه حرمه ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ أي: عزيز في ذاته وكماله وقوته، قادر على أخذ المكذبين لرسوله وهم المشركون في مكة، ولكنه يغفر لمن يتوب منهم ويتجاوز عما سبق من خطيئاته.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير قدرة الله في تنويع ألوان المخلوقات وتغايرها مما يدل على

عظمته وحكمته وتصرفه في مخلوقاته. وفيهما: تقرير فضل العلم وكونه يوصل إلى خشية الله والإيمان به وتحليل ما أحل وتحريم ما حرم. وفي هذا قال تعالى مفرقا ومميزا بين من يعلم ومن لا يعلم ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾^(٢٩) لِيُوفِّيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ^(٣٠).

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ هذا بيان من الله عن فضل الذين يتلون كتابه إيمانا وتصديقا به واتباعا لما فيه من الأحكام، ويقىمون الصلاة في أوقاتها بأركانها، وشروطها ويزكون أموالهم، وينفقون مما أعطاهم الله على أقاربهم، ويتصدقون على المساكين والمحاويج سرا وجهرا في غير رياء ولا سمعة ﴿يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ أي: يرجون ثواب الله. ﴿لِيُوفِّيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ هؤلاء لما عملوا تلك الأعمال الصالحة تعهد الله أن يوفيهم أجر هذه الأعمال

(١) سورة الزمر من الآية ٩.

ويضاعف لهم هذا الأجر، الحسنة بعشر أمثالها ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ﴾
أي: يغفر ذنوبهم ﴿شَكُورٌ﴾ لأعمالهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير فضل القرآن وما في تلاوته وتدبره من الأجر العظيم ولا عجب في ذلك فهو كتاب الله الذي أنزله على عباده رحمة لهم وسبيلا إلى هدايتهم وعزتهم في الدنيا والآخرة كما قال عز وجل ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾^(١). ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾^(٢). ومن أحكام الآيتين: تقرير فضل أداء ما فرض الله على عباده من الصلاة وأداء الزكاة والصدقات على الأقارب والمساكين والمحاويج من المسلمين. ومنها: تذكير الله لعباده أنه مهما كانت ذنوبهم وخطيئاتهم فإنه يغفرها ويتجاوز عنها إذا تابوا كما أنه شكور لأعمالهم فيقبلها ويضاعف لهم أجورها كما قال عز وجل ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾^(٣).

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾
إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾

(١) سورة لقمان الآية ٢ .

(٢) سورة لقمان الآية ٣ .

(٣) سورة الأنعام من الآية ١٦٠ .

بيان الآية:

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ المخاطب هنا رسول الله ﷺ والكتاب القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: هو الكتاب الحق الذي يجب قبوله وتصديقه وتحكيمه في أمور الدين والدنيا، وقد جاء مصدقا للكتب المتقدمة - كالتوراة والإنجيل - التي بشرت به فهو يصدقها في ذكرها لهذه البشارة ويصدقها كما أنزلت على الأنبياء خالصة خالية من التأويل والتحريف ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ أي: هو الخبير بما ينفع عباده حيث أنزل عليهم كتابه المبين مجددا لرسالاته وكتبه بعد أن تعرضت للتحريف وأعرض أصحابها عما جاءتهم به من البينات.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بأن القرآن هو الكتاب الحق الذي أراده الله لنفع عباده وإرشادهم إلى ما يصلح دينهم ودنياهم، وهذا يقتضي تلاوته وتدبر آياته وأحكامه وتحكيمه في كل الأمور. وفيها: أن القرآن مصدق للكتب المتقدمة التي بشرت به فصدقها في بشارتها وصدقها كما نزلت من عند الله خالصة من التحريف والتبديل. وفيها: أن من يؤمن بالكتب السابقة يجب عليه أن يؤمن بالقرآن وإن لم يفعل فهو كافر.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ

لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ
 هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ
 أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ
 الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَهْلَنَا دَارَ
 الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾

بيان الآيات:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ المراد أن الله
 اصطفى وأورث أمة محمد الكتاب وهو القرآن، ولما كان القرآن قد
 صدق ما في الكتب السابقة فإن هذه الأمة ورثت هذه الكتب كلها
 فهي إذن الأمة المهتدية بكتب الله. قوله ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾
 أي: المرتكب لبعض المحرمات عليه المفرط في فعل بعض ما أوجب
 الله عليه ﴿وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ أي: المؤدي لما أوجب الله عليه التارك
 لما حرم عليه، وإن كان يرتكب بعض ما يكره له ويترك بعض ما
 يستحب له ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ أي: يترك ما حرم الله عليه
 من محرمات ومكروهات ويفعل ما يجب عليه من واجبات وغيرها من
 المستحبات، فهؤلاء قد اصطفاهم الله من هذه الأمة لوراثته كتبه، رغم
 اختلاف أفعالهم ومراتبهم الدينية قوله ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ المراد به السابق
 إلى الخيرات والمعنى: أن يعرف هذا أنه ما بلغ هذه المرتبة إلا بإذن الله؛

لأنه ما من عمل يعمل المرء ويوفق فيه إلا بإذن الله وعونه ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ أي: هذا الإيثار هو الفضل الكبير الذي امتن الله به على من اصطفى من هذه الأمة وهو ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ أي: يقيمون فيها ﴿يُحَلَّلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ أي: يلبسون هذه الأسورة من الذهب واللؤلؤ التي كانت محرمة عليهم في الدنيا ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ حيث كان محرما عليهم في الدنيا فجعله الله لهم في الجنة.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ أي: يحمدون الله ويشكرونه على أن أذهب عنهم الخوف والهم والحزن فأصبحوا يتنعمون في الجنة فلا يصيبهم فيها ما يخافونه أو يحزنون منه ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ أي: غفور لمن أذنب منا، وشكور لمن عمل منا صالحا ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: له الحمد والشكر على أن أنزلنا هذه المنزلة العظيمة بفضله ومنته علينا وليس مقابل أعمالنا ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ أي: لا نعاني في هذه المقامة من همٍّ أو نكد أو تعب، بل ننعم فيها بكل ما أنعم الله به علينا من فيض فضائله وكرمه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بوجوب الإيمان بالقرآن والعمل به وتلاوته

والتمسك بأدابه وأخلاقه، فلما سئلت عائشة رضي الله عنها عن أخلاق رسول الله ﷺ قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن^(١). وفيها: أن من لم يؤمن بالقرآن يعد كافراً، ولو كان يؤمن بأي كتاب من الكتب السماوية؛ ذلك أن هذه الكتب صدقته وصدقها فمن لم يؤمن به لم يكن مصدقاً لكتابه.

وفيها: تقرير فضل هذه الأمة، فقد اصطفى الله عباده منها وأورثهم الكتاب والكتب السابقة وتجاوز عن تقصيرهم، فمن مات منهم لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، كما قال عليه الصلاة والسلام لأبي ذر لما سأله بقوله: وإن زنى وإن سرق؟ قال: (وإن زنى وإن سرق)^(٢).

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ۝٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ ۝٣٧﴾

(١) أخرجه مسلم في كتاب المسافرين، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، برقم (٧٤٦)،

صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ٢٢١٦.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً

دخل النار، برقم (٩٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٧٤١.

بيان الآيتين:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ لما ذكر الله عز وجل حال المتقين ودخولهم الجنة وتنعمهم فيها ذكر حال الكفار بأن لهم نار جهنم ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا﴾ أي: لا يقضى عليهم بالموت فيموتوا موتاً أبدياً فيستريحوا من العذاب ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ أي: لا ينقص عليهم مما هم فيه منه ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافُورٍ﴾ أي: كذلك نجزي بهذا العذاب كل كافر بالغ في كفره ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ أي: يتنادون بأعلى أصواتهم من شدة عذابهم ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ أي: أرجعنا إلى الدنيا؛ لكي نعمل غير عملنا الذي أوصلنا إلى هذا العذاب، ولكن الله علم بعلمه المطلق أنهم لو ردوا لعادوا كما كانوا، فقال تبارك وتعالى: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرُ﴾ أي: ألم تكونوا مكثتم في الدنيا أعماراً كافية لتوبتكم لو كنتم حقا تريدون الإيمان والخشية من العذاب ﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ أي: وكما عمرتم جاءكم الرسول يذكركم وينهاكم عن الضلال ويرشدكم إلى الهدى فأبيتُم إلا أن تضلوا ﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ﴾ أي: وبسبب ضلالكم وكرهكم للحق الذي عمرتم من أجل اتباعه بعد أن جاءكم به الرسول ذوقوا العذاب الذي كنتم تكذبون به، فما

لكم اليوم من نصير ينصركم من دون الله.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن أهل النار لا يحيون فيها ولا يموتون ولا يخفف عنهم العذاب كما قال عز وجل ﴿وَنَادُوا بِمَلِكٍ لِّيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ^(١). وقوله ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾^(٢). ومن الأحكام: تقرير إعذار الله للإنسان الذي أعطاه عمراً؛ لحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (لقد أعذر الله تعالى إلى عبد أحياه حتى بلغ ستين أو سبعين سنة، لقد أعذر الله لقد أعذر الله إليه)^(٣). وفي الحديث الآخر: (أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك)^(٤). وفيهما: أن من جاءته الرسالة من الله على لسان أي من رسله فقد حجه الله فليس له يوم القيامة من عذر عنده لأن الرسالة برهان وحجة على من بلغته.

إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ.

(١) سورة الزخرف الآية ٧٧.

(٢) سورة الأعلى الآية ١٣.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٢ ص ٢٧٥.

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ برقم (٣٥٥٠)، سنن الترمذي ج ٥

ص ٥١٧، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب الأمل والأجل، برقم (٤٢٣٦)، سنن ابن ماجه ج ٢

ص ١٤١٥.

وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْنًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غِيبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: يعلم كل المغيبات في السموات والأرض دقائقها وجلائلها ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: يعلم ما تكنه الضمائر من الشرك والكفر والنفاق، فيجازي كلا بما يعلمه عنه والمراد به: الذين كانوا يتنادون ويطلبون من الله العودة إلى الدنيا للعمل وأنهم لو عادوا لما تغير من سلوكهم شيء ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: جعلكم أجيالا متتابعين، يأتي جيل بعد الجيل الذي قبله وفي هذا عبرة لذوي العقول الذين يتعظون بما حدث للأجيال قبلهم من الهلاك حين كذبوا رسلهم وأعرضوا عما جاؤوهم به من البينات ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ أي: من لم يتعظ ويعتبر بمن سبقه، فعليه أن يتحمل جزاء عمله ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْنًا﴾ أي: كلما أقام الكافرون على كفرهم زادهم الله مقنا وبغضا لهم وبعدا منه ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ أي: ولا يزيدهم كفرهم إلا خسارة في الدنيا وخسارة في الآخرة.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن بني آدم يتتابعون في التوارث على الأرض فيأتي جيل بعد جيل ثم يأتي بعده جيل آخر، وهكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وفي هذا عبرة لأولي الألباب أنه ما من أحد باق على هذه الأرض كما قال عز وجل ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾^(١). وحقيقة الموت تقتضي واقعة الحساب والجزاء، وهذا يوجب العمل لذلك اليوم. ومن الأحكام: أن الاستمرار على الكفر يزيد من مقت الله وبغضه لصاحبه، ولا يزيد الكافر كفره إلا خسارة له في الدنيا والآخرة.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾^(٤٠) ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(٤١).

بيان الآيتين:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ لما ذكر الله

(١) سورة الأنبياء الآية ٣٥.

حال المؤمنين وحال المشركين والكافرين أمر الله رسوله محمدا ﷺ أن يجادل المشركين من قومه طمعا في توبتهم، وتركهم الشرك أي: هؤلاء الشركاء الذين تدعونهم من دون الله ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ أي: اذكروا لي ماذا تستطيع أصنامكم التي تشركونهم مع الله هل خلقوا جزءاً من الأرض أياً كان مقداره أو لهم شرك في السموات مهما كان مقداره مما جعلكم تعبدونهم؟ ﴿أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: هل آتينا هؤلاء المشركين كتاباً أو برهاناً يبيح لهم الشرك فهم بهذا الكتاب على بينة بجواز الشرك لهم ؟

﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ هذا جواب لما قبله والمراد: أنه ليس لهذه الأصنام نفع ولا ضرر وليس للذين يعبدونهم حجة في عبادتهم، وإنما أعماهم الهوى وأضلهم حين اتبعوه فعبدوها من دون الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ أي: يمسكهما بقوته وعظمته كما قال عز وجل ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(١). ﴿وَلَيْنَ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ﴾ أي: لو زالتا أيقدر أحد أن يمسكهما، وإنما الله

(١) سورة الحج من الآية ٦٥ .

هو القادر على إمساكهما عن الاضطراب والزوال رحمة بعباده ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ أي: ومن دلائل عظمته أنه حلیم على من يعصيه من عباده، فلا يؤاخذ به بل يفسح له مجال التوبة ليغفر له لأنه غفور رحيم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن المشركين في شركهم إنما يتبعون أهواءهم؛ لأنهم يعرفون أن أصنامهم لا تملك نفعا ولا ضرا، ويعرفون أنه لم تأت بهم بينة أو برهان تجيز لهم عملهم، بل الأمر على خلاف ذلك فقد جاءهم الرسول يبين لهم تحريم الشرك، ويبين لهم أن عاقبته العذاب الأبدي. ومن مسائل الآيتين: أن من لطائف الله ورحمته بعباده أنه يمسك السموات والأرض عن الاضطراب والزوال، وأنه مامن أحد يستطيع ذلك إلا هو بعظمته وقدرته. ومنها: أن الله حلیم على عباده، رغم أنهم يعصونه ويكفرون به، ومع ذلك يجب أن يتوبوا إليه فيصفح عن سيئاتهم ويغفر لهم ذنوبهم.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نَفُورًا﴾ (٤٢) أَسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السِّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ

يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجْدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجْدَ لِسُنَّتِ
اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾

بيان الآيتين:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾ هذا بيان من الله تعالى أن المشركين العرب أقسموا غاية قسمهم ﴿لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ أي: ليكونن أفضل وأعظم في هدايتهم من اليهود أو النصارى كما قال تعالى مؤنبا لهم ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ﴾^(١) ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾^(٢) قوله ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ أي: لما جاءهم النذير وهو محمد ﷺ ﴿مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ أي: ما زادهم مجيئه إلا إعراضا عما جاء به وبعداً عنه وذلك ﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ عن اتباعه ﴿وَمَكْرُ السِّيِّئِ﴾ أي: التماذي في الشرك والصد عن سبيل الله ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السِّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ أي: لا يعود وبال المكر وسوءه

(١) سورة الأنعام الآية ١٥٦ .

(٢) سورة الأنعام من الآية ١٥٧ .

إلا عليهم ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: هل ينتظرون إلا عقوبة الله تعالى على تكذيبهم لرسوله واستكبارهم عن اتباعه؛ لأن سنة الله اقتضت إهلاك المكذبين لرسالاته كما حدث للأمم قبلهم ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ أي: أن هذه السنة لا تتغير ولا تتبدل ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ أي: هذه السنة لا تتحول فلا يحول أحد بينهم وبين العذاب الذي يلاقونه جزاء تكذيبهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير كذب المشركين بأنهم سيكونون أفضل في الهداية من اليهود أو النصارى، فلما جاءهم رسول الله ﷺ كذبوه وأذوه واستكبروا عن اتباعه وزاد مكرهم فصدوا غيرهم عن سبيل الله. ومن أحكام الآيتين: أن المكر السيئ يعود على أصحابه بالوبال كما قال عز وجل ﴿فَمَنْ نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾^(١). ومنها: أن سنة الله التي خلت في عباده، لا تتبدل، ولا تتغير، ولا تتحول فما قضى به كائن لا محالة.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾

(١) سورة الفتح من الآية ١٠ .

إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنْ ذَّابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٤٥﴾ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

بيان الآيتين:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أفلم يسر هؤلاء الذين كذبوك يا محمد في الأرض ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: كيف كان مآل الذين كذبوا رسلهم وما حل بهم من الهلاك ﴿وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ أي: أكثر منهم قوة في الرجال والأموال فأهلكهم الله كما فعل بقوم نوح وهود وصالح ولوط ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لم يكن الله يعجزه هلاكهم أو هلاك غيرهم ممن يستحق هذا الهلاك ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ أي: عالم بكل شيء في الملكوت الأعلى والأسفل قادر على ما يشاء ويريد ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنْ ذَّابَّةٍ﴾ أي: إن الله لا يؤاخذ الناس بما كسبت أيديهم من الخطايا ولو عاقب كل إنسان بما عمل لما بقي في الأرض أحد ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يؤخر عذاب المشركين والظالمين إلى الوقت الذي حدده إما بالعذاب العاجل

لهم في الدنيا أو الآجل في الآخرة ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَاتَّ اللَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ أي: إذا حل أجل عقاب الظالمين؛ فإن الله بصير بعذابهم لا تخفى عليه خافية ولا راد لأمره وقضائه.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين وجوب الاعتبار بما حل بالأمم الهالكة من العذاب كما قال عز وجل ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١). وقوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(٢). وتقرير قدرة الله عز وجل، وأنه ما من شيء يعجزه، سواء في السموات أو في الأرض، بل هو قادر على كل شيء. وأن حكمة الله وسنته في خلقه اقتضت ألا يؤاخذ الناس على الفور بما كسبت أيديهم؛ لأنه لو فعل ذلك لم يبق في الأرض أحد، ولهذه الحكمة أجل عقاب الظالمين إلى الوقت الذي حدده وهذا العقاب إما أن يكون عاجلا في الدنيا كما أهلك كثيرا من الأمم بالغرق والرجفة والصيحة مع مالهم من العذاب في الآخرة أو يؤجل الله العقاب إلى يوم القيامة.

(١) سورة الزمر من الآية ٢١ .

(٢) سورة ق الآية ٣٧ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة يس

مكية وآياتها ثلاث وثمانون آية

﴿يَسَّ ١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ٥ لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ٦ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٧﴾

بيان الآيات:

﴿يَسَّ﴾ هذا من الحروف المقطعة والله أعلم بمراده منها
 ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ أي: قسماً بهذا القرآن المحكم في ألفاظه ومعانيه وأحكامه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ أقسم الله تعالى بالقرآن على أن محمداً ﷺ من المرسلين
 ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: إنك على صراط ومنهج قويم هو دين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ أي: إن هذا القرآن المبين لهذا الدين قد نزل من الله العزيز ليكون رحمة منه لعباده المؤمنين ﴿لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ أي: لتنذر بهذا الدين قومك العرب وغيرهم لأنه لم يأت أسلافهم نذير من قبلك ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ أي: لا يدركون سوء عملهم وما هم فيه من الضلال فبعثك الله إليهم

لتنذرهم وتخوفهم بالعذاب إذا لم يتبعوك ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾ أي: لقد حق العذاب على من استمر على الشرك منهم رغم ما بينته له من الحق، كأبي لهب، وأبي جهل، ومن كان على ملتهم من كفار قريش ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا يصدقون بما جاءهم من الله فعرف الله ذلك منهم فطبع على قلوبهم فهم لا يهتدون.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بنبوة ورسالة محمد ﷺ حيث أقسم الله بالقرآن أنه من المرسلين، وأن دينه الإسلام هو الدين القويم وأن الله هو الذي بعثه وأنزل عليه القرآن رحمة بعباد الله المؤمنين. ومن الأحكام: أن الغاية من رسالة رسول الله محمد ﷺ إنذار قومه العرب ومن كان على شاكلتهم من الأمم؛ لأنهم كانوا على فترة من الرسل فجعل الله في هذه الرسالة هداية لهم إذا آمنوا بها واستجابوا لها. ومنها: أن العذاب يحيق بالذين يجحدون هذه الرسالة سواء كانوا الذين عاصروها وجحدوها كحال كفار قريش أو من أتى بعدهم من الأمم.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلًا فَبِهِى إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ١ وسواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ

بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءِثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

بيان الآيات:

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلًا فَبِهِ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ لما ذكر الله حال مشركي مكة وأنهم لا يؤمنون؛ بسبب ما طبع على قلوبهم من الكفر بين تعالى أن أيديهم مغلولة إلى أعناقهم ﴿فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾ أي: رافعون رؤوسهم، فلا يخفضونها للاذعان للهدى، وهذا تصوير لحالهم بأن أيديهم مغلولة عن فعل كل خير ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ وهذا تصوير أيضا لهم بأن من أمامهم ومن خلفهم حاجزا عن الحق فلا يبصرونه ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ أي: غشيت أبصارهم عن رؤية الهدى والحق ﴿فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾ أي: لا يرون إلا الضلال؛ بسبب ما انطبعت به قلوبهم من الشرك ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: طبع الضلال على قلوبهم فما يؤثر فيهم الإنذار كما قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١). ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾^(٢).

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ أي: لا ينتفع بذكرك يا محمد

(١) سورة يونس الآية ٩٦ .

(٢) سورة يونس الآية ٩٧ .

إلا المؤمن الذي استجاب لله ولك فصدق ما جئت به من البينات
﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ أي: خاف الله بالغيب بسبب قوة إيمانه
﴿فَبَشَّرَهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ أي: بشره بأن الله سوف يغفر
ذنوبه ويؤتيه الأجر العظيم وهو الجنة ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾
أي: نبعثهم للحساب والجزاء ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ أي: نحصي
ما عملوه في الدنيا من خير وشر ﴿وَعَاثَرَهُمْ﴾ أي: آثار الخير أو
الشر التي بقيت بعدهم وكانوا اهم السبب لها ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ
فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ أي: إن كل شيء محصى ومعدود ومسجل في اللوح
المحفوظ، فلا يفوت منه صغيرة ولا كبيرة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الذين انطبع في قلوبهم الشرك أو الكفر لا يهتدون فلا
يحبون عمل الخير، بل هم مستكبرون عنه، فلا تنفع فيهم النذارة أو
الموعظة فيتساوى إنذارهم وعدم إنذارهم. ومن الأحكام: أن المؤمن الذي
يخشى الله بالغيب هو الذي تنفع فيه النذارة؛ لأنه خاف الله واتقاه بعد
أن آمن به وبما جاءه به رسوله. ومنها: الحكم بأن الله يحيي الموتى
ليوم لا ريب فيه هو يوم القيامة، ويكتب في اللوح المحفوظ ما قدموه وما
بقي لهم من آثار كانوا هم السبب فيها، ومن ذلك: العلم والصدقة والولد
الصالح. وفي ذلك قول رسول الله ﷺ: (إذا مات الإنسان انقطع عمله

إلا من ثلاث إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له^(١). وقوله عليه الصلاة والسلام: (من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيئاً ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيئاً)^(٢). ومن الأحكام: تقرير حقيقة القضاء والقدر، وأن كل ما هو كائن مدون في اللوح المحفوظ.

﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَهِّرْ كُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا﴾ أي: اضرب يا محمد لقومك المشركين والمكذبين

(١) أخرجه مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، برقم (١٦٣١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٧ ص ٤٤٥١.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، برقم (١٠١٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٧٤٨.

لما جئت به ﴿مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ ﴿فَإِنَّهُمْ مِثْلَهُمْ فِي الْجُحُودِ وَالْكَفْرِ﴾ ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ ﴿الْقَرْيَةُ: هِيَ أَنْطَاكِيَّةُ^(١) وَالْمُرْسَلُونَ: الْمُرَادُ بِهِمُ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ عِيسَى إِلَى أَهْلِهَا، فَقَدْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ مِنْ رُسُلِهِ فَتَعَرَّضُوا لَهُمَا بِالْأَذَى وَالسَّجَنَ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ ثَالِثًا يَعْزِّزُهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ ﴿فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ ﴿أَيُّ: قَالَ الرُّسُلُ لِأَهْلِ أَنْطَاكِيَّةَ: إِنَّا مُرْسَلُونَ إِلَيْكُمْ نَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَالتَّوْبَةِ مِنَ الشَّرِكِ بِهِ، فَإِنْ فِي ذَلِكَ الْخَيْرُ لَكُمْ مِنَ الْحَالِ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا فَاجَابُوهُمْ بِقَوْلِهِمْ ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ ﴿أَيُّ: مَا أَنْتُمْ بِرُسُلٍ، بَلْ أَنْتُمْ مَجْرَدُ بَشَرٍ مِثْلُنَا﴾ ﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ ﴿أَيُّ: لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ مِنَ اللَّهِ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَذَّابُونَ فِيمَا تَقُولُونَ فَرد عَلَيْهِمُ الرُّسُلُ﴾ ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ ﴿أَيُّ: إِنْ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَا مُرْسَلُونَ إِلَيْكُمْ نَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ﴾ ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ﴿أَيُّ: لَيْسَ عَلَيْنَا إِلَّا أَنْ نُبَيِّنَ لَكُمْ الْحَقَّ، فَإِنْ قَبِلْتُمُوهُ فَقَدْ نَجَوْتُمْ، وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ سَوْفَ يَتَوَلَّى جَزَاءَكُمْ.

﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ ﴿أَيُّ: قَالَ أَهْلُ أَنْطَاكِيَّةَ لِلرُّسُلِ: لَقَدْ

(١) مدينة تاريخية وكانت مركزاً تجارياً هاماً ومقراً لبطيركية وتقع على الضفة اليسرى من نهر العاصي على بعد ثلاثين كيلاً من شاطئ البحر الأبيض المتوسط. وقد فتحها العرب عام ٦٣٧ م ثم خضعت للإمبراطورية البيزنطية ثم استولى عليها الصليبيون ثم المماليك المصريون ثم العثمانيون وقد انتقلت إلى سوريا عام ١٩٢٠ م ثم أعطيت لتركيا عام ١٩٣٩ م ضمن سنجق الأسكندرونة ولا تزال تتبع تركيا ويقطنها عرب وأتراك. الموسوعة العربية الميسرة ص ٢٤٥ .

تشاء منا بوجودكم بيننا فقد انحبس عنا المطر بسببكم ﴿لَيْنَ لَمْ
تَنْتَهُوا لَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: إذا لم تكفوا عن
دعوتنا فسوف نرجمكم بالحجارة ونعاقبكم عقابا شديدا فرد عليهم
الرسول ﴿قَالُوا طَئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ أي: أن شؤمكم راجع إليكم؛ بسبب
ما أنتم عليه من الكفر، وقد انحبس المطر عنكم لهذا السبب ﴿أَيْنَ
ذُكِّرْتُمْ﴾ بما يجب عليكم من عبادة الله وحده تطيرتم ﴿بَلْ أَنْتُمْ
قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ في مقالتم لنا حين دعوناكم للحق.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير ضرب الأمثال؛ لما فيها من العظة والعبرة للذين يضرب لهم
المثل بمن سبقهم. ومن الأحكام: أن طبيعة الكفر لا تتغير بالزمان أو
المكان، بل إن الكفار يتماثلون في كفرهم وعنادهم للحق وتكذيبهم لما
جاءت به الرسل. ومنها: أن أهل الكفر حينما يفقدون الحجة يلجؤون
إلى التهديد بالقوة، بل ويستعملونها ضد المؤمنين، وهذا واقع في كل
زمان، فالمنافقون للإسلام اليوم يلجؤون إلى تهديد أهله، بل وغزوهم
في ديارهم وتقتيلهم وتشريدهم ومضايقتهم في أي مكان يكونون فيه.
ومنها: تحريم التشاؤم لقول رسول الله ﷺ: (ليس منا من تطير أو
تطير له)^(١). وقوله عليه الصلاة والسلام: (لا عدوى ولا طيرة وأحب

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ج ١٨ ص ١٦٢، والمنذري في الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٢٣،
والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٥ ص ١١٧.

الفأل الصالح)^(١). وقال في صفة المؤمنين الذين يدخلون الجنة بغير حساب: (هم الذين لا يتطيرون ... وعلى ربهم يتوكلون)^(٢).

﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

بيان الآيات:

﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ لما مكث الرسل الثلاثة بين أهل أنطاكية ذاع خبرهم فكثرت أتباعهم فهم رؤساء القرية بقتلهم، فجاء رجل مؤمن^(٣) وكان في أقاصي المدينة فنادى في قومه ناصحا لهم أن يتبعوا المرسلين الثلاثة

(١) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، برقم (٢٢٢٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ٥٩٦٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب من لم يرق، برقم (٥٧٥٢)، صحيح البخاري ج ١٠ ص ٢٢٤.

(٣) قيل إن اسمه حبيب بن النجار تفسير مقاتل بن سليمان ج ٣ ص ٨٥، وتفسير ابن وهب ج ٢ ص ٢٠٧.

قائلا ﴿ أَتَبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا ﴾ أي: اتبعوا من لا يطلبون منكم مالا على دعوتهم لكم ﴿ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ أي: صالحون في أنفسهم ولما أنكر عليه أهل أنطاكية قوله قال لهم ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ أي: لماذا لا أعبد الله الذي خلقني ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: هو المرجع لكم بعد موتكم ﴿ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ﴾ ثم قال لهم متسائلا ومتعجبا: هل أتخذ من دون الله آلهة لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل؟ ﴿ إِنْ يُرِدِّنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونَ ﴾ أي: إن يرد الرحمن أن يضرني فهذه الآلهة لا تفيدني بشيء، ولا تقدر على إنقاذي مما قد يحدث لي.

﴿ إِنِّي إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ أي: إن أنا عبدت هذه الآلهة فإني ضال غير مهتد ثم قال لقومه ﴿ إِنِّي أَمِنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾ أي: آمنت بربكم الذي خلقكم ورزقكم ويملك نفعكم وضركم، فاسمعوا كلامي خيرا لكم مما أنتم فيه من الضلال. ولما ضاق قومه بدعوته ومناصرته للرسول وإفحامهم بالحجة قتلوه ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ أي: لما قيل له: ادخل الجنة بعد أن استشهد في سبيل الله تمنى أن قومه يعلمون ما غفر له ربه وجعله من المكرمين فيكون ذلك دافعا لهم للإيمان بالله وهو معنى قوله ﴿ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: فضل الدعوة إلى الله والاستشهاد في سبيلها كما قال عز وجل ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١). ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٢). وفيها: أن المؤمن عندما يرى بعد موته ثواب الله لأوليائه وما أعده لهم من الكرامة يتمنى أن خاصته وقومه، بل كل من في الدنيا يؤدي ما أمره الله به من الفرائض والواجبات حتى تحصل له المنزلة التي حصلت له بعد موته.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾^(٢٨) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ^(٢٩) يَحْسَرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ^(٣٠) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ^(٣١) وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ^(٣٢).

بيان الآيات:

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أي: ما أنزلنا على أهل أنطاكية بعد قتلهم حبيب بن النجار جندا من السماء

(١) سورة آل عمران الآية ١٦٩ .

(٢) سورة آل عمران من الآية ١٧٠ .

لإهلاكهم إذ لم يكن ثمة حاجة لذلك ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ أي: ما كنا منزلين الملائكة لإهلاك المستوجبين للهلاك ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ﴾ أي: ما كان هلاك أهل أنطاكية يحتاج إلا صيحة واحدة من جبريل عليه السلام، فإذا هم هامدون، لا حراك فيهم.

﴿يَحْسِرَةٌ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: ما أشد حسرة العباد يوم القيامة حين يرون العذاب فيتمنون أنهم لم يكذبوا رسلهم ولم يستهزؤوا بما جاؤوهم به من البينات وهل أشد حسرة على المرء من أن يشهد العذاب ويرى أنه لا مناص له منه ﴿الْمُيْرَوُا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: ألم يتعظ المكذبون لرسولهم المستهزئون بهم - ومنهم: كفار قريش - كيف أهلكنا الأمم السابقة فتمنوا الرجوع إلى الدنيا؛ ليتوبوا فلم يكن لهم ذلك بل لم يكن لهم سوى الحساب والجزاء في الآخرة.

﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ أي: إن كل الأمم السابقة واللاحقة ستحضر جميعها إلى الله يوم القيامة فيجازي كل منها بما عملت.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير قدرة الله في إهلاك المكذبين لرسولهم كما فعل بأهل أنطاكية ومن قبلهم من الأمم كقوم نوح، وهود، وثمود. وفيها:

أن العباد المكذبين لرسلم يتحسرون على أنفسهم إذا رأوا العذاب يوم القيامة ويتمنون لو أنهم صدقوا رسلم. وفيها: تحريم الاستهزاء بآيات الله ورسله كما قال عز وجل في حق المستهزئين برسول الله ﷺ وأصحابه ﴿قُلِ اسْتَهْزِؤْا إِنَّا اللَّهُ مُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ﴾^(١). ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ﴾^(٢). ﴿لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾^(٣). وفيها: وجوب الاعتبار بما حدث للأمم الهالكة حين عصت ربها.

﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾^(٣٣) ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾^(٣٤) ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾^(٣٥) ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣٦).

بيان الآيات:

بعد أن بين الله أن جميع الخلائق سيعودون إليه بعد قيام الساعة ذكر الأدلة على قدرته في بعثهم فقال ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ﴾ أي: من الأدلة

(١) سورة التوبة من الآية ٦٤ .

(٢) سورة التوبة الآية ٦٥ .

(٣) سورة التوبة من الآية ٦٦ .

على قدرته وعظمته في إحيائه الموتى ﴿الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ﴾ التي لا نبات ولا حياة فيها، فإذا أنزل الله عليها المطر أنبتت مختلف النبات فأصبحت حية تنبت الحبوب رزقا لهم، يأكلون منه هم وأنعامهم ولهذا قال تعالى ﴿أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ ثم قال ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ أي: وبقدرة الله أنزل المطر على الأرض الميتة فأصبحت جنات تضم النخيل والأعناب ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ أي: وفجرنا فيها عيون الماء لسقي هذه الجنات ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ أي: من ثمر النخيل والأعناب مما هو مشاهد ومحسوس ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: لم يكن لهؤلاء المكذبين لرسول الله يد في صنعه لا بكدهم ولا بجهدهم، بل الله الذي صنعه وكونه ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ أي: فهلا يشكرون الله على ما أنعم به عليهم ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ أي: تقدس الله الذي خلق بعظمته وقدرته هذه الأنواع من النبات والثمار ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ فجعلهم ذكورا وإناثا ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: وخلق مخلوقات أخرى لا يعلمونها.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير الأدلة العقلية والحكمية على قدرة الله وعظمته في إحياء الموتى وإحضارهم للحساب والجزاء. تقرير: قدرة الله وعظمته في جعل

المخلوقات أزواجا من ذكر وأنثى كما هو الحال في البشر والحيوانات والدواب وسائر النباتات والمخلوقات ما عرفنا منها وما غاب عنا معرفته في السموات والأرض وما بينهما.

﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (٣٧)
 وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨)
 وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي
 لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

بيان الآيات:

﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ ومن الآيات الدالة على عظمة الله وقدرته في بعث الأموات: نزع النهار من الليل فيذهب ضياء النهار ويقبل ظلام الليل ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ أي: لا يرون إلا الظلام ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ أي: تسير في فلكها فتطلع في مكان، وتغرب عن آخر حتى تنتهي الحياة الدنيا فتستقر في المكان الذي يقدره الله لها حينذاك ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ أي: هذا الذي يحدث لليل والنهار والشمس؛ إنما هو تقدير قدره الله بعزته وقوته وعلمه فلا أحد يقدر عليه إلا هو ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ أي: ومن آيات الله الدالة على

قدرته وعظمته: أن جعل القمر منازل ينزل فيها حسب تصريف الله له، ففي كل يوم له منزلة فيبدأ هلالاً صغيراً ثم يكبر شيئاً فشيئاً حتى يكون بدراً متكاملًا في ظهوره ثم يسير في فلكه إلى أن يضمحل فيكون في آخر الشهر كالعرجون القديم أي: كالعود الصغير من عذق النخلة ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ أي: إن للشمس فلكها وللقمر فلكه، فلا أحد منهما يدرك الآخر فيؤثر عليه إلا في النادر فيحصل حينئذ كسوف الشمس وخسوف القمر، وكل ذلك بحكمة الله وإرادته ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ أي: إن لكل منهما نظاماً محدداً قدره الله وأحكمه، فلا الليل يسبق النهار ولا النهار يسبق الليل ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ أي: إن للشمس والقمر وسائر الكواكب السيارة فلكاً يسبح كل منهم فيه فلا يتعارضون، بل يجري كل منهم حسبما قدره الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أحكام ومسائل الآيات:

توكيد قدرة الله وعظمته في تسيير الكون، وذلك بسلخ النهار من الليل فيتحول الكون السفلي إلى ظلام إلى أن يحين الوقت الذي ينسلخ فيه الليل من النهار فيعود الضياء إلى الكون فيكون ايذاناً للناس في العمل من أجل حياتهم. ومن الأحكام: توكيد قدرة الله في

جعل الشمس تجري للمستقر الذي حدده لها حيث تبدأ في مكان وتنتهي في آخر وتؤكد قدرة الله عز وجل في جعل القمر ينزل منازلها كل يوم؛ ليعرف العباد حساب أيامهم وشهورهم وسنينهم. ومنها: تؤكد قدرة الله في تسخير هذا الكون وجعل أفلاكه تسير وفق نظام دقيق ومحدد لا يتعارض ولا يتبدل بينه الله في كتابه عبرة لخلقه وتذكيرا وتوكيدا لهم أنه لا يقدر على ذلك وعلى إحياء الموتى إلا هو تقدست أسماؤه.

﴿وَأَيُّ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ ٤١ ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ ٤٢ ﴿وَلِنْ نَشَأْ نُغْرِقَهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾ ٤٣ ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ ٤٤ ﴿

بيان الآيات:

﴿وَأَيُّ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ أي: أن من آيات الله وعظمته وقدرته على البعث أن حمل ذرية آدم في الفلك المشحون، والمراد هنا: أنه تبارك وتعالى حمل قوم نوح المؤمنين في الفلك الذي أمره الله بصنعه، فحمل فيه الأزواج المختلفة ولما عبر به الطوفان نجى الله المؤمنين وأغرق الكافرين، فالمؤمنون الذين نجوا هم الآباء الذين نسل منهم البشر؛ لأنه لم يبق بعد آدم إلا قوم نوح، فأهلك الله الكافرين منهم، ونجى المؤمنين فقد يكون المراد بقوله

﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي: آباءهم وإن كان معنى الذرية لا يطلق لغة على الآباء، إلا أنه اطلق هنا مجازاً؛ لكونهم كلهم ذرية لآدم عليه السلام قوله ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ أي: وخلقنا للعباد ما يركبون في البحر مثل السفينة التي صنعها نوح أو ما يركبونه في البر وهي الإبل. ولأن الله خاطب الناس بما كان عندهم حين نزول القرآن، فإن ما سخره لهم من العلم في اختراع السفن الكبرى والطائرات وغير ذلك مما يمكن صنعه في المستقبل من وسائل النقل داخل تحت قدرته ومشيئته وإنعامه على عباده ﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ أي: إن نشأ نغرق الكافرين أثناء ركوبهم السفن ﴿فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ﴾ أي: لا مغيث ولا معين لهم من الغرق ﴿وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾ ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا﴾ أي: لا أحد يقدر على إغاثتهم وإنقاذهم إلا رحمة نرحمهم بها؛ لنمتعهم في الحياة الدنيا إلى أن يبلغوا آجالهم كما قال تعالى ﴿وَمَتَعْنَا إِلَى حِينٍ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير فضل الله ونعمته في إنجاء المؤمنين من قوم نوح؛ ليكونوا آباء البشر في الأرض؛ لأنه لو أغرق كل من في سفينة نوح لما بقي على الأرض أحد. وفيها: تقرير فضله أيضاً على عباده أن خلق لهم من مثل سفينة نوح وهي السفن التي استمر صنعها ثم تطورت

صناعتها إلى سفن كبرى مشهودة في هذا الزمان إضافة إلى تطور وسائل النقل الأخرى من طائرات وقطارات وسيارات كل ذلك بفضل ما فتحه الله على عباده من العلم كما قال الملائكة لربهم ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٤٥)
 وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾

بيان الآيات:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي: إذا قيل للمكذبين بالرسول المستهزئين به: اتقوا ما بين أيديكم من الذنوب وما سوف يصيبكم؛ بسببها من العذاب في الدنيا، لعل الله أن يرحمكم تولوا وأعرضوا عن سماع ما يقال لهم من الحق. ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: ما من آية تدلهم على توحيد الله وعلى صدق رسالة رسوله ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ أي: أعرضوا عنها مكذبين ومنكرين لها ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾

(١) سورة البقرة الآية ٣٢ .

أي: إذا أمروا بالإنفاق في سبيل الله كأداء الزكاة والصدقة على الفقراء والمساكين ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: قالوا للمؤمنين الذين يأمرونهم بالإنفاق ﴿أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ أي: كيف نطعم هؤلاء الذين تأمرونا أن نطعمهم فلو أراد الله أغناهم وأذهب عنهم الفقر ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي: فيما تأمرونا به.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير عناد المشركين حين دعوتهم لتوحيد الله وتصديق رسالته وأنهم يعرضون عن سماع الآيات التي تبين لهم الحجج والبراهين على قدرة الله وصدق رسوله. تقرير: أنهم يستهزئون بالفقراء إذا قيل لهم أعطوهم من مال الله الذي آتاكم، ومثالهم في ذلك: أبو جهل فقد كان أبو بكر رضي الله عنه ينفق على المساكين من المسلمين فقال له أبو جهل: أتزعم أن الله قادر على إطعامهم؟ فقال أبو بكر: نعم، فقال: ما باله لا يطعمهم ثم تطعمهم أنت؟ فنزل قول الله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ الآية (١).

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٨) مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ

إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَنْوِيلُنَا مِنْ بَعْثِنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ
الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا
وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

بيان الآيات:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: يقول المشركون
للمؤمنين على سبيل الاستهزاء والتكذيب: متى هذا الوعد الذي
واعدتمونا به إن كنتم صادقين في قولكم ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً
وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ أي: ما ينتظرون إلا النفخة التي
ينفخها إسرافيل في الصور فتأخذهم وهم يختصمون في معاملاتهم
وفي أسواقهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي: لا أحد منهم يقدر أن
يوصي ولده أو والده؛ لأن الأمر أعظم مما يتصورون ﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ
يَرْجِعُونَ﴾ أي: لن يكون لهم وقت يرجعون فيه إلى مساكنهم،
وإنما يموتون في أماكن وجودهم.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أي: نفخ إسرافيل في الصور نفخة البعث
﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ أي: حينما يسمعون
النفخة يخرجون من قبورهم ينسلون أي: مسرعين في مشيهم ﴿قَالُوا
يَنْوِيلُنَا مِنْ بَعْثِنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا﴾ وعندئذ يقول الكفار لما يرونه من هول

ذلك اليوم: من بعثنا من مرقدنا ؟ ومرادهم قبورهم التي كانوا يزعمون عدم بعثهم منها فتقول لهم الملائكة ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ أي: هذا اليوم الذي وعد الله به عباده وقد صدق في وعده وصدق المرسلون فيما بلغوا به عن ربهم.

﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ أي: ماهي إلا صيحة يصيحها إسرافيل، فتجتمع الخلائق كلها عند الله كما قال تعالى ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١). ﴿ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ أي: في هذا اليوم العظيم الذي تجتمع فيه الخلائق ينصب الميزان فلا تظلم نفس حسنة عملتها، ولا تزداد على سيئة فعلتها بل هو الحق والعدل ﴿ وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: أن جزاءكم مبني على عملكم، فما عملتم من خير أو شر وجدتموه في صحائف أعمالكم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: البيان أن الكفار يستبعدون قيام الساعة وينكرون البعث كما قال تعالى ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ﴾ (٢). وفيها: الحكم

(١) سورة الإسراء الآية ٥٢ .

(٢) سورة الشورى من الآية ١٨ .

أَنَّ السَّاعَةَ تَأْتِي بَغْتَةً كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ
 الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾^(١). وفيها: أَنَّ الكفار يَفْزَعُونَ عند النفخ في
 الصور، ويتمنون بقاءهم في قبورهم رغم عذابهم فيها، ولكنهم
 يرونه أخف عليهم من العذاب الذي يساقون إليه بعد النفخ في
 الصور. وفيها: الحكم بأن الله يعدل بين الخلائق حين يقفون
 بين يديه فلا يظلم أحدا فيبخس حسنة عملها ولا يحملها سيئة
 لم يعملها كما قال تَعَالَى ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا
 تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا
 وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾^(٢).

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهُونَ﴾^(٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي
 ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِفُونَ^(٥٦) هُمْ فِيهَا فَكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ^(٥٧)
 سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ^(٥٨).

بيان الآيات:

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهُونَ﴾ في هذا اليوم الذي
 يكون فيه الحساب والجزاء، ويلقي فيه الكافرون العذاب ينشغل
 أصحاب الجنة بما فيها من النعيم المقيم ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ﴾

(١) سورة النحل من الآية ٧٧ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٤٧ .

أي: ظلال الأشجار الوارفة ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِعُونَ﴾ أي: على السرر جالسون في سرور ونعيم ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾ أي: لهم في الجنة جميع أصناف الفاكهة ﴿وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ أي: ويحقق لهم جميع ما يطلبونه من المأكّل والمشارب وغيرها ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ أي: بينما هم في الجنة يشرف عليهم الله جل جلاله من فوقهم ويسلم عليهم فيبتهجون بالنظر إلى وجهه الكريم، فلا يجدون لذة أعظم من لذة النظر إليه جل جلاله.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير ما يتمتع به أهل الجنة من النعيم المقيم هم، وأزواجهم وذرياتهم. تقرير: أن الله يشرف على أهل الجنة ويسلم عليهم فلا يجدون لذة أعظم من لذة النظر إلى وجهه الكريم.

﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ ٥٩ ﴿أَلَمْ أَعْهَدَ إِلَيْكُمْ يَبْنَىٰءَ آدَمَ أَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ٦٠ ﴿وَأَن أَعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ ٦١ ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ ٦٢

بيان الآيات:

﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: في هذا اليوم العظيم يوم

الحساب والجزاء يُقال: تميزوا أيها المجرمون عن المؤمنين فسبيلكم النار وسبيلهم الجنة ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ هذا توبيخ من الله للكافرين والمراد: ألم أنهكم عن عبادة الشيطان وطاعته لأنه عدو لكم بين العداوة ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي: أمرتكم أن تعبدوني وبينت لكم عن طريق رسلي أن عبادتكم لي هي الصراط المستقيم ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ أي: ورغم أمري لكم بعدم عبادة الشيطان فقد اتبعه خلق كثير فأضلهم عن الحق ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ أي: أليس لكم عقل تعقلون به، وتعرفون أن الشيطان إنما يريد لكم العذاب.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن المجرمين يتميزون يوم القيامة عن المؤمنين بعد الحساب فيذهب المجرمون إلى العذاب، ويذهب المؤمنون إلى الجنة كما قال تعالى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِّدُ يَنْفَرُقُونَ﴾^(١). ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾^(٢). ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

(١) سورة الروم الآية ١٤ .

(٢) سورة الروم الآية ١٥ .

وَلِقَايَ الْأَخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١﴾. وفيها: تقرير عداوة الشيطان للإنسان كما قال تعالى ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ﴿٢﴾. وفيها: أن عبادة الله هي الصراط المستقيم وأن الشيطان قد أضل خلقا كثيرا بسبب بعدهم عن هذا الصراط.

﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ ﴿٦٣﴾ أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴿

بيان الآيات:

﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ ﴿٦٣﴾ حينما يتميز المجرمون يوم القيامة ويعزلون عن المؤمنين تقول الملائكة توبيخا لهم: هذه نار جهنم التي كنتم تكذبون بها ﴿ أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ ﴿٦٤﴾ أي: لاقوا اليوم عذابها، جزاء كفركم وتكذيبكم لما جاءكم من البينات

(١) سورة الروم الآية ١٦ .

(٢) سورة فاطر الآية ٦ .

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ هذه حال الكفار يوم القيامة حين يجحدون أعمالهم في الدنيا ويقولون: يا ربنا ما عملنا هذا وما ارتكبنا هذا، فيختتم الله على أفواههم وتنطق جوارحهم عليهم كما قال تعالى ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١). ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾ أي: أعمينا هؤلاء المشركين ﴿فَأَسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ أي: لو شئنا لأعميناهم فابتدروا الطريق فكيف يبصرون وهم عمي ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ أي: لو نشاء لغيرنا خلقهم فأصبحوا قردة أو خنازير أو خلقا آخر غير خلقهم ﴿فَمَا أَسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: لا يستطيعون أن يتقدموا أمامهم أو يرجعوا خلفهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن جوارح المجرمين تشهد عليهم يوم القيامة حين ينكرون أعمالهم في الدنيا كما قال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢). ﴿وَقَالُوا لِمَ لُجُودُهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ

(١) سورة النور الآية ٢٤ .

(٢) سورة فصلت الآية ٢٠ .

كُلِّ شَيْءٍ ﴿١﴾. وقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال عليه الصلاة والسلام: (هل تدرون مم أضحك؟) قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: (من مخاطبة العبد ربه يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال يقول: بلى، فيقول: فإني لا أجزى على نفسي إلا شاهداً مني قال فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً قال: فيختم على فيه. فيقال لأركانه: انطقي قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، قال: فيقول: بعداً لكنّ وسحقاً فعنكُنَّ كنت أناضل) ﴿٢﴾. وفيها: تحذير المشركين والكفرة من تعجيل العقوبة لهم في الدنيا كالطمس على أعينهم وتغيير خلقهم بمسخهم.

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ السِّعَرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾

بيان الآيات:

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ أي: من يطول عمره يرد إلى الضعف في قواه البدنية والعقلية ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أفلا يدرك

(١) سورة فصلت الآية ٢١.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، برقم (٢٩٦٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٧٢٣٩.

هؤلاء المشركون هذه الحقيقة ويتفكرون في أنفسهم وآبائهم كيف يبدأ خلقهم ويتدرجون من مرحلة إلى أخرى حتى ينتهوا ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ ﴿لَمَّا قَالَ الْمَشْرِكُونَ إِنَّ الْقُرْآنَ شِعْرٌ، رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَقُولَتَهُمْ وَكَذَّبَهُمْ فَقَالَ: إِنَّ الرُّسُولَ لَمْ يَتَعَلَّمِ الشِّعْرَ وَلَمْ نَعْلَمْهُ إِيَّاهُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَعَلَّمَ﴾ ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ أي: هذا الذي يتلوه عليكم ذكر يعظكم به إن كنتم تحبون الموعظة وهو قرآن مبين أي: قرآن منزل من عندنا يبين الحق لمن يريد اتباعه ويزيل الغشاوة عن أعين الذين يريدون أن يبصروا الحق ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ أي: ينذر هذا القرآن كل من يريد سعادة في الحياة الدنيا والآخرة ﴿وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي: ويحق بالعذاب على الذين يكفرون به ويجحدونه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن القرآن كلام الله المنزل على نبيه ورسوله محمد ﷺ من اللوح المحفوظ وفي هذا إبطال وتكذيب لادعاء مشركي قريش أنه شعر، وهذا يقتضي تكذيب وإبطال دعوى أي مدع يتهم القرآن كحال الذين سلموا عقولهم لأعداء الإسلام فصاروا يطعنون في القرآن كذبا وزورا وجهلا وفيها: أن القرآن ذكر جعله الله موعظة للذين يريدون اتباع الحق. وفيها: أن القرآن إنذار لإحياء القلوب،

فمن آمن به فقد نجا ومن كفر به حق عليه العذاب كما قال عز وجل ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾^(١).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُمْ فِيهَا مِنْفَعٌ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَخْزِيكَ قَوْلُهُمْ إِنَّآ نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

بيان الآيات:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾ أي: ألم ير هؤلاء المشركون المكذبون لرسول الله أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما يتصرفون فيها فتنقاد لهم بسهولة، رغم قوتها كحال الإبل ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ أي: يفعلون بها كيف شاؤوا ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ أي: سخرناها لهم ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ أي: وبسبب هذا التسخير يركبونها لتنقلهم من مكان إلى آخر ويذبحونها طعاما لهم ﴿وَهُمْ فِيهَا مِنْفَعٌ وَمَشَارِبٌ﴾ فمن المنافع: الصوف والوبر ومن المشارب: الألبان ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ أي: أفلا يشكر هؤلاء المشركون

(١) سورة هود من الآية ١٧ .

هذه النعم ويعبدون الذي جعلها لهم وتكون لهم عقول يدركون بها أن أصنامهم وأوثانهم لا تغنيهم شيئاً.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾ لما ذكر الله تعالى ما أنعم به على المشركين من النعم الكثيرة ذكر أنهم اتخذوا آلهة يعبدونها من دونه زعماً وجهلاً أنها تنصرهم وتشفع لهم يوم القيامة، فبين الله أنها لا تستطيع نصرهم بأي حال، وأن هذه الأصنام تحضر معهم يوم الحساب فيتبرأ كل منهم من صاحبه وهو معنى قوله ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾ ﴿فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ والمعنى لا تحزن مما يقوله هؤلاء المكذبون لك ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أي: نعلم كل ما يقولونه في سرهم وعلاانيتهم وسنجزئهم على ذلك ما يستحقونه من العذاب.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير نعم الله على عباده بما هيأه لهم من الأنعام، وسخرها لهم رغم قوتها كالإبل، وقد ذكر الله الإبل؛ لأنها العلامة والآية التي يعرفونها في ذلك الوقت، وقد استمرت نعم الله وفواضله على عباده حسب تدرج زمانهم فسخر لهم العلم فصارت لهم هذه الوسائل الكبرى في النقل وغيره وفيها: تقرير غباء المشركين

وسفاهتهم في مقابلتهم نعم الله عليهم بعبادة الأصنام والأوثان. وفيها: الحكم بأن هذه الأصنام لن تنفعهم وسيحضرون معهم يوم القيامة؛ لكي يتبرأ كل منهم من الآخر. وفيها: تسلية رسول الله ﷺ بآلا يحزن على تكذيب قومه له وطمأنته أن الله يعلم إسرارهم وما يعلنون، وسوف يجازيهم بالعذاب إذا لم يتوبوا.

﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۝٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ۝٨٠ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ۚ بَلَىٰ ۖ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝٨١ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ ۖ كُنْ فَيَكُونُ ۝٨٢ فَسُبْحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٣﴾

بيان الآيات:

﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ﴾ كلام الله عز وجل لا يزال مستمرا في تقرير البعث والجزاء وهو الذي جحدته المشركون، فقد جاء العاصي بن وائل السهمي وقيل: أبي بن خلف إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم رميم

فَفَتَّهْ وَذَرَاهُ فِي الْهَوَاءِ وَهُوَ يَقُولُ: أَتَزْعُمُ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ هَذَا؟
فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (نَعَمْ يَمِيتُكَ اللَّهُ ثُمَّ يَحْيِيكَ ثُمَّ يَحْشُرُكَ
إِلَى النَّارِ)^(١). فنزلت هذه الآية والمراد أَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ والمراد به الإنسان
في عمومته؛ لأنه اسم للجنس ﴿أَنَا خَلَقْتَهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ أي: من ماء
مُهَيَّنٍّ، ثُمَّ صَوَّرْنَاهُ بَشَرًا مُتَكَامِلًا ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ أي:
يَخَاصِمُ وَيَعَانِدُ وَيَشْرِكُ مَعَنَا فِي الْعِبَادَةِ ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ أي:
ضَرَبَ لَنَا هَذَا الْمُنْكَرَ وَالْجَاهِدَ لِلْبَعْثِ مَثَلًا والمراد به العظم الذي فته
المشرك أمام رسول الله ﷺ ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ أي: نسي أن الله خلقه
وكونه رجلاً سوياً ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ أي: تساءل
مستبعداً قدرة الله وعظمته في إحياء الموتى ونسي قدرته في خلق
الخلق من العدم إلى الوجود ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾
أي: قل يا محمد لهذا المستبعد إحياء الموتى: إن الذي أنشأها أصلاً
من العدم إلى الوجود هو القادر على إحيائها ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ
عَلِيمٌ﴾ أي: عليم بكل مخلوق خلقه فكما قدر على خلقه وقدر على
موته قادر حكماً وعقلاً على إحيائه.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٥٨٢، وتفسير البغوي ص ١٠٩٥، وزاد المسير لابن الجوزي
ص ١١٨٠.

تُوقَدُونَ ﴿١٠﴾ أي: إن الذي أنتج الشجر من الماء وأنتج النار من الشجر هو القادر على إحياء الموتى أو يكون المعنى أن الذي خلق الشجر من الماء حتى صار خضرا ثم أعاده يابساً توقد منه النار قادر على إحياء الموتى بعد موتهم.

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ ﴿١١﴾ هذا استفهام تقريرى والمراد أن الذي خلق السموات السبع والأرضين السبع وما فيهما من المخلوقات التي لا يستطيع العقل إدراك أسرارها وعظمتها قادر على أن يخلق أقل منها؛ إذ إن خلق الإنسان وموته وبعثه من جديد لا يقارن بخلق السموات والأرض ﴿بَلَىٰ﴾ ﴿١٢﴾ هذا جواب الاستفهام أنه قادر على خلق ما أراد وعلى بعث الأموات ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿١٣﴾ أي: الخالق لكل ما يريد خلقه ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿١٤﴾ أي: إذا أراد كينونة أي شيء من المخلوقات فهذا لا يحتاج إلا أن يقول له كن فيكون على الفور فتبارك وتعالى وتقدس اسماءه وصفاته.

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ﴿١٥﴾ أي: تنزه وتقدس فهو المالك لكل شيء في الكون العلوي والسفلي وكل ما في الوجود ما علمه الإنسان وما لم يعلم ﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١٦﴾ أي: إليه المرجع والمعاد.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: ذكر الله عددا من البراهين الدالة على عظمته وقدرته في إحياء الموتى؛ وذلك تكذيبا للمشركين وغيرهم من منكري البعث. ومن هذه الأدلة: إنشاؤه الخلق أول مرة حيث أخرج الخلق من العدم إلى الوجود. ومنها: إخراج النار من الشجر الأخضر الناتج من الماء رغم وجود التضاد بين الماء والنار. ومنها: خلقه للسموات والأرض وهذا أكبر من خلق الناس كما قال عز وجل ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾^(١). وقوله ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

ومنها: أنه يقول لشيء كن فيكون، فهذه البراهين الأربعة التي بسطها الله لمنكري البعث ليست براهين حكمية فحسب، بل براهين عقلية للذين لهم عقول يدركون بها إثبات القدرة لله في كل شيء وتنزيهه عن النقص. وفيها: الحكم بأن كل شيء في الوجود واقع بيد الله وتحت مشيئته وتصرفه فتبارك الله رب العالمين.

(١) سورة غافر من الآية ٥٧ .

(٢) سورة الأحقاف الآية ٣٣ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الصافات

مكية وآياتها مائة واثنان وثمانون آية

﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّجَرَاتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۝٥ ﴾

بيان الآيات:

﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴾ هم الملائكة يصفون في الصلاة خاشعين لله رب العالمين ﴿ فَالزَّجَرَاتِ زَجْرًا ﴾ هم الملائكة يزجرون السحاب ويفرقونه حيث ما أمرهم الله به ﴿ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴾ أي: الملائكة يذكرون الله ويتلون كتابه، وقد أقسم الله بالملائكة على ألوهيته في قوله عز وجل ﴿ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾ وما كان قسمه بهم إلا لأنهم في طاعته يؤلَّهُونه وحده ويطيعونه وحده ولا يعصونه في أمره كما قال عز وجل ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾^(١). ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ رب السموات والأرض الذي لا رب غيره ﴿ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ أي: من المخلوقات فيهما ﴿ وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴾ أي: هو المالك للمشارك والمغارب ورب كل شيء ومليكه.

(١) سورة التحريم من الآية ٦.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير قسم الله تعالى بالملائكة بيانا لفضلهم، وأنهم يصفون للصلاة على النحو الذي يرضون به ربهم. وفي هذا: قال رسول الله ﷺ لأصحابه فيما رواه جابر بن سمرة: (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟) قلنا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال ﷺ: (يُتَمَوْنَ الصفوف الأول ويتراصون في الصف)^(١). وفي هذه الآيات: الحكم بتوحيد الألوهية وهو أنه لا إله إلا الله.

﴿ إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ۖ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۚ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۚ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۙ إِلَّا مَنِ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۖ ۝١٠﴾

بيان الآيات:

﴿ إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ۖ ﴾ هذا بيان من الله عن عظيم قدرته في تزيين السماء القريبة من الأرض بزينة الكواكب التي تضيء، ويراهها أهل الأرض مشرقة فينتفعون بضيائها ﴿ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۚ ﴾ أي: حفظها الله من كل شيطان متمرّد، فإذا أرادت الشياطين استراق السمع اتبعهم شهاب فيحرقهم بحيث ﴿ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ ۚ ﴾

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة، برقم (٤٣٠)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ١٦١٨.

الْأَعْلَى ﴿١٦﴾ أي: يتبعهم الشهاب حتى لا يستمعوا إلى الملائكة فينقلوا أخبار السماء إلى الشياطين من الكهنة وغيرهم ﴿وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ أي: يرمون من كل جهات السماء إذا حاولوا الاقتراب منها ﴿دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ﴾ أي: لهؤلاء المردة من الشياطين عذاب أليم لا يتوقف ﴿إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخُطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ، شَهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ المراد به من اختلس الكلمة من السماء بسرعة فيتبعه شهاب محرق فيقتله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الكواكب زينة في السماء لأهل الأرض كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزِينَةً لِلنَّاظِرِينَ﴾ (١). وهي في الوقت ذاته حافظة للسماء من مردة الشياطين كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ (٢). وهذا يقتضي أن الشياطين قد طردوا من السماء، فلم يبق لهم مجال للكذب والتلبيس على الناس. وفي أثر ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان للشياطين مقاعد في السماء، فكانوا يستمعون الوحي وكانت النجوم لا تجري وكانت الشياطين لا ترمى، قال: فإذا سمعوا الوحي نزلوا إلى الأرض فزادوا في الكلمة تسعا فلما بعث رسول الله ﷺ جعل الشيطان إذا

(١) سورة الحجر الآية ١٦ .

(٢) سورة الملك الآية ٥ .

قعد مقعده جاءه شهاب فلم يخطه حتى يحرقه قال: فشكوا ذلك إلى إبليس -لعنه الله- فقال: ما هو إلا لأمر قد حدث فبعث جنوده فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي بين جبلي نخلة -يعني بطن نخلة- قال: فرجعوا إلى إبليس فأخبروه قال: فقال: هذا الذي حدث^(١).

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ ۝ ١١ ﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝ ١٢ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۝ ١٣ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ۝ ١٤ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ ١٥ أءِذَا مَنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝ ١٦ أَوَءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۝ ١٧ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ۝ ١٨ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۝ ١٩ ﴾

بيان الآيات:

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ خَلَقْنَا ﴾ لا يزال كلام الله عز وجل مستمراً في تقرير البعث فيأمر نبيه ورسوله محمداً ﷺ أن يسأل المنكرين للبعث هل خلقهم ومماتهم وإحيائهم أشد من خلق الله للسموات والأرض ومن فيهن؟ والجواب أنهم سيقرون أن هذه المخلوقات أشد منهم إذن فكيف ينكرون البعث؟ ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ أي: خلقناهم من طين يلصق بعضه ببعض ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ أي: عجبت يا محمد من تكذيبهم للبعث وهم

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٢ ص ٣٦.

يسخرون من إيمانك به ﴿ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴾ أي: إذا ذكروا بالآيات التي تدل على البعث لا يذكرون، لأن الشرك طبع على قلوبهم فاصبحوا لا يفكرون ﴿ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ أي: إذا رأوا علامة تدل على البعث استهزؤوا منها ﴿ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: هذا الذي جئت به يا محمد سحر مبين.

﴿ أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعْنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ أي: يتعجبون من حياتهم بعد أن تحولوا إلى تراب وعظام ﴿ أَوَءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴾ وكذلك آبائنا وأجدادنا هل يعودون إلى الحياة بعد موتهم يقولون ذلك استبعادا للبعث وتكذيبا به ﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ أي: قل لهم يا محمد جوابا على استهزائهم: نعم سوف تبعثون وأنتم اذلاء صاغرون ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ أي: ما هي إلا صيحة إسرافيل في الصور فإذا هم قيام بين يدي الله ينظرون أهوال العذاب يوم القيامة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب سؤال المنكر للحقيقة بقصد تحديه وإظهار عجزه. وفيها: تقرير عن أصل الإنسان، وأنه من الطين اللاصق كما قال عز وجل ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾^(١). وفيها: تقرير أن من طبع الكفر على قلبه ينكر ما يراه من الآيات البينات فيرى الحق

(١) سورة غافر من الآية ٦٧ .

باطلا والباطل حقا كما قال تعالى ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١). وفيها: تقرير بداية البعث وهو أمر الله لإسرافيل بالنفخ في الصور.

﴿وَقَالُوا يُوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ ٢٠ ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ٢١ ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ٢٢ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ ٢٣ ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ ٢٤ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ ٢٥ ﴿بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ ٢٦ ﴿

بيان الآيات:

﴿وَقَالُوا يُوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ حينما يشاهد الكفرة المنكرون للبعث أهوال يوم القيامة يلومون أنفسهم ويتحسرون بسبب سوء أفعالهم فتقول لهم الملائكة على وجه التقرير ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: هذا اليوم الذي كنتم تنكرونه وتستهزئون به ثم يقول الله للملائكة ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ أي: احشروا هؤلاء الظلمة وأزواجهم أي: قرناءهم في الإجماع، فيحشر المشركون المنكرون للبعث مع بعضهم ويحشر

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٥ .

معهم أصنامهم ويحشر المرابون مع بعض ويحشر كل مجرم مع مثيله ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: من الأصنام والأوثان ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ أي: أرشدوهم إلى مأواهم ومقرهم النار ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ أي: يوقفون على أبواب جهنم ويسألون ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ أي: لماذا لا ينصر بعضكم بعضا الآن كما كنتم في الدنيا تتناصرون على الباطل ﴿بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ أي: ذليلون منقادون لا يجدون وليا يواليهم ولا ناصراً ينصرهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن المنكرين للبعث يلومون أنفسهم ويتحسرون عليها عندما يشاهدون أهوال القيامة ويتمنون لو أنهم يردون إلى الدنيا ليعملوا عملاً صالحاً للآخرة كما قال عز وجل ﴿فَقَالُوا يَلَيْسَ نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِبَآيَتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١). ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٢). ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾^(٣). وفيها: أن الظالمين يحشرون مع بعض يوم القيامة، فيحشر المشركون مع أصنامهم وأوثانهم، ويحشر كل مجرم مع مثيله، ثم يسألون قبل

(١) سورة الأنعام من الآية ٢٧ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٢٨ .

(٣) سورة الأنعام الآية ٢٩ .

دخولهم العذاب عن عدم تناصرهم في هذا اليوم كما كانوا يتناصرون على الباطل في الدنيا.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٢٧) ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ (٢٨) ﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٩) ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَغَيْنَ﴾ (٣٠) ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ (٣١) ﴿فَأَغْوَيْنَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَوِينَ﴾ (٣٢) ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ (٣٣) ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ (٣٤) ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥) ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَئِنَّا لَشَاعِرٍ مُّجْنُونٍ﴾ (٣٦) ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣٧) ﴿

بيان الآيات:

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ﴿بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ الْكُفَّارَ يَتْلَومُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَلُومُ التَّابِعُونَ الْمُتَبَوِّعِينَ عَلَى إِضْلَالِهِمْ لَهُمْ وَيَتَبَرَأُ الْمُتَبَوِّعُونَ مِنْهُمْ﴾ ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ أي: يقول التابعون للمتبوعين إنكم كنتم تضلوننا بقدرتكم علينا وضعفنا أمامكم فيرد عليهم المتبوعون ﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: ما كنتم مؤمنين بالله أصلاً فجعلناكم تكفرون به ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي: ما كان لنا من حجة نقنعكم بها وكانت تبعتكم لنا عن رغبة وإرادة

منكم ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ أي: كنتم في أنفسكم طاغين فاتبعتمونا ولم تتبعوا الرسول الذي جاءكم بالحق ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا﴾ أي: يقول المتبوعون: لقد حق علينا عذاب ربنا ﴿إِنَّا لَذَٰيْقُونَ﴾ أي: سوف نذوق العذاب نحن وأنتم أي التابعون ﴿فَآغْوَيْنَاكُمْ﴾ أي: يقول المتبوعون من المجرمين لتابعيهم لقد أغويناكم عن الهدى ودعوناكم للضلالة فاستجبتم لنا ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾ أي: ضالين عن الهدى، فلهذا قال الله فيهم ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: إن التابعين والمتبوعين مشتركون في العذاب كل حسب خطيئته ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ أي: هذا هو الجزاء للمجرمين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: إن هؤلاء المجرمين إذا قيل لهم في الدنيا: قولوا لا إله إلا الله استكبروا عنها ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَٰرِكُوا ءَالِهَتِنَا لِشَٰعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ أي: هل نترك آلهتنا بسبب قول هذا الشاعر المجنون ويعنون به رسول الله ﷺ ﴿بَلْ جَآءَ بِالْحَقِّ﴾ وفي هذا بيان من الله ورد عليهم أن رسول الله ﷺ إنما جاء بالحق من عند الله ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: صدق من قبله من المرسلين الذين أرسلهم الله إلى الخلق يدعونهم لتوحيده وطاعته فهو كما صدقهم فقد صدقوه من قبل.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير تخاصم المتبوعين والتابعين يوم القيامة ومحاولة إلقاء كل

منهم المسؤولية على الآخر حين يشاهدون العذاب. ومن الأحكام: أن أهل الضلال يشتركون في العذاب يوم القيامة سواء كانوا متبوعين أو تابعين. ومنها: عظم شهادة لا إله إلا الله وأن من استكبر عنها قولاً وعملاً يلاقي أشد العذاب يوم القيامة. ومنها: الحكم بنبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ وأنه صادق فيما قاله عن الرسل قبله وما قالوه عنه.

﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ (٣٨) وَمَا تُحْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَكَهَهُمْ مَكْرُمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُنْقَلَبِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾

بيان الآيات:

﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ المراد بهم: المجرمون المنكرون للبعث ﴿وَمَا تُحْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: يكون جزاؤهم حسب عملهم فلا يظلمون صغيرة ولا كبيرة، فالسيئة بمثلها كما قال تعالى ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١). وقد استثنى الله عباده المخلصين الذين عبدوه وأخلصوا له العبادة فقال ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ أي: رزق

يرزقون منه في الجنة وهو ﴿فَوَكَّهُ﴾ مختلفة الأنواع والأصناف ﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ أي: ضمننت لهم الكرامة الأبدية ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ لا ينظر بعضهم إلى خلف الآخر ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكُأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ﴾ أي: من خمر تجري بها الأنهار ﴿بِضَاءٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ أي: فيها لذة لهم ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ أي: ليس فيها ضرر لهم ولا يسكرون منها كحال خمر الدنيا التي تذهب عقل شاربها ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ أي: لهم في الجنة زوجات يقصرن أطرافهن على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم ﴿عِينٌ﴾ أي: واسعات الأعين وحسانها وهذا دليل على جمالهن ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيَاضٌ مُّكْنُونٌ﴾ هذا وصف لهن بالبياض مثل بياض البيض المكنون أي: المستور بالقشرة التي تمنع عنه الأذى.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الجزاء حسب العمل، فلا يظلم الله أحدا بما لم يعمل، فمن عمل حسنة فله عشر أمثالها، ومن عمل سيئة فجزاؤه بمثلها لا ينقص من أحد حسنة، ولا يزداد عليه سيئة. وفيها: أن الله استثنى عباده المخلصين، فخصهم بالكرامة الأبدية وهي الجنة وبين استحقاقهم فيها من المطاعم والمشارب واللذات التي تختلف في طعمها ومذاقها عن ملذات الدنيا.

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ٥٠ ﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ٥١ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ٥٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ٥٣ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ ٥٤ فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ٥٥ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ ٥٦ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ٥٧ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ٥٩ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٦٠ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ٦١ ﴾

بيان الآيات:

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ لما بين الله تعالى ما لأهل الجنة من المطاعم والمشارب، أخبر أن بعضهم يسأل البعض عن أحوالهم في الدنيا وما واجههم فيها من المصاعب والمكاره ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ أي: قال أحد المتحدثين إنه كان له صاحب ينكر البعث ﴿ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴾ أي: يقول له هذا الصاحب على وجه الإنكار: هل أنت مصدق بالبعث؟ ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ هل إذا متنا وتحولنا إلى تراب وعظام هل نكون مدينين أي: محاسبين ؟

﴿ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ ﴾ أي: يقول المتحدث لأصحابه في الجنة: هل تطلعون على أحوال أهل النار لأرى صاحبي في الدنيا ويوحى السياق أنهم لم يرغبوا في ذلك ﴿ فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ أي:

رأى صاحبه في وسطها ﴿ قَالَ تَأَلَّهَ إِنَّ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴾ أي: قال المؤمن
 للذي في النار: والله إنك كدت لتهلكني لو أطعته فيما كنت تأمرني به
 ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ أي: لولا رحمة الله وفضله
 علي لكنت مثلك في هذا العذاب ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴾ هذا كلام المؤمن
 وهو استفهام تقريرى والمعنى لسنا بميتين ﴿ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى ﴾ أي:
 لن نموت، إلا الموتة الأولى التي كانت في الدنيا أما في الجنة فنحن فيها
 مخلصون ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ أي: لن نعذب أبداً؛ لأن الجنة دار نعيم
 ﴿ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ أي: إن النجاة من النار والفوز بالجنة
 هو الفوز الذي ليس بعده فوز إلا رؤية وجه الله الكريم ثم قال تعالى
 ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ أي: لمثل هذا الفوز بالجنة يعمل
 المؤمنون العابدون لربهم المخلصون في عبادته.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن أهل الجنة يتحدثون بينهم كما كانوا
 يتحدثون في الدنيا، مع الاختلاف في نوع الحديث وكيفيته. وفيها:
 خطورة مصاحبة قرناء السوء وكونهم يؤثران على قرنائهم إلا من
 عصمه الله وأنعم عليه فنجي منهم. وفيها: بيان أن المنكرين للبعث
 كانوا يستهزئون بالمصدقين به. وفيها: الحكم بأنه لا موت لأهل الجنة
 إلا موتتهم الأولى في الدنيا.

﴿أَذْلِكَ خَيْرٌ نُزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ ٦٢ ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾
 ٦٣ ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ ٦٤ ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ﴾
 الشَّيْطَانِ ٦٥ ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا فَمَا لَوْ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ ٦٦ ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ﴾
 عَلَيْهَا لَشُوبًا مِّنْ حَمِيمٍ ٦٧ ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ ٦٨ ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا﴾
 ءَابَاءَهُمْ ضَالِّينَ ٦٩ ﴿فَهُمْ عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ ٧٠ ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾
 أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ٧١ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنْذِرِينَ﴾ ٧٢ ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ﴾
 كَانَ عَقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ٧٣ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ ٧٤ ﴿

بيان الآيات:

﴿أَذْلِكَ خَيْرٌ نُزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ ﴿لما ذكر الله تعالى حال﴾
 أهل الجنة وما يكونون فيه من النعيم قال: أهذا النزل الذي أعد
 لأهل الجنة خير أم شجرة الزقوم التي في جهنم ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً﴾
 لِلظَّالِمِينَ ﴿أي: فتنة لكفار قريش الذين قالوا: كيف تكون هذه﴾
 الشجرة في النار والنار تأكل الشجر؟ ففتنهم الله؛ لكي يصدقوا
 أو يكذبوا بها فكذبوها وأنكروها بل إن أبا جهل قال: المراد بها
 التمر والزبد^(١) ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ ﴿أي: تنبت﴾
 من قعر النار ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ﴾ ﴿أي: يشبه ثمرها﴾
 رؤوس الشياطين والمراد: مشابهة منظره بمنظر الشياطين الذين هم

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ٨٥ .

عنوان للقبح وسوء المنظر ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴾ أي: أن أصحاب النار يأكلون من هذه الشجرة رغم سوء طعمها وبشاعتها ولكنهم يضطرون إليها لأنه ليس لهم سواها ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ أي: إنهم حينما يأكلون من ثمر هذه الشجرة يعطشون فيطلبون الماء، فيسقون ماء حميما يزيدهم عذابا على عذابهم ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴾ أي: يعادون إلى مقرهم الجحيم بعدما يطعمون من شجرة الزقوم ويسقون من الماء الحميم ﴿ إِنَّهُمْ أَفْوَاءٌ أَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴾ أي: حق عليهم الجزاء باتباع آبائهم الضالين ﴿ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُرْعَوْنَ ﴾ أي: يسرعون في اتباعهم.

﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ المراد أن كفار قريش ليسوا هم الذين ضلوا وحدهم بل سبقتهم أمم أخرى في الضلال ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴾ أي: أرسلنا إليهم رسلا يدعونهم إلى الهدى وينذرونهم عن الضلال، فمنهم من آمن وعمل صالحا فكتب الله له النجاة ومنهم من عصى وتمرد وكذب بآيات الله ورسله فعاقبه الله بأنواع العذاب كالغرق والرجفة والصيحة ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ أي: انظر يا محمد كيف كان عاقبة المكذبين لرسلهم وما نزل بهم من الهلاك ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ أي: استثنى الله من الهلاك والعذاب عباده

الذين أخلصوا في طاعته واتبعوا ما جاءتهم به رسله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الله يمتحن عباده ويفتنهم لينظر كيف يعملون، فمنهم: من يعتبر ويتذكر ويرجع إلى الله ويتوب إليه فينجيه من هذه الفتنة، ومنهم من لا يتوب ولا يتذكر فيأخذه العذاب على حين غرة. وفيها: التنديد باتباع الآباء أو الأصحاب الضالين أو اقتفاء آثارهم. وفيها: أن الشرك والكفر قد جرى في الأمم السابقة للعرب وقد أهلكهم الله لما كذبوا رسلهم، واستثنى منهم العباد الصالحين الذين آمنوا بالله وصدقوا رسلهم واتبعوهم.

﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ لما بين تعالى أن كثيرا من الأمم ضلت فأهلكها ونجى المؤمنين منها ذكر قصة نوح عليه السلام بأنه مكث في قومه تسعمائة وخمسين سنة يدعوهم إلى الله فكذبوه وآذوه وعصوه فيما جاءهم به، فلما يئس منهم دعا ربه

قائلاً ﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾^(١). وقد استجاب الله لندائه وهو نعم المجيب والناصر لأوليائه ورسله ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ أي: نجينا وأهله من الغرق باستثناء امرأته وولده فقد كانا على غير ملته ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ أي: أن البشر كلهم من ذريته بعد آدم وهم سام وحام ويافث ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ أي: أتبعنا له ذكراً حسناً في العالمين كما قال عز وجل ﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: هكذا نجزي من أطاع الله ووحده ونجعل له أثراً وثناء حسناً يذكر به في العالمين ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا ثناء من الله على نبيه نوح بأنه من العباد المؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ أي: بالغرق في الطوفان؛ جزاء إشراكهم مع الله وجحودهم وتكذيبهم لما جاءهم به نبيهم نوح من البينات.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الله يجيب دعوة عباده المؤمنين لقوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾^(٢). وقوله عز وجل ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٣).

(١) سورة المؤمنون من الآية ٢٦ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٨٦ .

(٣) سورة غافر من الآية ٦٠ .

وفيها: أن الله ينجي المؤمنين من الكوارث ويجازي المحسنين بالإحسان؛ لقاء إحسانهم ويجازي الكافرين بالعذاب لقاء كفرهم. وفيها: أن الله يثني على عباده المؤمنين في الملأ الأعلى كما أثنى على نبيه نوح.

﴿وَإِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٤ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۝٨٥ أَفَكَا ءَالِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٨٧ فَنَظَرْنَا نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۝٨٩ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۝٩٠ فَرَاغَ إِلَى ءَالِهِنَّ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٩١ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ۝٩٢ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ۝٩٣ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ ۝٩٤ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝٩٥ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ۝٩٧ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ۝٩٨﴾

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ لما ذكر الله قصة نوح مع قومه وما حدث لهم من الهلاك؛ بسبب شركهم ذكر قصة إبراهيم مع قومه المشركين يذكر الله فيها كفار قريش أن مآل المشركين الهلاك إن لم يتوبوا فقال: إن إبراهيم من أتباع نوح ومن أهل ملته ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أي: مفعم بالإيمان وعبادة الله وحده والبراءة من الشرك

به ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: استفسر من أبيه وقومه منكرا عليهم عبادة الأصنام من دون الله مبينا لهم أنهم على ضلال وداعيا لهم إلى نبذ آلهتهم التي يدعونها من دون الله ﴿أَفِكَاءُ إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ أكذبا وزورا تريدون آلهة تعبدونها من دون الله مع أنكم تعرفون أنها لا تنفعكم ولا ترد عنكم ضرا ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: ماذا تظنون برب العالمين ألا تخشون أن ينزل عليكم عذابا من فوقكم ومن تحتكم فيهلككم.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ يدل السياق على أن إبراهيم عليه السلام كان يفكر في الوقت الذي يتمكن فيه من تخريب آلهتهم فقليل: إنه كان لقومه عيد يخرجون إليه - كما سبق ذكره - فعرضوا عليه أن يخرج معهم فصار ينظر إلى النجوم مدلا لهم أنه يتعرض لسقم حسبما أوحى به النجوم إليه وأنه لهذا لا يقدر على الخروج معهم فتركوه وخرجوا لعيدهم خوفا من عدوى المرض الذي ادعاه أو أنهم قبلوا عذره وهو معنى قوله ﴿فَنَوَلُّوا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ﴾ أي: ذهب إليها متسللا فوجد عندها أنواع الطعام التي يقدمونها؛ لتباركها الآلهة ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ أي: عرض عليهم الأكل مع أنه عليه السلام يعلم أنهم لا يأكلون زيادة في الاستهزاء أو السخرية بها ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾

أي: لا تتكلمون وهو يعلم ذلك ولكن زيادة في الاستهزاء بها ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ أي: بدأ يضربهم بفأس معه حتى كسر جميع أصنامهم ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ﴾ أي: أقبل عليه عبدة الأصنام مسرعين في خطاهم لإحضاره ومحاكمته فقال لهم متسائلا ومتعجبا ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: كيف تعبدون أحجارا وأخشابا تنحتونها بأيديكم ثم تعبدونها ألستم عقلاء تدركون بعقولكم أن هذه الأصنام لا تنفعكم وتتركون عبادة ربكم الذي خلقكم وخلق آلهتكم من العدم إلى الوجود ؟

وكعادة المشركين والكافرين حينما يغلبهم الأنبياء والمرسلون بالحجج والبراهين يلجؤون إلى الطغيان وهو ما فعله قوم إبراهيم من إيقاد نار عظيمة وألقوه فيها كما قال تعالى حاكياً كيدهم ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ أي: ابنوا له فرنا كبيرا واملؤوه بالنار ثم ألقوه فيه حتى نسلم من دعوته، وقد علم الله مكرهم وكيدهم فقال ﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ أي: شرا بإحراقهم له ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ﴾ أي: جعلناهم الهالكين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن دين نوح ودين إبراهيم دين واحد؛ ذلك أن دين الأنبياء كلهم هو توحيد الله بإفراده بالعبادة وتحريم

الشرك به. وفيها: ثناء الله على إبراهيم لسلامة قلبه من الوثنية التي كان يعيشها أبوه وقومه ومجادلته لهم بالعقل بأن الأصنام التي يعبدونها لا تنفعهم. وفيها: أن الداعي إذا استطاع إنكار المنكر بيده فله ذلك كما قال رسول الله ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)^(١). وفيها: أن الطغاة لا يختلفون في سلوكهم وإن تغيرت وسائلهم حسب الزمان والمكان؛ فإن لم يوقدوا ناراً في الفرن ويلقون فيه المؤمنين كما حدث لإبراهيم عليه السلام فإنهم يشعلون الحروب بمختلف أنواعها.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ ٩٩ ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ١٠٠ ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِعُلْمٍ حَلِيمٍ﴾ ١٠١ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبُنَىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ ١٠٢ ﴿قَالَ يَبُنَىٰ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ ١٠٣ ﴿وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّبِعْهُمَا﴾ ١٠٤ ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ لِلْجَبِينِ﴾ ١٠٥ ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ ١٠٦ ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ ١٠٧ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ١٠٨ ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ١٠٩

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، برقم (٤٩) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٦٢٤.

كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَرَكَنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه لما نجى إبراهيم من النار التي ألقى فيها ويئس من إيمان قومه قال: إنه ذاهب إلى ربه ليهديه، فرحل إلى بلاد الشام ودعا ربه أن يثبته على دينه وأن يرزقه الولد بقوله ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وقد استجاب الله دعاءه؛ فقد سافر مع زوجته سارة إلى مصر، فوهبه حاكمها آنذاك جارية لزوجته سارة تسمى هاجر فوهبتها سارة لإبراهيم، فجعلها سرية له فولدت له إسماعيل كما قال تعالى ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ فهو أول ولد ولد له، وقد أخذ إبراهيم الولد وأمه بعيدا عن زوجته سارة خشية من الغيرة التي تأخذ النساء من ضرائهن فذهب بهما إلى مكة، وعندما استقر بالأم والطفل فيها، رأى رؤيا يأمره الله فيها بذبح ابنه إسماعيل بعدما شب وصار رجلا يطيق العمل والسعي كحال الرجال فقال له ما أخبر الله عنه بقوله ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ أي: أخبره بما يرى ليعرف مدى قبوله وصبره

فكان جوابه عليه السلام لوالده إبراهيم ﴿يَتَأَبَّتْ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ﴾^ط
 أي: أعزم على ما أمرك الله من ذبحي ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ
 الصَّابِرِينَ﴾^ط أي: سوف أحاسب وأصبر لأمر الله وقضائه، وقد صدق
 فعلا فيما قال، فأثنى الله عليه بقوله ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ
 كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(١).

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾^ط أي: فلما استسلم الوالد والولد لأمر الله رغم
 ما تقتضيه عاطفة الأبوة والبنوة ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾^ط أي: وضعه على
 وجهه ليذبحه نودي من خلفه: قد صدقت الرؤيا، فالتفت إبراهيم
 فإذا هو بكبش أبيض أقرن أعين فداء لإسماعيل وهو معنى قوله
 تعالى ﴿وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّيِّرْهُمْ﴾^ط ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ
 نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^ط أي: هكذا نجزي الذين يطيعون أمر ربهم
 ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلَتُ الْمُبِينُ﴾^ط أي: إن هذا هو الامتحان الجلي حيث
 أمر بذبح ابنه فاستسلم لذلك طائعا منقادا لأمر الله لا يتقدم فيه ولا
 يتأخر بل ينفذه كما أمر به ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾^ط أي: فدينا
 إسماعيل بكبش عظيم ذبحه إبراهيم فداء لابنه إسماعيل ﴿وَتَرَكْنَا
 عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾^ط أي: أثينا عليه ثناء جميلا عند الأمم المتتابعة إلى
 يوم الدين ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^ط أي: سلام من الله على إبراهيم على

(١) سورة مريم الآية ٥٤ .

احتسابه واستسلامه لأمر الله وطاعته ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾
 أي: هكذا يجزي الله المحسنين من عباده بالثناء والسلام عليهم
 وإسكانهم جناته ﴿إِنَّهُم مِّنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ ذكر لصفته عليه
 السلام بأنه من عباد الله المؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿وَبَشَّرْنَاهُ
 بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: كما بشرناه بإسماعيل بشرناه
 بإسحاق وأنه سيكون نبيا من عباد الله الصالحين والمعنى واضح
 في أن البشري بالولد الأول كان من هاجر أما البشري بالولد الثاني
 فكان الولد من سارة بعد أن بلغ إبراهيم من العمر تسعاً وتسعين
 سنة ﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ أي: باركنا على إبراهيم وعلى
 إسحاق أي: أنزلت البركة فيهما وفي ذريتهما ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا
 مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ أي: من ذرية إبراهيم وإسحاق
 من هو محسن مؤمن مقتف بسيرتهما في الإيمان بالله وإخلاص
 العبادة له، ومنهم من هو ظالم لنفسه؛ وذلك بارتكاب المحرمات من
 الشرك والكفر وتكذيب الرسل.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب الهجرة من المكان الذي لا يقدر فيه العبد
 على عبادة الله وطاعته إلى المكان الذي يقدر فيه عليها. وفيها: أن
 إسماعيل هو الذي أمر الله إبراهيم بذبحه، وقد ورد النص على هذا

في كتب اليهود؛ إلا أنهم جحدوا ذلك وقالوا: إن المقصود بالذبيح إسحاق وهذا خطأ ظاهر كما أنه واضح من كتاب الله أن المقصود إسماعيل؛ ذلك أن النص على وحي الله لإبراهيم بذبح ابنه جاء قبل البشارة بإسحاق. وفيها: أن إسماعيل عليه السلام يعد الأول من العباد في بر والديه حيث إنه أطاع والده إبراهيم بذبحه رغم ما في الاستجابة له من صعوبة بالغة، وهذا يقتضي وجوب بر الوالدين وطاعتهما في غير معصية كما أمر الله بذلك في كتابه وفي سنة رسوله محمد ﷺ. وفيها: فضل الأضحية ومشروعيتها وهي سنة وليست بواجبة. وفيها: تقرير ثناء الله وسلامه على المؤمنين من عباده وما يعده لهم من الجزاء العظيم.

﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنْ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكْنُؤُوا هُمُ الْفَالِقِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَايَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ ۞ ﴾

بيان الآيات:

﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ لما ذكر الله ما أنعم به

على إبراهيم وأثنى عليه ذكر موسى وأخاه هارون بوصفهما من ذرية إسحاق التي بارك الله فيها فذكر منته عز وجل عليهما بالنبوة والرسالة ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ﴾ أي: نجيناها من قهر فرعون واستعباده ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ أي: نصرنا موسى وقومه على فرعون؛ وذلك باغراقه وجنوده ونجاة موسى وقومه ﴿وَأَيَّدْنَاهُمَا بِالْكِتَابِ الْمُسْتَبِينَ﴾ المراد به التوراة المنزلة على موسى ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: أرشدناهما إلى الحق قولا وفعلًا ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرَبِ﴾ أحدثنا لهما ذكرا حسنا وثناء جميلا في العالمين وهو قوله ﴿سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: نجزيهما كما نجزي كل محسن على إحسانه ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا وصف لهما بأنهما من عباد الله المؤمنين الذين استحقوا جزاءه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير فضل الله على موسى وهارون بالنبوة، وإنزال التوراة ونجاتهما وقومهما من الهلاك الذي اصاب فرعون وجنوده. وفيها: أن النصر والغلبة تكون دائما لعباد الله المؤمنين كما قال تعالى ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ

الْأَشْهَدُ ﴿١﴾. وقوله عز ذكره ﴿وَأَنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ﴿٢﴾.

﴿وَأَنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾
أَنْدَعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ
الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ
﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾.

بيان الآيات:

﴿وَأَنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إيلياس: أحد أنبياء بني إسرائيل
﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ قيل: إن قومه أهل بعلبك المعروفة
حاليا في لبنان، فقد كان لهم بعل يعبدونه فكسره إيلياس^(٣) فكان
يأمرهم بعبادة الله وحده ويقول لهم ﴿أَنْدَعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ
الْخَالِقِينَ﴾ أي: كيف تعبدون صنما وتدعونه وتقدمون له القرابين
وهو لا ينفعكم وتذرون عبادة الله الذي خلقكم ورزقكم ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ
وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: الذي خلقكم وخلق آباءكم، وقد أخبر
الله أنهم لم يستجيبوا لدعوته بقوله ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ أي:

(١) سورة غافر الآية ٥١ .

(٢) سورة الصافات الآية ١٧٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ١١٧ .

كذبوا ما جاءهم به من الهدى فسيحضرون إلى العذاب؛ لقاء شركهم وإنكارهم توحيد الله في ألوهيته ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ هذا استثناء لعباد الله الذين أخلصوا في دينهم فلم يشركوا بالله ولم يعصوه ﴿وَتَرْكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ أي: جعلنا له أثرا وذكرنا حسنا في العالمين ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: سلام من الله على إيلياسين ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: نجزيه على عمله الحسن كما نجزي غيره من المحسنين ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: كانت له هذه المنزلة، لكونه من عباد الله الذين آمنوا به وصدقوه واتقوه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تحريم عبادة الأصنام تحت أي اسم كانت، وأن أي عمل مع الشرك يعد باطلا كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١). وفيها: أن عاقبة مكذبي الرسل العذاب الذي يحضرون إليه يوم القيامة. وفيها: تقرير أن الله يجزي المحسنين على إحسانهم. وفيها: ثناء الله على المؤمنين؛ بسبب تقواهم وخشيتهم وخوفهم منه كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٢).

(١) سورة الزمر الآية ٦٥ .

(٢) سورة الأنفال الآية ٢ .

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لِّمَنِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ١٣٣ ﴿ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴾ ١٣٤
 إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴾ ١٣٥ ﴿ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴾ ١٣٦ ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ
 مُصْبِحِينَ ﴾ ١٣٧ ﴿ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ١٣٨ ﴿

بيان الآيات:

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لِّمَنِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ لما ذكر الله منته على نبيه إبراهيم وذريته ذكر امتنانه بالنبوة على لوط وهو ابن أخي إبراهيم هاران ﴿ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴾ أي: نجاه الله من الهلاك الذي أصاب قومه، لارتكابهم الفاحشة فتحولت بلادهم إلى بحيرة تعرف الآن ببحيرة لوط جهة الاردن كما سبق ذكره ﴿ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴾ المراد بها زوجته، فقد استثناه الله من النجاة؛ لأنها كانت تؤيد قومها في ارتكابهم الفاحشة فأهلكها الله معهم ﴿ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴾ أي: دمر الله قوم لوط فلم يُنج من الدمار إلا لوطاً عليه السلام ومن معه من المؤمنين ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴾ أي: إنكم يا أهل مكة ترون آثارهم في النهار حين تذهبون إلى الشام للتجارة وترون بحيرة لوط أو البحر الميت وكيف أنه بحر لا حياة فيه ولا خير ﴿ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أي: وتمرون عليها بالليل أيضاً أفلا تتفكرون فيما أنتم فيه من الشرك والكفر ولا تعتبرون بما أصاب قوم لوط من الهلاك والدمار.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير إهلاك الله لقوم لوط لقاء ارتكابهم الفاحشة النكراء، وهي إتيان الرجل الرجل مما لم يسبقهم إليه أحد من الأمم مما يجعل فعلهم القبيح مخالفاً لسنة الله في خلقه، حيث جعل النساء للرجال، وحرّم الرجال على الرجال، وكما قلنا من قبل فإن ما يجري في هذا الزمان من شيوع هذه الفاحشة في بعض البلاد وإباحتهم لها يعد ائذاناً بالعقاب كما قال عز وجل ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾^(١). وفيها: أن أساس العلاقة بين العبد وغيره علاقة دين فحسب، فلا قريب يشفع لقريبه، ولا زوج لزوجته أو زوجة لزوجها، فلم ينفع زوجة لوط قربها منه، بل جعلها الله أول الهالكين؛ لأنها كانت تؤيد قومها في فعل الفاحشة. وفيها: وجوب التفكير والتدبر في أحكام الله وآياته وأن ما حدث في الماضي من الهلاك للأمم الظالمة يحدث للأمم الحاضرة أو الأمم القادمة إذا اتبعت الباطل وزاغت عن الحق وعصت الله على بصيرة.

﴿وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾

(١) سورة الإسراء الآية ١٦ .

فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْقَمَمَةُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلِيبَتْ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴿١٤٥﴾ وَابْتَنَّا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ زَيْدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَأَمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾

بيان الآيات:

﴿وَأَنَّ يُونسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ هو يونس بن متى أو ذو النون وقد مضت قصته. قوله ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ أي: هرب من قومه؛ بسبب عدم إيمانهم فوعدهم بالعذاب ولحكمة الله تأخر عنهم العذاب فهرب من قومه في مدينة نينوى من أرض الموصل في العراق، فلما وصل الميناء وجد سفينة تريد الإبحار فركب فيها، وكانت مثقلة بالحمولة، فتوقفت في عرض الماء فعرض رُبَّانُهَا على من فيها إنقاص شحنتها حتى لا تغرق ويغرقوا معها، فاتفق ركبها على إجراء القرعة بينهم ثلاث مرات فكانت القرعة تقع عليه في كل مرة كما قال تعالى ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ أي: فشارك في القرعة فكان من المغلوبين فيها ﴿فَالْقَمَمَةُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: ابتلعه الحوت؛ لأنه أتى بما يلام عليه، وهو مغاضبته لقومه وفراره منهم وعدم صبره عليهم.

﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ ﴿ لَلْبَثِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ أي: لولا أنه قال وهو في بطن الحوت: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لمكث في بطن الحوت إلى يوم القيامة ﴿ فَبَدَّنْهُ بِالْعَرَاءِ ﴾ أي: أخرجناه من بطن الحوت وألقينا به في أرض خالية من النبات ﴿ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ أي: ضعيف في بدنه ﴿ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴾ أي: شجرة القرع لتظله بورقها الناعم وأجرى الله ما أجرى عليه من نعمه حتى شفي من ضعفه ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ أي: أرسل إلى قومه أهل نينوى فلما عاد إليهم وجدهم قد آمنوا بالله وتركوا الشرك به وأخلصوا توبتهم لله فنجاهم الله من العذاب كما قال عز وجل ﴿ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ أي: أبقيناهم إلى آجالهم المسماة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير مشروعية الاقتراع لحسم ما يقع من النزاع بين الخصوم في أمور دنياهم. وفيها: فضل الذكر والدعاء في السر والعلن عند حلول المصائب، فلا أحد يكشف الضر ويدفع الباس ويجلي الغم ويزيل المصائب إلا الله وحده. وفيها: وجوب التعرف إلى الله في الرخاء؛ وذلك بالاكثار من الذكر والتسبيح

والاستغفار وإقامة الصلوات وتجنب المحرمات؛ لأن المشركين كانوا لا يتعرفون إلى الله إلا في حال الشدة كما قال تعالى ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾^(١)؛ أما المؤمنون فيتعرفون إلى الله في الرخاء والشدة كما أمر به رسول الله ﷺ: (تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة)^(٢). وفيها: أهمية غذاء قرع اليقطين فكان رسول الله ﷺ يحب أكل هذه الثمرة^(٣).

﴿فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ ١٤٩ ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ ١٥٠ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهِمْ يَقُولُونَ﴾ ١٥١ ﴿وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ ١٥٢ ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ ١٥٣ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ١٥٤ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ١٥٥ ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ ١٥٦ ﴿فَاتُّوْا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ١٥٧ ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ ١٥٨ ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ ١٥٩ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ ١٦٠ ﴿

(١) سورة العنكبوت الآية ٦٥ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ١ ص ٣٠٧ .

(٣) سنن ابن ماجه، ج ٢ ص ١٠٩٨، كتاب الأطعمة، باب الدباء، برقم (٣٣٠٢) .

بيان الآيات:

﴿ فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ ﴿ لما ذكر الله عز وجل الآيات والبيانات الحكيمة والعقلية الدالة على بعثه الموتى وذكر مناهج الأنبياء والمرسلين قبل رسول الله محمد ﷺ ودعوتهم أقوامهم إلى دين الإسلام، أبطل أعظم كذبة كذبها المشركون في مكة في ادعائهم أن الملائكة بنات الله، نتيجة مصاهرته للجن، فأمر رسوله محمدا ﷺ أن يسأل المشركين موبخا لهم ومنكرا عليهم ادعاءهم بأن البنات لله والبنين لهم: أليس ذلك عارا عليهم أن يفتروا على الله الكذب ولا يستحون فيما يفترونه ؟ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا (فتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا) ﴿ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴾ ﴿ أي: اسألهم كذلك يا محمد على سبيل الإنكار والتوبيخ هل شهدوا خلق الملائكة حتى يقولوا إنهم إناث وسوف يجيبون بالنفي إذن فلماذا يكذبون؟ ﴾ ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴾ ﴿ أي: من كذبهم وظلمهم ﴾ ﴿ وَلَدَ اللَّهُ ﴾ ﴿ أي: جاء منه الولد ﴾ ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ ﴿ في جعل الملائكة بنات الله وجعل الولد لهم وسيلقون جزاء كذبهم وهو الخلود في العذاب ﴾ ﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾ ﴿ أي: دليل يحملهم على أن يقولوا: إن الله اصطفى البنات على البنين؟

﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ هذا الحكم الجائر أليس لكم عقول تفكرون بها؟ ﴿ أَفَلَا نَذْكُرُونَ ﴾ أي: أفلا تذكرون أن الله هو الذي خلقكم وأنه منزّه عن الولد وأنه الأحق بالعبادة وحده ﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: هل لكم حجة فيما تقولونه؟ ﴿ فَاتُّوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أي: هاتوا ما عندكم من كتاب تستندون عليه فيما تقولونه إن كنتم صادقين في ادعائكم.

﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِسْبًا ﴾ أي: نسبوا المصاهرة إلى الله مع الجن فلما قال المشركون: إن الملائكة بنات الله، قال أبو بكر رضي الله عنه: فمن أمهاتهن؟ قالوا: بنات سروات الجن^(١) وهذا غاية الإفك بل وغاية الجنون لهؤلاء المشركين ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ أي: يعلم الجنة أنهم محضرون أمام الله ليجازي كلا منهم بعمله فكيف إذن يكون بينه وبينهم نسب وهو يحاسبهم ﴿ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ أي: تنزهه وتقدس في ذاته وصفاته وأفعاله عما يصفه به الظالمون الكافرون ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ أي: لما كان المشركون المجرمون يصفون الله بما لا يليق به فإن عباده المخلصين لا يصفونه إلا بأحسن الأوصاف كما

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٢٤ .

وصف بها نفسه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١).

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: إبطال كذب المشركين في جعل الملائكة بنات الله ونسبة الولد إليه كما قال تعالى متوعدا لهم ﴿أَفَأَصْفَكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾^(٢). وفيها: رحمة الله بخلقه وتوجيه رسله أن يجادلوهم بالحق والبراهين العقلية لكي يقنعوهم بالإيمان بالله حتى يسلموا من عذابه كما قال تعالى ﴿وَجَدِلْهُمْ بِلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٣).

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾^(١٦١) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفِتْنَيْنِ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مَنَّا إِلَّا لَهُ، مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكْفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾

بيان الآيات:

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ هذا خطاب للمشركين والمراد أنكم وأصنامكم وأوثانكم لن تضلوا أحداً إلا من كتب الله عليه الشقاوة؛ بسبب افتتانه

(١) سورة الشورى من الآية ١١ .

(٢) سورة الإسراء الآية ٤٠ .

(٣) سورة النحل من الآية ١٢٥ .

بكم واتباعه لكم وهو معنى قوله ﴿مَا أُنْتَرُ عَلَيْهِ بِفَتْنَيْنِ﴾ ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ قوله ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ، مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ هذا بيان من الله عن الملائكة وتنزيههم عما نسبته المشركون إليهم فكلهم له مقام عند الله وهو طاعة ربهم والوقوف صفوفًا لأداء هذه الطاعة والتسبيح بحمده كما قال تعالى عنهم ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾.

قوله ﴿وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾ أي: المشركون من قريش ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: لو أنزل علينا كتاب من كتب الأولين كالطوراة والإنجيل ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: لعبدنا الله حق عبادته ولم نشرك به أحدا ﴿فَكَفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ أي: كفروا بالقرآن الذي جاءهم من عند الله فسوف يعلمون سوء عاقبة كفرهم وتكذيبهم به.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن أحدا لا يقدر أن يضل أحدا إلا من أضله الله؛ بسبب غلبة الشقاوة عليه لكفره كما قال تعالى عن هذا النوع من البشر ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ

أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١﴾. وفيها: الحكم بأن الملائكة يعبدون الله ويطيعونه ويسبحون بحمده. وفيها: تقرير كذب المشركين في أنه لو أنزل الله عليهم كتابا لآمنوا به كما قال تعالى ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ ﴿٢﴾. ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهْدًى وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِعَايَةِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ ﴿٣﴾. وفيها: الحكم بعقاب الله للمكذبين بالقرآن.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفِعْذَابِنَا يُسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

(١) سورة الأعراف من الآية ١٧٩ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٥٦ .

(٣) سورة الأنعام الآية ١٥٧ .

بيان الآيات:

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾ هذا بيان من الله لنبيه
ورسوله محمد ﷺ أن النصر له كما كان للمرسلين من قبله كما
قال عز وجل ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ
عَزِيزٌ ﴾ (١). ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴾ أي: إن النصر قد كتب لهم
كما قال عز وجل ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (٢). ﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ أي:
أن العاقبة لهم في النصر والغلبة على أعدائهم ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى
حِينٍ ﴾ أي: أعرض عنهم واصبر على أذاهم حتى يأذن الله فيهم
بأمره ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ ﴾ أي: انتظرهم فسوف يبصرون
ما يحل بهم من العذاب ﴿ أَفِعْذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ هذا إنكار من
الله عليهم في استعجالهم عذاب الله استهزاء به وما يدرون أنه
ينزل بهم بغتة وهم لا يشعرون كما نزل بمن قبلهم من الأمم
﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ أي: إذا حل العذاب
بديارهم فبئس الصباح صباحهم ﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴾
﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ ﴾ تأكيد لما تقدم ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ

(١) سورة المجادلة الآية ٢١ .

(٢) سورة غافر الآية ٥١ .

الْعِزَّةُ ﴿﴾ هذا عود للرد على ما افتراه المشركون من جعل الملائكة بنات لله ونسبتهم له الولد أي: تنزهه وتقدس فله العزة التي لا ترام ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي: تنزهه عما يصفه الظالمون المعتدون ﴿وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: سلام من الله على عباده المرسلين الذي أرسلهم لدعوة خلقه إلى توحيده ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: له الحمد والثناء على ما أنعم به على أوليائه من النصر والتمكين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن النصر وحسن العاقبة سيكون لدين الله لا محالة؛ لأنه نور الله إلى خلقه وقد قضى الله وقضاؤه الحق أن هذا الدين ظاهر إلى قيام الساعة كما قال عز وجل ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(١). وفيها: وجوب التسبيح بحمد الله سرا وعلانية، فهو المحمود على ما قدر، وهو المنزه والمقدس عما يقول الظالمون ويصفون وله الحمد في الأولى والآخرة، وهو الأول والآخرة والظاهر والباطن.

(١) سورة التوبة الآية ٣٣.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة ص

مكية وآياتها ثمان وثمانون آية

﴿ صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ١ ﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَا تَجِئْ بِآيَاتٍ كَمَا كُنْتَ تَجِئُ ٣

بيان الآيات:

﴿ صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ ﴿ صَّ ﴾ من الحروف المقطعة والله أعلم بمراده منها. والقرآن ذي الذكر أي: هو ذكر عظيم في ذاته، وذكر فيه نفع للعباد يذكرهم بما أمرهم الله به وما نهاهم عنه، ويذكرهم بما فيه بشرى لهم إذا أحسنوا وما فيه نذارة لهم إذا أساءوا فهو في ألفاظه ومعانيه وحروفه وكلماته خير لعباد الله ورحمة لهم ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ أي: أن الكافرين في استكبار عن سماع القرآن والإيمان به، وهم في شقاق معه؛ لأنه يهديهم إلى الحق وهم لا يريدون إلا الباطل وهم كذلك في عداوة وشقاق مع رسول الله ﷺ حين اتهموه بالكذب والكهانة والشعر ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ﴾ أي: كم من أمم أهلكناها قبلهم لما كذبوا رسلهم وكفروا بما جاؤوهم به من البينات ﴿ فَنَادَوْا وَلَا تَجِئْ بِآيَاتٍ كَمَا كُنْتَ تَجِئُ ﴾ أي: لما رأوا

العذاب، نادوا مستغيثين يريدون الرجوع إلى الدنيا ليتوبوا ويعملوا صالحا ولات حين مناص أي: ليس لهم حينئذ مهرب يهربون إليه، ولا ملجأ يلجؤون إليه، بل يلاقون العذاب الذي كانوا يستعجلونه استهزاء وتكديبا به.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم أن القرآن هو كتاب الله المنزل على نبي الله ورسوله محمد ﷺ، وأنه ذكر لعباد الله يهديهم إلى البر، وإلى كل ما فيه نفع لهم في دنياهم وأخراهم. تقرير: أن عداوة الكفار لرسول الله ﷺ، وإنكارهم لما جاء به كانت بسبب كبريائهم، وإلا فهم يعلمون أنه أمين، وأنه رسول من عند الله. تقرير: هلاك الكافرين من الأمم السابقة بسبب تكذيبهم لرسولهم.

﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ٤ أَجْعَلُ الْأَلْهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ٥ وَأَنْطَلَقُ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ٦ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ٧ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ٨ أَمْرٌ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ٩ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ١٠ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ١١﴾

بيان الآيات:

﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ أي: عجب كفار قريش أن جاءهم رسول منهم ينذرهم ويحذرهم مما يحل بهم من العذاب كما حل بالأمم قبلهم ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ﴾ أي: ما هذا إلا متعاط للسحر كذاب فيما يقول يقصدون رسول الله ﷺ وهم يعرفون أنهم الذين يكذبون ويفترون الكذب.

﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ أي: كيف يزعم أنه ما في الوجود إلا إله واحد إن هذا لقول في غاية العجب والاستغراب. لقد قالوا قولهم هذا بعد اجتماعهم برسول الله ﷺ عند عمه أبي طالب حين طلبوا من عمه أن ينصحه بالكف عن شتم آلهم، فلما ذكر له عمه ما يقولون قال عليه الصلاة والسلام: (ما أريد منهم إلا كلمة واحدة يقولونها وحينئذٍ سوف تدين لهم العرب والعجم) فقالوا: ماهي؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (لا إله إلا الله) فقاموا من مجلسهم غاضبين ويقولون: أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب^(١).

﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ أي: رؤسائهم ﴿أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهِتِكُمْ﴾ أي: امشوا على دينكم ودين آبائكم واصبروا على ما أنتم

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٥٨٣، وتفسير البغوي ص ١١٠٥.

فيه من عبادة آلِهتكم وإياكم أن تسمعوا لما يقوله لكم ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ﴾ أي: إن مراد محمد من دعوته أن يكون كبيرا عليكم يرأسكم ويستعلي عليكم ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ أي: ما سمعنا بما يدعو إليه محمد في ملة النصارى ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَخْلَقُ﴾ أي: أمر اختلقه من نفسه ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ أي: أيعقل أن ينزل عليه القرآن من بيننا كلنا؟ وما الذي يجعله يختص بهذا دوننا؟ ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ أي: أنهم في ريب من القرآن الذي أنزل على محمد ﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ﴾ أي: قالوا هذا الكذب؛ لأنهم لم يذوقوا عذاب الله، بل هم يستعجلونه استهزاء ولو ذاقوه لآمنوا ولما قالوا قولهم هذا.

﴿أَمْرٌ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ لما قال المشركون قولهم وكذبهم أنكر الله عليهم ذلك مبينا أنه المالك لما في السموات والأرض ومن فيهن وأنه المتصرف في خلقه المدبر لهم فهل عند هؤلاء يا محمد خزائن رحمة ربك العزيز بقوته الوهاب لنعمه وفضائله ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: هل لهم ملك السموات والأرض وما بينهما، فإذا كان لهم هذا ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ أي: فليصعدوا إلى السماء إن كانوا قادرين ﴿جُنُودٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ أي: هؤلاء ليسوا إلا جندا حقيرا،

لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا، فهم مهزومون لا يستطيعون نصرا لهم ولا لغيرهم كما حدث لهم يوم بدر ويوم فتح مكة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير عداة المشركين لرسول الله ﷺ، وتكذيبهم له وإنكارهم لنزول القرآن وتعجبهم مما يقول كما قال عز وجل ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾^(١). وفيها: تقرير سفاهة المشركين ونقص عقولهم في عدم إدراك وحدانية الله في ألوهيته واستغرابهم لوجود إله واحد. وفيها: تقرير تحدي الله لهم؛ لإظهار نقصهم وعجزهم كما قال تعالى ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾^(٢). وفيها: أن المكذبين لرسول الله وما جاء به ما هم إلا جند مهزوم في نفسه وعقله، وأن هذا الجند سيلاقي أشد العذاب يوم القيامة، هذا هو قول الله وقوله الحق فما من أحد في ماضي الزمان أو حاضره أو مستقبله يكذب رسوله إلا وماله إلى الهزيمة في الدنيا والعذاب في الآخرة.

﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ﴾ ١٢ ﴿ وَثَمُودُ وَقَوْمُ

(١) سورة يونس الآية ٢ .

(٢) سورة النساء الآية ٥٣ .

لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ ۖ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ
 فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيَّحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ
 ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قِطْنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ
 وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ۚ إِنَّهُ ۖ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ
 بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ ۖ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ
 وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾

بيان الآيات:

﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ لما ذكر الله عزوجل مقولتهم عن رسوله محمد ﷺ واتهامه بالسحر قال مسليا ومعزيا له بأنه ليس أول من كذبه قومه، فقد كذبت أمم رسلها فكذب قوم نوح نبيهم وكذبت عاد نبيها هودا، وكذب فرعون ذو الأوتاد^(١) موسى وأخاه هارون ﴿وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ﴾ أي: وكذبت تمود نبيها صالحا، وكذب قوم لوط نبيهم، وكذب أصحاب الأيكة أي: الغيضة نبيهم شعيبا ﴿أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ فهذه الأمم كلها كذبت أنبياءها ورسلها وآذوهم فصبروا على دعوتهم فعاقب الله المكذبين

(١) قال الضحاك: كان كثير البنيان والبنيان يسمى أوتادا وعنه: ذو القوة والبطش. وقال مقاتل بن سليمان: كان يأخذ الرجل فيمده بين أربعة أوتاد، ووجهه إلى السماء وكان يوثق كل رجل إلى سارية مستلقيا بين السماء والأرض فيتركه حتى يموت. انظر: تفسير الضحاك ج ٢ ص ٧١٦-٧١٧، وتفسير مقاتل بن سليمان ج ٣ ص ١١٤.

منهم بالهلاك، ونجى برحمته المؤمنين منهم كما قال تعالى ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ قوله ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيَّحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ أي: لا يحتاجون إلا صيحة أي: نفخة ينفخها إسرافيل في الصور مالها من فواق أي: لا تتوقف فيلاقون حينئذ أشد العذاب ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قُتْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ أي: قال المشركون استهزاء وتكديبا: عجل لنا قطنا أي: نصيبنا من الخير أو الشر في الدنيا.

لما استبعد المشركون البعث والعذاب وطلبوا من الله أن يعجل لهم الخير أو الشر أمر الله رسوله محمدا ﷺ أن يصبر عليهم بقوله تعالى ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ أي: اقتد بداود القوي في الدين والعلم ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أي: رجاع إلى الله تعالى في جميع أحواله ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ هذا من إنعام الله وإفضاله على داود، حيث سخر الجبال تسبح معه في الصباح والمساء ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ أي: تسبح معه ﴿كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ أي: كل من الجبال والطير مطيع له يسبحون بتسبيحه ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ أي: قوينا ملكه بجميع أسباب القوة ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ أي: آتيناه النبوة والقوة في الفهم والإدراك ﴿وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ أي: الفصل بين الخصوم في قضاياهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: البيان من الله لرسوله بأنه ليس أول من كذب من الرسل، بل إن أمما عديدة كذبت رسلها فحق عليهم العذاب. وفيها: الأمر له بالصبر على ما يناله من الأذى من قومه؛ لأن من أسس دعوة الرسل الصبر في دعوتهم حتى يأتيهم نصر الله كما قال تعالى ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾^(١). وفيها: تهديد الله للمشركين، وأن أمرهم لا يحتاج إلا إلى صيحة واحدة من إسرافيل في الصور، أو تعجل لهم العقوبة في الدنيا، وقد حدث لهم ذلك حين هلك رؤساؤهم في معركة بدر، وانهزموا أذلاء صاغرين يوم فتح مكة. وفيها: تقرير حماقة المشركين وسفاهتهم وطلبهم تعجيل نصيبهم من السعادة والشقاوة في الدنيا استبعادا لما جاءهم به رسول الله ﷺ من النذر.

وفي هذه الآيات: وجوب الاقتداء بالسلف الصالح في سلوكهم كما قال تعالى ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾^(٢). وقوله عز ذكره ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾^(٣). وفيها: فضل صلاة الضحى وفي ذلك: حديث أبي هريرة رضي الله

(١) سورة الأحقاف من الآية ٣٥ .

(٢) سورة الممتحنة من الآية ٤ .

(٣) سورة الممتحنة من الآية ٦ .

عنه قال: أوصاني خليلي^(١) بثلاث: بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أنام^(٢). وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى)^(٣).

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصَمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۖ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۖ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِيَ نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۖ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجِّكَ إِلَى نِعَاجِهِ ۖ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۖ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۗ فَغَفَرْنَا لَهُ ۖ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ۖ﴾

(١) الخليل الصديق الخالص الذي تخللت مودته القلب فصارت في خلاله أو من أصفى المودة وأصحها. القاموس المحيط ص ١١٨٥، والمعجم الوسيط ج ١ ص ٢٥٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب صيام البيض، برقم (١٩٨١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٤ ص ٢٦٦.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة الضحى. برقم (٧٢٠)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ٢١٧٠.

بيان الآيات:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبُوءُ الْخَصَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ ما زال السياق في ذكر داود والمراد هل أتاك يا محمد قصة الخصم الذين تسوروا على داود وهو في المحراب يعبد الله؟ قيل: إن داود عليه السلام أذنب ذنبا فاختره الله حيث أرسل له ملكين يختصمان عنده، فدخلوا عليه من غير الباب ففزع منهم أي: خاف منهم فقالوا له: لا تخف نحن خصمان نريد التحاكم عندك في خلاف بيننا وهذا معنى قوله تعالى ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ﴾ ﴿بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ أي: اعتدى أحدهما على الآخر ﴿فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ أي: احكم بالحق، ولا يكون حكمك فينا جائرا ﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ أي: ارشدنا إلى الطريق السوي الذي لا ميل فيه.

ثم أخذ أحدهما يقص قضيته بقوله ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ أي: هذا خصمي أخي في الدين طلب مني أن أملكه نعجتي الوحيدة ليضمها إلى نعاجه الكثيرة ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ أي: غلبني بالكلام، وأخذ نعجتي فاحكم بيني وبينه بالحق؛ فلما سمع داود كلامه تعجل في الحكم قبل أن يسمع كلام خصمه بقوله ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجَّتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾ أي: ما فعله خصمك يعد ظلما لك ثم بين أسباب حكمه بقوله ﴿وَإِنَّ

كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴿١٠﴾ أَي: إن كثيرا من الشركاء
 ليجور بعضهم على بعض ﴿١١﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿١٢﴾
 أَي: لا يستثنى من هؤلاء الشركاء إلا المؤمنون، فإنهم منزهون عن
 التجاوز على بعضهم ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴿١٤﴾ أَي: وهؤلاء قليلون. وبعدما
 سمع الخصمان حكمه ذهبا إلى حيث أتيا، فعندئذ تنبه داود لما حدث
 منه حيث قضى بسماع كلمة أحد الخصمين ولم يسمع الآخر فعرف
 أنه فتن بهذا الحكم فاستغفر ربه كما قال تعالى ﴿١٥﴾ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا
 فَتْنَتْهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ ﴿١٦﴾ قوله ﴿١٧﴾ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿١٨﴾ أَي: سجد يطلب
 المغفرة من ربه، والعفو عن الذنب الذي أصابه منييا إلى الله يطلب
 منه التوبة والصفح عن ذنبه وقد استجاب الله له بقوله ﴿١٩﴾ فَغَفَرْنَا
 لَهُ ذَٰلِكَ ﴿٢٠﴾ أَي: غفرنا له ما حدث منه ﴿٢١﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ
 مَآبٍ ﴿٢٢﴾ أَي: له عندنا قربة ومرجع في الدار الآخرة في النعيم مع
 النبيين والمرسلين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير قاعدة أساسية في الفصل بين الخصوم
 وهي أنه يحرم على من يقضي بين الناس أن يحكم قبل أن يسمع
 كلام الخصوم كلهم، وهذا يقتضي إجراء العدل بينهم في التخاصم فلا
 يميل مع أحدهم دون الآخر في المجلس أو التخاطب أو حتى في مجرد

النظرة بين هذا وذاك لقول الله عز وجل ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(١). وفيه قول رسول الله ﷺ: (إن المقسطين عند الله على منابر من نور)^(٢). وفيها: أنه يجب على العبد التوبة إذا ارتكب ذنبا في حق الله أو في حق العباد؛ فالتوبة في حق الله: الإقلاع عن الذنب والندم عليه والعزم على عدم العودة إليه، أما في حق العباد فوجوب أداء حقوقهم إليهم أو طلب العفو منهم. ومن الأحكام: جواز القضاء في المسجد، فقد كان رسول الله ﷺ يقضي في المسجد وكان الخلفاء والولاة يفعلون ذلك.

﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾^(٣)

بيان الآية:

﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ لما قبل الله استغفار داود، وأنه خلف لمن قبله في الحكم أمره أن يحكم بالعدل بين الناس ولا يتبع الهوى كما قال ﴿فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: يضلك ويطغيك الهوى وهو هوى النفس

(١) سورة المائدة من الآية ٤٢ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية . برقم (١٨٢٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٨ ص ٥١٠١ .

وميلها وفي هذا خراب الأرض وفساد العباد؛ لأن فطرة الله التي فطر الناس عليها تقتضي حكماً وعقلاً إقامة العدل بين الناس فلا يجور بعضهم على بعض في أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أي: أن الذين يصرفون الناس عن الحق والعدل والإيمان سينالون العذاب الأليم ﴿بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ أي: بسبب نسيانهم لأحكام الله وشرعه ونسيانهم ليوم القيامة وما فيه من الحساب والجزاء.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بوجوب العدل بين الناس، وهذا لا يتأتى إلا بتحكيم شرع الله فيهم كما جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله محمد ﷺ، فكل حكم خرج عن هذين الأصلين فهو اتباع للهوى وجور وظلم لا تقوم لأهله قائمة ولو قامت لهم حيناً فإنما هو ابتلاء لهم يستدرجهم الله قبل أن يقضي فيهم بقضائه. وفيها: تحريم اتباع الهوى كما قال تعالى لنبيه محذراً له من أصحاب الهوى ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾^(١). وقد جعل الله الهوى بمثابة الإله لأصحابه فقال ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً

(١) سورة الكهف من الآية ٢٨ .

فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾. وفيها: أنه لا يجوز للحاكم أن يحكم بعلمه، فقد جاءت امرأة إلى عمر رضي الله عنه فقالت: احكم لي على فلان فإنك تعلم مالي عنده فقال: إن أردت أن أشهد لك فنعم، أما الحكم فلا^(٢). وفيها: أن الله توعّد بالعذاب الذين يضلون عن سبيله باتباعهم الهوى في سلوكهم وأحكامهم.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ ﴿٢﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٣﴾ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٤﴾

سورة ص

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطِلًا﴾ أي: ما خلقنا السموات والأرض عبثاً، وذلك تكذيب للمشرّكين، وإبطال لزعمتهم، وإنما خلق الله السموات والأرض لحكمة، وخلق الخلق ليعبدوه ويطيعوه ثم يجازيهم على طاعتهم أو معصيتهم ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: هذا ظن الكافرين الذين ظنوا ما لا يليق بجلال الله وعظمته وحكمته في خلق السموات والأرض ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ أي: ويل لهم

(١) سورة الجاثية الآية ٢٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ١٩١ .

يوم القيامة حيث يحشرون في واد في جهنم ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ هذا رد على منكري البعث وغيرهم ممن يقولون: إن الصالح والفاقد سواء في الجزاء فسخر الله منهم وقال بأنه ليس من حكمته ولا من عدله أن يساوي بين المؤمن الصالح وبين المفسد في الأرض. وليس من حكمته ولا من عدله أن يساوي بين المتقي والفاقد، فحاشا الله أن يفعل ذلك، بل يجازي المؤمن والتقي على إيمانه وتقواه ويجازي المفسد والفاقد على فساده وفجوره فهذا هو حكم الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(١).

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ﴾ أي: هذا القرآن الذي أنزلناه على رسولنا كتاب فيه بركة ونفع وخير وهدى لأولياء الله المتقين، فمن صدقه وتمسك به حصلت له السعادة، ومن كذب به حصلت له الشقاوة ﴿لِيَذَّبَرُوا ءَايَاتِهِ﴾ أي: أنزلناه إلى العباد؛ لكي يدبروا آياته ويدركوا مافيه من الأحكام التي تنفعهم في دنياهم وأخراهم إذا عملوا بها ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أي: يتذكر أصحاب العقول السليمة ما في الكتاب من الأوامر التي تأمرهم بما فيه خير لهم وتنهاتهم عما فيه شر لهم. وقد خص الله عزوجل بهذه الميزة أهل العقول الصحيحة، أما أصحاب العقول السقيمة فهم لا

(١) سورة المائدة من الآية ٥٠.

يتدبرون ولا يتذكرون كما قال الله فيهم ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(١).

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير كذب من زعم أن السموات والأرض خلقت عبثاً، وأنه لا يزعم هذا إلا الكفرة الماردون، فتعالى الله وتنزه عما يقول الظالمون. وفيها: تقرير عقوبة الكفار المكذبين بالبعث حيث يحشرهم الله في واد في جهنم بعيد القعر. وفيها: تقرير عدل الله في قضائه وحكمه حيث يجازي كلا بما عمل، فيجازي المحسن على إحسانه، ويجازي المسيء على إساءته كما قال تعالى ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٢). وفيها: وجوب تدبر آيات الله في كتابه العزيز؛ لما فيه من البركة والهدى لأصحاب العقول الصحيحة الذين يدركون أن الله ما أنزله إلا وفيه خيرهم في دنياهم وآخرهم.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ^(٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ^(٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ^(٣٣).

(١) سورة الفرقان من الآية ٤٤ .

(٢) سورة الكهف من الآية ٤٩ .

بيان الآيات:

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَنَ نِعَمَ الْعَبْدِ﴾ أي: ومن نعمنا على داود أن وهبنا له ابنه سليمان، وجعلناه نبيا، فهو نعم العبد الصالح ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أي: كثير الطاعة والإنابة لله ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾ أي: عرض عليه سواس الخيل الصافنات وهي الخيول التي تقف على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة، والجياد السوابق في السير ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ المراد أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر، فندم على ذلك فصلى العصر ثم قال ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ أي: أخذ يقطع سوقها وأعناقها بالسيف هكذا قاله غير واحد من المفسرين^(١) وقال آخرون: المراد أنه مسح أعرافها وعراقيبها حبًّا لها^(٢) ولعل القول الأول أصح.

١. كلام وهبنا لداود سليمان.

في هذه الآيات: تقرير أن الله يهب الولد الصالح من يشاء من عباده، وللعبد أن يطلب من ربه ذلك كما دعا زكريا ربه أن يهبه ابنا يلي الأمر من بعده كما قال عز وجل ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾^(٣).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، ج ٣ ص ١١٨، وتفسير البغوي ص ١١١٣.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٢ ص ١٥٦.

(٣) سورة مريم الآية ٢.

إلى قوله ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأَىٰ وَكَانَتْ أَمْرًا نِي عَاقِرًا﴾^(١). وقد استجاب الله له فبشره بيحيى
فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿١﴾. وقد استجاب الله له فبشره بيحيى
كما قال عز وجل ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ
سَمِيًّا﴾^(٢). وفيها: أن الله أطلق الخير على الخيل لقوله ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ
حُبَّ الْخَيْرِ﴾ ووصفها بذلك؛ لكونها ترابط في سبيل الله، وهذا
يقتضي أن أي سلاح من طائرات وسفن وصواريخ يرصد ويجهز
من أجل حماية دين الله ورد كيد أعدائه يوصف بالخير إذا كان هذا
هو الهدف. أما إذا كان المراد منه مجرد الاستعراض أو الزينة أو
التباهي به فلا خير فيه.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾^(٣٤) قَالَ
رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾
فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينُ كُلٌّ
بَنَاءٌ وَغَوَاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ
أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّعَآبٍ ﴿٤٠﴾

بيان الآيات:

ما زال السياق في قصة داود وسليمان وما أعطاهما الله من النبوة

(١) سورة مريم الآية ٥ .

(٢) سورة مريم الآية ٧ .

والعلم فقوله ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ أي: ابتليناه ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ قيل: في الجسد عدة أقاويل لا تخلو من الإسرائيليات؛ لأن الله لم يبين حقيقة هذا الجسد، والمفسرون في ذلك على عدة أقوال؛ فقليل: إن المراد بالجسد شيطان ألقى الله شبه سليمان عليه، وكان هذا الشيطان ماردا من أشد الشياطين فتحيل على سليمان حتى ظفر بخاتمه من إحدى نسائه فقام أربعين يوما على ملك سليمان وسليمان مختفٍ حتى رد الله عليه خاتمه وملكه^(١). وأصح هذه الأقوال ما رواه أبو هريرة في صحيح البخاري، قال رسول الله ﷺ: (قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه: قل إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، وإيم الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون)^(٢). وهذا الحديث جاء في معنى القصة أو الخبر، وليس في معنى التفسير للآية.

ولأن الله لم يبين هذا الجسد، فيجب التوقف عند تفسير هذه الآية ولكن المؤكد أن سليمان ارتكب ذنبا بدليل قول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٢ ص ١٥٨، والجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ١٩٩.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، برقم (٦٦٣٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١١ ص ٥٣٣.

فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ﴿١﴾ وقوله ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ أي: رجع إلى الله تعالى وطلب
 المغفرة لما حدث منه ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ
 مِّنْ بَعْدِي﴾ أي: أومن عليّ بملك ليس لأحد من البشر مثله ﴿إِنَّكَ أَنْتَ
 الْوَهَّابُ﴾ أي: أنت المعطي الواهب المنان، وقد قبل الله دعاءه بقوله
 عز ذكره ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي:
 سخر له الريح التي تحمل ما يريد، وذلك تعويضا عن الخيل التي
 عقرها تقربا إلى الله، لتسببها في تأخيرها للصلاة ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ
 وَغَوَّاصٍ﴾ كما سخر الله له شياطين الجن فمنهم: من يستعمله في
 البناء والأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر ومنهم: من يستعمله
 في الغوص؛ لإخراج اللآلئ من البحر ﴿وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾
 أي: موثوقين في الأغلال حبسا لهم؛ بسبب تمردهم وعصيانهم أو
 سوء أعمالهم ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: هذا
 عطاؤنا لك يا سليمان فامنن أي: اعط من شئت وامنع من شئت
 بغير رقيب منا عليك ﴿وَإِنَّ لَهُ، عِنْدَنَا لَظُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ﴾ أي: له قربة
 ومنزلة يوم القيامة .

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب ذكر المشيئة عند الرغبة في إجراء عملٍ ما
 لأن الله مالك الأشياء ومسخرها، والعبد لا يقدر على شيء إلا إذا أراد

الله ذلك كما قال عز وجل ﴿ وَلَا نَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾^(١). ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾^(٢). وفيها: وجوب التوبة من كل خطيئة يرتكبها العبد كما قال عز وجل ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٣). وفيها: تقرير قدرة الله في تسخير المخلوقات وتوجيهها حسب حكمته وإرادته كما سخر الريح والشياطين لسليمان، وما نراه في هذا الزمان من فتح باب العلم على البشر وما أدى إليه ذلك من تقدم كبير في الصناعات ما هو إلا فتح من الله وتسخير بعض مخلوقات الله لنفعهم كلهم.

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۚ ۝٤١ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝٤٢ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝٤٣ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ ۚ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝٤٤ ﴾

بيان الآيات:

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ ﴾ في هذا: تذكير من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ بما حدث لنبي قبله هو أيوب عليه السلام أحد أحفاد

(١) سورة الكهف الآية ٢٣ .

(٢) سورة الكهف الآية ٢٤ .

(٣) سورة النور من الآية ٣١ .

إبراهيم الخليل عليهما السلام، فقد ابتلاه الله بالمرض الشديد فلم يسلم من جسده إلا قلبه، وقد صبر على ذلك محتسبا الأجر عند ربه ولما بلغ به المرض مبلغه وطال به نادى ربه أن يكشف عنه ضره كما قال تعالى ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ النصب: سقم الجسد، والعذاب: ذهاب المال، وقد نسب ذلك إلى ما كان يلحقه من وساوس الشيطان، وفي الآية الأخرى ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾^(١).

وقد استجاب الله دعاءه حيث أمره بتحريك رجله على الأرض لينبع له ماء يغتسل ويشرب منه؛ ليذهب عنه مافيه كما قال عز وجل ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ وقد فعل ما أمره الله به فشفي من جميع أسقامه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ أي: رد الله عليه أهله وولده وضاعفهم له ﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾ أي: رحمة به جزاء صبره على ما أصابه في نفسه وأهله وولده ﴿وَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ أي: في هذا عظة وعبرة لأصحاب العقول؛ ليعرفوا أن الله يعوض الصابرين ويرحمهم ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ﴾ كانت زوجة أيوب عليه السلام هي الوحيدة القائمة على خدمته فحصل منها تقصير فحلف أن يضربها مائة مرة، فلما عافاه

(١) سورة الأنبياء من الآية ٨٣ .

الله أمره أن يضربها بضغث، وهو عذق النخل فيه مائة شمراخ برا
بيمينه ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ﴾ هذا ثناء من الله على أيوب
بسبب صبره وعدم ضجره وضيقه مما حل به من المرض وفقد الولد
والمال ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أي: رجاع إلى ربه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير ابتلاء الله لأحد عباده، إما بالمرض في نفسه
أو في ولده أو في أهله؛ ليعرف مدى صبره واحتسابه فيعوضه الله
بما هو خير مما فقدته والعبد فيما يصيبه إما صابر محتسب، وإما
جزع، وكل يجزى بقدر ما عمل، وقد عظم الله أجر الصابرين كما
قال عز وجل ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(١). ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ
قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٢). ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ
وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾^(٣). وفي الحديث أن رسول الله
ﷺ قال: (عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا
للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر
فكان خيرا له)^(٤). وقد نهى عليه الصلاة والسلام عن الجزع، فلما

(١) سورة البقرة من الآية ١٥٥ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٥٦ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٥٧ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب المؤمن أمره كله خير، برقم (٢٩٩٩)، صحيح مسلم بشرح
النووي ج ١١ ص ٧٢٧٨ .

مر على امرأة تبكي عند قبر قال لها: (اتقي الله واصبري) فقالت:
إليك عني فإنك خلو من مصيبتني، قال: فجاوزها ومضى فمر بها
رجل فقال: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قالت: ما عرفته، قال: إنه
لرسول الله ﷺ. قال: فجاءت إلى بابه فلم تجد عليه بواباً فقالت:
يا رسول الله والله ما عرفتك. فقال النبي ﷺ: (إن الصبر عند أول
الصدمة) ^(١). وفيها: أن الكفارة تجب على من يحنث في يمينه كما قال
تعالى ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ
الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ
أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةُ
أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ الآية ^(٢).

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ ^(٤٥)
إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ^(٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ
الْأَخْيَارِ ^(٤٧) وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ^(٤٨)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ أي: اذكر يا نبينا محمد

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب ما ذكر أن النبي ﷺ لم يكن له بواب، برقم (٧١٥٤)،
صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ١٤٢.

(٢) سورة المائدة من الآية ٨٩.

أنبياءنا الذين قصصنا عليك سيرهم وما تعرضوا له من الأذى لقيامهم بالدعوة ﴿أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَارِ﴾ أي: أصحاب القوة في العبادة والطاعة والبصيرة في الدين ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ﴾ أي: اختصاصناهم بميزة هي ﴿ذِكْرَى الدَّارِ﴾ أي: تذكرهم دائما للدار الآخرة وعملهم من أجلها وتذكير الناس بها للعمل من أجلها ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ أي: إنهم من المختارين الأخيار الذين جبلت نفوسهم على الخير ﴿وَأَذْكُرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ﴾ أي: اذكر يا محمد هؤلاء الأنبياء ﴿وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ﴾ أي: كل منهم اختاره الله للنبوّة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب القوة في الدين على بصيرة، فالإيمان لا يتحقق مع الضعف، والدين لا يظهر مع الذل، كما قال تعالى في وصف رسوله محمد ﷺ والمؤمنين معه ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾^(١). وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)^(٢) وقد استنبط الفقهاء من ذلك: أن الحاكم القوي الفاسق خير من الحاكم

(١) سورة الفتح من الآية ٢٩ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله، برقم (٢٦٦٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٧٢٩ .

المؤمن الضعيف؛ لأن قوة الأول للأمة وفسقه عليه، وضعف الثاني ضعف للأمة وإيمانه له.

﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ ٤٩ جَنَّتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمْ
 ٥٠ الْمُتَكِينِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿ ٥١ ﴾
 وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَتُ الطَّرْفِ أَنْزَابٌ ﴿ ٥٢ ﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿ ٥٣ ﴾
 إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿ ٥٤ ﴾ .

بيان الآيات:

﴿ هَذَا ذِكْرٌ ﴾ أي: هذا الذي قصصناه عليك يعد ذكراً لمن يريد أن يتذكر ويتفكر بما أعدّه الله للمؤمنين من عباده. ﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ لما ذكر جل وعلا حال الأنبياء وما اختصهم به من المزايا بسبب طاعتهم ودعوتهم إليه ذكر أن للمتقين من المؤمنين والمؤمنات حسن المآب أي: المرجع إليه يوم القيامة ثم بينه تعالى بقوله ﴿ جَنَّتٍ عَدْنٍ ﴾ ﴿ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾ أي: مشرعة لهم يدخلونها بسلام ﴿ مُتَكِينِينَ فِيهَا ﴾ أي: على السرر ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾ أي: يطلبون فيها ما يشاؤون من الفواكه والمشارب ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَتُ الطَّرْفِ ﴾ أي: الزوجات اللاتي حبسن أبصارهن عن غير أزواجهن ﴿ أَنْزَابٌ ﴾ أي: متساويات في أعمارهن

﴿ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ أي: يقال لهم هذه هي حال الجنة وصفتها التي وعدكم الله بها يوم القيامة فأدخلوها بسلام آمنين ﴿ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾ أي: إن رزقنا للمتقين في الجنة دائم وليس له انقطاع.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب تذكر القيامة وأهوالها؛ لما في ذلك من تحفيز القلوب على الطاعة، ولهذا قال رسول الله ﷺ: (أكثرُوا ذكرَ هادم اللذات) ^(١). وقوله: (فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت) ^(٢). وفيها: البيان بما أعدّه الله للمتقين في الجنة من نعيم أبدي لا ينقطع.

﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاعِينَ لَشَرَّ مَثَابٍ ۖ ﴾ ٥٥ ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُ الْمِهَادُ ۖ ﴾ ٥٦ ﴿ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۖ ﴾ ٥٧ ﴿ وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ۖ ﴾ ٥٨ ﴿ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَنِحٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ۖ ﴾ ٥٩ ﴿ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيَنْسِفُ الْقَرَارُ ۖ ﴾ ٦٠ ﴿ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت، برقم (٢٣٠٧)، سنن الترمذي ج ٤ ص ٤٧٩، والنسائي في كتاب الجنائز، باب كثرة ذكر الموت، برقم (١٨٢٣)، سنن النسائي ج ٤ ص ٣٠١.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز، باب في زيارة القبور، برقم (٣٢٣٥)، سنن أبي داود ج ٣ ص ١٧١، وابن ماجه في كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة قبور المشركين، برقم (١٥٧٢) سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٥٠١.

لَنَا هَذَا فِرْدُهُ عَذَابًا ضَعُفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا
نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَخَذْنَهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾
إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾.

بيان الآيات:

﴿ هَذَا وَابٍ لِلطَّغِينِ لَشَرِّ مَثَابٍ ﴾ لما ذكر الله ما للمتقين من حسن المآب، بين أن للظالمين المنكرين طاعة الله وطاعة رسوله شر مآب ثم بينه بقوله ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ﴾ أي: يقاسون حرها ﴿ فَيُسَّ الْمِهَادُ ﴾ أي: تعس فراشهم ومكانهم فيها ﴿ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ أي: ليذوقوا فيها الحميم، والمراد به: الماء الحار الشديد الحرارة ويذوقوا فيها كذلك الغساق وهو الصيد الذي يسيل من أجسام أهل النار ﴿ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ أي: ويذوقوا كذلك ألواناً أخرى عديدة من العذاب ﴿ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ﴾ أي: تقول الملائكة الموكلون بالنار لأهل النار: هذا فوج جاء ليكون معكم فيقولون ﴿ لَا مَرَحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴾ أي: لا تحية لمقدمهم وإنما هم سيصلون النار فيرد عليهم الداخلون بقولهم ﴿ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرَحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا ﴾ أي: لا تحية لكم فقد سببتم لنا ما نحن فيه من العذاب لاتباعنا لكم ﴿ فَيُسَّ الْقَرَارُ ﴾ أي: تعس المستقر الذي انتهى إليه هؤلاء الظلمة.

﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا﴾ أي: قال الأتباع: يا ربنا إن هؤلاء هم الذين قدموا لنا العذاب؛ بسبب إغرائهم لنا بالشرك والكفر ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ أي: ضاعف لهم العذاب ﴿وَقَالُوا﴾ أي: الظلمة ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ أي: ما نرى بيننا رجالا كنا نعدهم في الدنيا ضالين ﴿أَتُخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾ أي: كنا نسخر منهم يعنون بذلك المؤمنون الذين كانوا محل سخريتهم واستهزائهم ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ أي: أم مالت أبصارنا فلم نرهم بيننا في هذا المكان؟ والخلاصة أنهم يتساءلون عن الذين كانوا يصفونهم بالضلال والشر، وكانوا يسخرون منهم في الدنيا حيث كانوا يسخرون من ضعفة المسلمين في مكة ويظنون أنهم سيكونون معهم في النار، بينما هم في الدرجات العليا من الجنة يتنعمون فيها جزاء إيمانهم وصبرهم على أذى المشركين وطغيانهم ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ أي: هذا الذي أخبرناك به يا نبينا محمداً هو تخاصم أهل النار ولعن بعضهم لبعض.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير استحقاق الطغاة والظلمة للعذاب يوم القيامة. وفيها: تقرير التخاصم بين أهل النار حين يدخلونها

فوجا بعد فوج كما قال تعالى ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْثَىٰ حَتَّىٰ إِذَا اُذْأَرَكَوْا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِبْهُمْ لِأُولَئِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَتَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَا نَعْلَمُونَ﴾^(١).

وفيها: أن المشركين يتذكرون في النار ضعفة المسلمين الذين كانوا ينكلون بهم ويزعمون أنهم ضالون وأشرار، ولم يعلموا أنهم في الجنة؛ لقاء إيمانهم وصبرهم على ما نالهم من الطغاة، وفي هذا قول الله تعالى عنهم ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢). وقوله ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٣).

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(٦٥) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَرُ^(٦٦) قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ^(٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ^(٦٨) مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ^(٦٩) إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ^(٧٠).

(١) سورة الأعراف من الآية ٣٨ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٤٤ .

(٣) سورة الأعراف الآية ٥٠ .

بيان الآيات:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾ هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ أن يقول لمشركي قومه: إنما أنا منذر لكم من عذاب الله ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: ليس من إله في الوجود إلا الله ﴿الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ﴾ أي: هو الواحد الأحد القهار الذي قهر بعزته وقوته الطغاة ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: هو الخالق للسموات والأرض وما بينهما المتصرف فيهما بحكمته وإرادته ﴿الْعَزِيزُ الْغَفَرُ﴾ أي: العزيز بقوته وعظمته، الغفار للتائبين من عباده ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ أي: قل يا محمد لقومك إن هذا القرآن الذي أتيتكم به لأمر عظيم، فيه قصص من سبقكم من الأمم وما حل بالظالمين منهم من الهلاك، وفيه أحكامكم وأمور دينكم ودنياكم، فإذا آمنتم به وصدقتموه حصلت لكم العزة في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ أي: أنتم عنه غافلون لأنكم لا تدرون عن عظمته وما فيه من الهداية لكم ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ أي: ما كان لي علم ولا دراية بما حصل في الملأ الأعلى من سجود الملائكة لآدم وامتناع إبليس ومخاصمته لآدم ومحاججته لربه في تفضيل آدم عليه، فلولا الوحي الذي يوحيه الله إلي لما علمت ذلك وهو قوله ﴿إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: لست أطلب

ملكا عندكم ولا عزا منكم، بل ما أريد منكم إلا الإقرار بوحداية الله في عبادته والتبرئ من الشرك به وتصديق ما جاء في كتابه ثم ذكر لهم عليه الصلاة والسلام الخصام الذي حصل في الملائكة الأعلى بموجب الوحي الذي أوحاه الله إليه كما سيأتي.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن رسول الله ﷺ منذر لقومه وغيرهم من الأمم من سوء عاقبة الشرك. وفيها: أن القرآن الذي أنزله الله عليه نبأ عظيم، وفيه خير للإنسانية جمعاء إذا عملت بأحكامه. وفيها: أن من دلائل نبوة رسول الله محمد ﷺ ما أوحى الله إليه بما حدث في الملائكة الأعلى حين استكبر إبليس عن السجود لآدم وجادل فيه ثم طرده الله من رحمته، فما كان رسول الله ﷺ ليعرف ذلك إلا من وحي أوحاه الله إليه.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ﴿٧٢﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٤﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ يَتَّبِعُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٦﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٧﴾ قَالَ فَخُذْ مِنْهَا فَايُّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٨﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٩﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ

يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾
 قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ
 ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ
 أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾

بيان الآيات:

في هذه الآيات: بيان ما دار من حديث بين الرب سبحانه وتعالى وبين إبليس حول امتناعه من بين الملائكة عن السجود لآدم فابتدأ
 جل وعلا بقوله ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾ أي:
 قال للملائكة: إني سأخلق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ﴿فَإِذَا
 سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ أي: إذا أصبح بشرا سويا ﴿فَقَعُوا
 لَهُ سَاجِدِينَ﴾ أي: اسجدوا له سجود شكر وتقدير، لا سجود عبادة؛
 لأن سجود العبادة لا يجوز إلا لله ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
 أَجْمَعُونَ﴾ أي: امتثلوا كلهم ما أمروا به ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ
 الْكَافِرِينَ﴾ أي: امتنع عن السجود لآدم تكبرا وعتوا، فكان بذلك
 من العصاة لأمر الله ﴿قَالَ يَبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ
 بِإِدَّتِي﴾ أي: ما الذي منعك أن تسجد لآدم مع أنني قد أمرتك بذلك
 ثم وبخه الله بهذا الاستفهام ﴿اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ أي:

هل استكبرت لما أمرتك أم كنت أصلا من المستكبرين فقال إبليس ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ وحجة إبليس فيما صنع أنه خلق من النار، وآدم خلق من الطين، فلا يسجد من خلق من نار لمن خلق من طين، وحجته في ذلك -لعنه الله- داحضة، فالطين أفضل من النار فهو قرار الإنسان في الأرض، ومنه تنبت للناس أرزاقهم، وهو يطفى النار إذا وضع عليها وهو أمان الإنسان وفراشه ومهاده، بينما النار عذاب له تحرق ما تأتي إليه ونهايتها فساد وخراب فلا مقارنة بينهما.

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ أي: قال رب العزة لإبليس: اخرج من الجنة فإنك ملعون ومطرود من رحمتي ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي: سوف تتبعك اللعنة إلى يوم القيامة، لا تفارقك أينما كنت. فلما عرف ما حل به من اللعنة، وأنه مطرود من رحمة الله ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: أبقني حيا لكي أعمل على إغواء ذرية آدم فقال الله عز ذكره ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ أي: من المستثنين من الموت ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ وهو نفخ إسرافيل في الصور؛ لقيام الناس لرب العالمين فتموت مع الخلائق وإمعانا من إبليس في الكفر والطغيان ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: سوف أغوي جميع بني آدم ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ

الْمُخْلِصِينَ ﴿١﴾ ومراده أولئك الذين أخلصوا دينهم لله، فهؤلاء اعترف أنه لن يقدر عليهم؛ لأنه يعرف قوة إيمانهم وقدرتهم على ترك المعاصي. وقد رد عليه رب العزة والجلال هكذا ﴿٢﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٣﴾ أي: أنا الحق وأقول الحق ﴿٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥﴾ أي: أقسم جل وعلا أنه سيملاً جهنم من إبليس ومن أتباعه من الإنس والجن.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن ادعاء إبليس لعنه الله بفضل النار على الطين ادعاء باطل؛ لأن الطين في جميع أحواله أفضل من النار فاقتضى هذا أن بني آدم أفضل وأكرم من الجن المخلوقين من النار. وفيها أن سبب امتناع إبليس عن السجود لآدم مصدره الحسد، وهذا من أشد الخطايا. وقد ذم الله من يحسد الناس على ما أنعم به عليهم لقوله تعالى ﴿١﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٢﴾. وقد أمر الله رسوله محمداً ﷺ أن يتعوذ من الحسد بوصفه شراً بقوله ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٤﴾. وفيه قول رسول الله ﷺ: (إن

(١) سورة النساء الآية ٥٤ .

(٢) سورة الفلق الآية ٥ .

الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب^(١).

وفي هذه الآيات: ذم الكبر والاستعلاء كما قال عز وجل ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾^(٢). وقد توعده الله المتكبرين بالعذاب بقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٣). وفي الحديث قول رسول الله ﷺ: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)^(٤). وفيها أن الشيطان لا يستطيع اغواء المؤمنين الأقوياء في إيمانهم.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾^(٨٦) إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ^(٨٧) وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ^(٨٨).

بيان الآيات:

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي قل يا محمد للمشركين من قومك المكذبين لك: إني لا أسألكم منفعة من منافع الدنيا مقابل دعوتي لكم

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في الحسد، برقم (٤٩٠٣)، سنن أبي داود ج ٤ ص ٢٩٩، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب الحسد، برقم (٤٢١٠)، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٤٠٨.

(٢) سورة الإسراء الآية ٣٧.

(٣) سورة غافر من الآية ٦٠.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تحريم الكبر وبيان، برقم (٩١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٧٣٥.

ونصحي لكم ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ أي ولست متقولا فأزيد على ما أرسلت به إليكم، بل أبلغكم ما أمرت أن أبلغكم به من غير زيادة ولا نقصان ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ أي هذا القرآن الذي جاءكم ما هو إلا ذكر وهداية للإنس والجن ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ أي سوف تعلمون خبره وصدقه بعد موتكم وتعلمون ما فيه من البشارة للمتقين والعذاب للمكذابين .

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: عدم جواز أخذ الأجرة على الدعوة إلى الله، فهي محرمة على الأنبياء والرسل؛ لأن الله أغناهم بفضله فعاشوا من كسب أيديهم؛ فداود كان صانعا، وإدريس كان نجارا، وكلهم رعوا الغنم ونبينا ورسولنا محمد ﷺ فعل ذلك في صغره ثم أغناه الله بما أحل له من الغنائم، خلافا للأنبياء قبله ممن حرمت عليهم، أما بالنسبة للدعاة من غير الأنبياء فإن كان لهم - كما سبق ذكره - رزق يجري عليهم لم يحل لهم أخذ الأجرة على دعوتهم، فإن لم يكن لهم رزق حل لهم أخذ الأجرة مقابل انقطاعهم عن طلب معاشهم؛ بسبب انشغالهم بالدعوة إلى الله. وفيها: تحريم التكلف في القول بما يؤدي إلى ضياع الحق وظهور الباطل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الزمر

مكية وآياتها خمس وسبعون آية

﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ① ﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ
 الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ② أَلِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ
 وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ
 زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ③ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ
 هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ④ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا
 يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ ⑤ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ⑥﴾

بيان الآيات:

﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ ﴾ هذا بيان من الله أن القرآن نزل من
 عند الله نزولا لا شك ولا مرأى فيه، وأن نزوله من اللوح المحفوظ من
 عند الله ﴿ الْعَزِيزِ ﴾ بعظمته ﴿ الْحَكِيمِ ﴾ في تدبيره ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ
 إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ أي: أنزلنا إليك يا نبينا محمد هذا القرآن
 بالحق أي: أن كل ما جاء فيه من أخبار الأمم وأحكام الدين وأحكام
 الدنيا فهو حق ﴿ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ أي: كما بين لك
 القرآن طريق الحق، فالتزم واعمل به بحيث تعبد الله وتكون عبادتك
 خالصة له وحده ﴿ أَلِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ أي: أن الدين كله لله فلا

يقبل منه إلا ما جعله العبد خالصا له وحده لا شريك له ﴿وَالَّذِينَ
 اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: جعلوا لله شركاء قالوا ﴿مَا
 نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ أي: ما عبدناهم إلا تقربا إليهم
 ليشفعوا لنا عند الله فيما نحتاجه من أمور دنيانا وآخرتنا ﴿إِنَّ
 اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: سوف يحكم الله
 بالعدل بين خلقه يوم يعودون إليه فيجازي المحسن على إحسانه
 والمسيئ على إساءته ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾
 أي: لا يهدي الله من يفتر الكذب عليه ويكفر بآياته فهذا قد أضل
 نفسه فأضله الله.

وبعد ذلك رد الله على المشركين العرب مقولتهم الكاذبة أن الملائكة
 بنات الله وقول اليهود: إن عزيرا ابن الله وقول النصارى: إن المسيح ابن
 الله فقال عز ذكره ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ
 مَا يَشَاءُ﴾ أي: لو أراد أن يتخذ ولدا - وحاشاه - لم يكن كما يزعمون،
 بل اختار من يشاء من خلقه، ولكنه قد نزه نفسه عن الصاحبة والولد
 فأصبح من ينسب إليه الولد كافرا ظالما لنفسه ﴿سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ
 الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ أي: تقديس وتنزه، فهو الواحد الأحد الذي لم يلد
 ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وهو القهار للطغاة والجبابرة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بنزول القرآن على نبي الله ورسوله محمد

وَالْآيَاتِ وَالشَّوَاهِدِ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١). ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾^(٢). وفيها: الحكم بوجوب توحيد الله واخلاص العبادة له وحده؛ لأنه المستحق للعبادة وحده كما قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(٣). وفيها: الحكم بتحريم الشرك بأي صفة من صفاته الاعتقادية، وتقرير خسران المشركين في تقربهم إلى الله بعبادة الأصنام كما قال عز وجل لنبيه ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٤). ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(٥).

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَورُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَورُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّورُ﴾^(٥) ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أزْوَاجًا يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنِي تُصَرِّفُونَ﴾^(٦).

(١) سورة الشعراء الآية ١٩٢ .

(٢) سورة الشعراء الآية ١٩٣ .

(٣) سورة الأنبياء الآية ٢٥ .

(٤) سورة الزمر الآية ٦٥ .

(٥) سورة الزمر الآية ٦٦ .

بيان الآيتين:

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ لما بين جل وعلا نزول الكتاب بالحق، ووجوب إخلاص العبادة له وحده حكم بأنه هو الذي خلق السموات والأرض، وذلك لحكمة حكمها وقدر قدره، وقد اقتضى هذا خلقهما بالحق، وليس لمجرد العبث وحاشاه ذلك كما قال عز وجل ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾^(١). ﴿ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾ أي: جعلهما يجريان متعاقبين لا يتوقفان ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي: سخرهما يجريان بقدرته وعظمته إلى مدة لا يعلمها إلا هو ﴿ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ أي: هو العزيز بقوته على الطغاة والجبابرة والمتكبرين الغفار لمن أناب إليه ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ أي: من آدم عليه السلام حيث مسح بقدرته على ظهره فأخرج منه ذريته ثم أشهدهم على أنفسهم بربوبيته كما قال عز وجل ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۖ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾^(٢). ﴿ ثُمَّ جَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ أي: وجعل من آدم زوجته حواء تحقيقاً للحكمة

(١) سورة ص الآية ٢٧ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٧٢ .

الإلهية بوجود التزاوج بين الذكر والأنثى ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ﴾ وهذه الأنعام هي ما ذكره في قوله عز وجل ﴿ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ﴾^(١). وقوله ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾^(٢). ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ أي: جعلكم في بطون أمهاتكم ﴿خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ أي: تدرجكم في هذه البطون من نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما تكسى باللحم ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ هي ظلمة الرحم وظلمة المشيمة وظلمة البطن ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ أي: الذي خلق السموات والأرض وخلقكم هو ربكم الذي له ملك كل شيء في الوجود ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا إله غيره ولا معبود بحق إلا هو ﴿فَأَنَّى تُصَرِّفُونَ﴾ أي: كيف فسدت عقولكم فصرفتموها عن عبادته.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بأن الله هو الذي خلق الكون بكل ما فيه من المكونات الدالة على عظمته وقدرته، وأن هذا الخلق يقتضي حكما توحيده بالعبادة. وفيها: تقرير قدرته عز وجل في تسلسل خلق الإنسان في مكونات ثلاث من الظلمات. وفيهما: العجب العجاب من هذا الإنسان الذي يعرف أن الله هو الذي خلق الكون، وأنه مخلوق من بينه ومع ذلك يصرف العبادة لغيره.

(١) سورة الأنعام من الآية ١٤٣ .

(٢) سورة الأنعام من الآية ١٤٤ .

﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوَ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾ لما بين عز وجل كمال قدرته في خلق المخلوقات واستحقاقه المطلق للعبادة، بين أنه غني عن المخلوقات فلا تنفعه طاعتهم، ولا تضره معصيتهم، ولكنه لا يحب لعباده الكفر لأن في كفرهم ضرراً لهم وهو لا يريد لهم هذا الضرر كما قال عز ذكره ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ قوله ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أي: إذا شكرتموه يرضى عنكم ويجزيكم ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: لا تحمل نفس عن نفس شيئاً من الأوزار والأثقال، فكل مسؤول عن عمله، وهذا من عدل الله ورحمته بعباده ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: سوف ترجعون إليه بعد الممات ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: ستجدون صحائف أعمالكم مدونة فيها أفعالكم وأقوالكم ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: يعلم ما في بواطنكم وظواهركم فيجازيكم على أعمالكم ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ﴾

مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴿١﴾ أي: إذا تعرض الإنسان لنازلة أو مصيبة عرف ربه حق المعرفة فدعاه يستغيث به ويتضرع إليه ﴿٢﴾ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ ﴿٣﴾ أي: إذا كشف عنه الضر أو أنعم عليه بنعمة نسي دعاءه وتضرعه ﴿٤﴾ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴿٥﴾ أي: جعل لله شركاء يعبدهم ويتقرب إليهم ﴿٦﴾ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٧﴾ أي: قل يا محمد لمن كان هذا مسلكه في جحود نعمة الله عليه وعبادة غيره: استمتع بكفرك قليلا في الدنيا وستكون من أهل النار جزاء كفرك.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير غنى الله عن خلقه؛ لأنه لم يخلقهم لقصد نفع له أو دفع ضر عنه فحاشاه ذلك، وإنما خلقهم لمنفعتهم إذا عبدوه وفي هذا قال تعالى ﴿١﴾ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢﴾. وقوله في الحديث القدسي: (يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا) (٢).

(١) سورة إبراهيم من الآية ٨.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٧٧)، صحيح مسلم بشرح

النووي ج ١٠ ص ٦٥٩٢.

وفيهما: أن شكر العبد الله يرضيه عنه ويجزل له الثواب كما قال تعالى ﴿لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(١). وفيهما: تحديد مسئولية الإنسان في نفسه، فلا يسئل عن غيره كما قال تعالى ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٢). وقوله ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾^(٣). وفيهما: تقرير سلوك بعض الإنسان وجوده لنعم ربه، فإذا نزلت به ضائقة من ضوائق الدنيا لجأ إلى ربه متضرعا مستكينا، فإذا كشف الله ضوائقه عاد إلى الكفر به كما قال عز وجل ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾^(٤).

﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتُّ عَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٥)

بيان الآية:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتُّ عَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ أي: هل المتعبد لله المطيع له، المتهجد في الليل في سجوده وقيامه ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ أي: يحذر عذاب يوم القيامة ويرجو الله أن يمن عليه

(١) سورة إبراهيم من الآية ٧ .

(٢) سورة النجم الآية ٣٩ .

(٣) سورة المدثر الآية ٣٨ .

(٤) سورة الإسراء الآية ٦٧ .

برحمته فينجيه من عذابه؟ هل هذا مثل من أشرك بالله وكفر به وانتهك محارمه؟ والجواب أنهما لا يستويان؛ فبينهما من الفوارق مثل ما بين السماء والأرض ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: قل يا نبينا محمداً لهؤلاء المشركين: هل يستوي الذين يعلمون دين الله وما أوجبه عليهم من فعل الطاعات وترك المحرمات واتباع ما جاء به رسول الله من الآيات البينات، مثل الذي لا يعلم ذلك؟ والجواب: أن هذين الجنسيتين من البشر لا يستويان بأي حال ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أي: لا يتذكر ويعلم الفرق بين هذا وذاك إلا أصحاب العقول السليمة.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تقرير عدم المقارنة بين القانت لله المطيع له في الليل والنهار وبين الكافر المنتهك لحرماته. وفيها: الحكم بأن المؤمن القانت أفضل عند الله وأقرب إليه من الكافر الذي أبعد الله وأبغضه لكفره ومعصيته. وفيها: تقرير عدم المماثلة بين العالم بأوامر الله ونواهيه وبين من لا يعلم ذلك، وأن العالم في جميع الأحوال أفضل من الجاهل. وفيها: تقرير أنه لا يعلم الفرق بين المتضادات إلا أصحاب العقول والأفهام الصحيحة.

﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا

حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾

بيان الآيات:

﴿ قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾ هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ أن يقول للمؤمنين: اتقوا ربكم أي: امتثلوا ما أمركم به واجتنبوا ما نهاكم عنه، واجعلوا تقواه بين أعينكم في سركم وعلانيتكم ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ أي: أن من أحسن في الدنيا واتقى الله وأطاعه سوف يجزى أحسن الجزاء وهو الجنة ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ أي: إن لم تقدرُوا على طاعة الله وتقواه في الأرض التي كنتم فيها، فهاجروا إلى غيرها؛ لأن أرض الله واسعة ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: سوف يوفي الصابرون على طاعة الله والمهاجرون في سبيله أجورهم بغير حد محدود ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ أي: قل يا محمد للمشركين: إن الله أمرني أن أعبده وحده وأن أخلص له في طاعتي وعبادتي، فلا أدعو معه أحدا ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: أمرني أن أكون أول المسلمين في هذه الأمة مستسلما له بروحي وجوارحي.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: دعوة الله للمؤمنين من عباده أن يزدادوا تقوى على

تقواهم حتى يكون ذلك أعظم لأجورهم. وفيها: وجوب الهجرة من الأرض التي لا يقدر المسلم على أداء عبادته فيها إلى الأرض التي يقدر فيها على أداء هذه العبادة؛ لأن الأرض كلها لله وهي واسعة لعباده كما قال عز وجل ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾^(١). وفيها: الحكم بأن الصابرين على تقوى الله والهجرة في سبيله يوفون أجورهم دون عد أو حساب لها.

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(١٣) قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي^(١٤) فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ^(١٥) لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادُهُ يَعْبَادُونَ^(١٦) ﴿فَأَتَقُونِ﴾

بيان الآيات:

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هذا أمر من الله لرسوله أن يقول للمشركين: إني أخاف إن أشركت مع الله غيره أو رضيت بذلك أن يعذبني يوم القيامة بالعذاب العظيم ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ ﴿فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: قل لهم كذلك: إني أعبد الله وحده، فلا أعبد معه غيره، أما أنتم أيها المشركون به فاعبدوا

ما تشاؤون من دونه، وسوف يجازيكم على ما تعملون، وفي هذا تهديد لهم وبراءة من شركهم ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: قل لهم: إن الخاسرين هم الذين افترقوا مع أهلهم يوم القيامة فلا اجتماع لهم حين يكون أهلهم في الجنة وهم في النار أو يكونون مثلهم فيها ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ أي: هذا العذاب وهذا الافتراق هو الخسران الظاهر، ثم بين حالهم في النار بقوله ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ أي: تظلمهم من فوقهم ومن تحتهم طبقات من النار يصلون حرها وعذابها ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ﴾ أي: يخوف الله عباده من هذا الخسران ومن هذا العذاب المتراكم ﴿يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ هذا دعوة من الله للمؤمنين أن يتقوه حتى يدخلهم جناته وينجيهم من عذابه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بوجوب عبادة الله وحده واخلاص الدين كله له، وأن العبادة الصحيحة هي التي تكون وفق دين الإسلام. وفيها: تقرير أن الخاسرين هم الذين يخسرون أهلهم يوم القيامة حين يحول الكفر بينهم، خلافا للمؤمنين الذين تتبعهم ذريتهم كما قال عز وجل ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾^(١). وفيها: تقرير حال أهل النار

(١) سورة الطور الآية ٢١.

حيث يظلمهم العذاب من فوقهم ومن تحتهم كما قال عز وجل ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿١﴾.

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ قيل: نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر وسلمان الفارسي رضوان الله عليهم فقد اجتنبوا الطاغوت في جاهليتهم، ووجدوا الله قبل مبعث رسول الله ﷺ ﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: عملوا في طاعته ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ﴾ أي: لهم البشارة بالجنة عند موتهم وفي قبورهم ويوم مبعثهم وهذه الآية وإن كانت نزلت فيهم، فهي عامة لجميع المؤمنين الذين يجتنبون الشرك ويوحدون الله ويخلصون العبادة له وحده ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ أي: بشر يا محمد عباد الرحمن الذين يستمعون القول والمراد به: القول الحسن فيهديهم إيمانهم بالله وتعلقهم به إلى اتباع أحسن الأقوال، وليس من قول أحسن ولا أعظم ولا أزكى من كتاب الله وما تحدث به رسوله محمد ﷺ وهو

(١) سورة الأعراف الآية ٤١ .

(٢) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٥٨٥ .

يوجه امته بما اوحى الله به إليه ثم وصفهم الله بقوله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾ أي: وفقهم للهداية في الدنيا والآخرة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أي: ومن صفاتهم أنهم ذوو العقول الصحيحة.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير ثناء الله وبشراه للذين يجتنبون الطاغوت وهو كل من صد عن سبيل الله ودعا إلى الباطل. ومن صفات المبشرين: استماعهم للقول واتباعهم لأحسنه، وأحسن القول وأعظمه: كتاب الله وما جاء عن رسوله محمد ﷺ.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ (١٩) لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْقَرُوا رَبَّهُمْ هُمْ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقَهَا غُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (٢٠).

بيان الآيتين:

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ أي: من وجبت له الشقاوة؛ بسبب كفره وعناده ومعاداته لما جئت به من الهدى كما فعل زعماء الكفر في مكة هل تقدر يا محمد على إنقاذه من النار؟ الجواب بالنفي ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْقَرُوا رَبَّهُمْ﴾ أي: آمنوا به وصدقوا ما جاء به رسوله ﴿هُمْ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقَهَا غُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ أي: لهم مساكن في الجنة عبارة عن قصور عالية، القصر فوق القصر

﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ أي: تجري الأنهار من تحت هذه القصور
 ﴿ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴾ أي: هذا ما وعد الله به المتقين من
 عباده ووعدته الحق، وحاشاه أن يخلف الميعاد.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير أن من زاغ عن طريق الحق وكفر بما جاءه
 من البينات وأضله الله فلا يقدر أحد على هدايته، لا ملك مقرب ولا نبي
 مرسل. وفيهما: الحكم بأن وعد الله الذي وعد به المتقين حق وحاشاه
 أن يخلف الميعاد.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ
 ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَهُ مُضْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ
 حُطًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٦٦﴾ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ
 صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ
 اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٧﴾ ﴾

بيان الآيتين:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ إن من رحمة الله بعباده
 أن يبين لهم حقائق قدرته وعظمته حتى يكون ذلك حافزا لهم على
 الإيمان به، والبعد عن معصيته فيجتنبوا بذلك عقابه فخاطب نبيه
 ورسوله بأنه وحده الذي ينزل الماء من السماء إلى الأرض فينبث في

مسالكها فتكون منه ينابيع أي: مجاري ثم يستخدمه العباد فيُنبت الله تعالى لهم به الزرع المختلف في ألوانه وأنواعه كما قال تعالى ﴿فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ﴾ ﴿ثُمَّ يَهِيْجُ﴾ أي: يتغير فيكون يابساً ﴿فَتَرَهُ مُصْفَرًّا﴾ أي: بعد تحوله من الرطوبة إلى اليابوسة ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ أي: يتحطم بعد خضرته ونضارته ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: في هذا الذي ذكرناه لك يا نبينا محمداً عبرة لذوي العقول والفطر المستقيمة ليعرفوا أن الدنيا مثل هذا الزرع الذي يزدهر ثم يتحول إلى حطام فحال الدنيا كذلك حين ينتقل الإنسان فيها من الطفولة إلى مرحلة الشباب ثم الكهولة ثم الشيخوخة ثم الممات.

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ أي: إن من أضاء قلبه بالإسلام فاستنار بنور الإيمان واتقى الله في سره وعلا نيته لا يتساوى مع من جعل الله صدره ضيقاً حرجاً بسبب كفره ومعاصيه ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: تبا لهؤلاء الذين قست قلوبهم فنسوا ذكر الله فلا تخشع عند ذكره ولا تسمع نداءه ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: هؤلاء هم الضالون الضلال المبين.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: بيان عظمة الله وقدرته في إنزال الماء من السماء إلى الأرض وتصريفه فيها؛ ليكون نفعاً للخلق في معاشهم وأرزاقهم

وفي مظاهر هذه القدرة العظيمة عبرة لذوي العقول وتحفيز لهم على الإيمان بالله وليعلموا أن الدنيا مجرد متاع مثل الزرع الذي يتحول في نهايته إلى حطام. وفيهما: تقرير أن القلب الذي ينشرح بنور الإسلام والإيمان يختلف عن القلب الذي قسا من عدم ذكر الله كما قال تعالى ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾^(١).

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ (٢٣).

بيان الآية:

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا﴾ هذه الآية نزلت لما قال الصحابة لرسول الله ﷺ: حدثنا^(٢) والمراد أن الله نزل عليكم القرآن، وهو أعظم حديث في ألفاظه ومعانيه، وأشمل حديث في قصصه وآياته جعله في أروع بيان، وأفصح لسان وبسط فيه ما يحتاجه الخلق من الأحكام وحفظه من شرور الشياطين وأباطيل المبطلين، فكان أفضل كتاب أنزله ليهدي الله به من تدبر معانيه واهتدى بآياته، وفيه: البشارة

(١) سورة الأنعام من الآية ١٢٢ .

(٢) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٥٨٦ .

للمؤمنين والندارة للمعرضين كما قال عز وجل ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾^(١). ﴿ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾^(٢). قوله ﴿ مُتَشَبِهًا ﴾ أي: يشبه بعضه بعضا في آياته وحروفه وإعجازه ﴿ مَّثَانِي ﴾ أي: متكرر الأحكام والدلائل حتى يكون أبلغ في البشارة للمؤمنين والندارة للمعرضين وإزاحة غشاوة الجهالة التي كانت مسيطرة على عقول الكفرة والمشركين ﴿ نَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ أي: تضطرب وتتحرك من سماعه جلود المؤمنين الذين يخشون ربهم، خوفا مما جاء فيه من الوعيد للذين أعرضوا عن أمر ربهم ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ أي: تهدأ وتطمئن جلودهم وقلوبهم إذا سمعوا ما في القرآن من الذكر والوعد الذي وعدهم الله به من مجازاتهم بالجزاء الأوفى إذا آمنوا به واتبعوا أحكامه ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ أي: إن هذا القرآن هو الهدى الذي يمن الله به على من يشاء من عباده فيوفقه للإيمان به والعمل بما فيه ﴿ وَمَن يَضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴾ أي: من يضلله الله بسبب كفره وعناده فليس له من هاد يهديه أو مرشد يرشده.

(١) سورة الإسراء الآية ٩ .

(٢) سورة الإسراء الآية ١٠ .

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بأن القرآن أحسن حديث، وأعظم كتاب في ألفاظه ومعانيه، وإعجازه، ومحكمه ومتشابهه؛ لأنه كلام الله ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾^(١). وفيها: تقرير أن المؤمنين هم الذين يخشعون لسمع كلام الله فيخافون مافيه من الوعيد للمعرضين ويفرحون بما فيه من الوعد للمؤمنين كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٢).

﴿أَفَمَنْ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سُوَاءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾^(٣) كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاُنْهَمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٩﴾ فَاذْأَقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٥٠﴾

بيان الآيات:

﴿أَفَمَنْ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سُوَاءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: أن من يتلقى بوجهه سوء العذاب يوم العرض وهو ذليل مهان مصفد في الأغلال ليس مثل من وقاه الله سوء هذا العذاب؛ وذلك لأنهما لم

(١) سورة النساء من الآية ٨٧ .

(٢) سورة الأنفال الآية ٢ .

يستويا في العمل في الدنيا؛ فهذا أعرض عن ذكر الله وكفر بآياته فليس له إلا أن يتلقى العذاب بوجهه، وهذا أقبل على ذكر الله وصدق آياته وعمل بأحكامه فوقاه الله شر ذلك العذاب ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: قيل لهم: هذا جزاؤكم على أعمالكم في الدنيا كما قال تعالى ﴿فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسَوُا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِعَائِنِنَا يَمْجِدُونَ﴾^(١).

﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: كذب قبل المشركين في مكة أقوام وأمم كقوم نوح وهود وصالح ﴿فَأَنَّهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: أتاهم العذاب بغتة وهم ساهون في كفرهم وشركهم ﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: أذاقهم الذل والمهانة في الدنيا بما أنزل عليهم العذاب المباغت لهم ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ أي: أن عذاب الآخرة أشد وأقسى من عذاب الدنيا ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو كانوا يؤمنون بما جاءهم من العلم والبيّنات لما كان مصيرهم هذا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير عدم المماثلة في الجزاء يوم القيامة بين من يتقي بوجهه سوء العذاب بسبب كفره وبين من وقاه الله سوء هذا العذاب؛ بسبب إيمانه ورحمة الله له فهما كما لم يستويا في العمل في

(١) سورة الأعراف من الآية ٥١ .

الدنيا لن يستويا في الجزاء يوم القيامة، وهذا من عدل الله بين خلقه. وفيها: تحذير المشركين في مكة أن ما حل بالأُمم قبلهم من العذاب المبالغ قد يحل بهم وهو في الوقت نفسه تحذير عام للناس في كل زمان ومكان. وفيها: أن الذل والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة ما كان ليصيب أقواما أو أمما إلا بسبب عدم إيمانهم بما جاءهم من العلم عن أهوال يوم القيامة.

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٧) ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (٢٨) ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٩) ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ (٣٠) ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِّصُونَ ﴾ (٣١) .

بيان الآيات:

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه ضرب للناس من العرب وغيرهم أمثالا في القرآن عمن سبقهم من الأمم ومن هلك منها ومن نجا ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي: يعتبرون بما حل بالأُمم قبلهم ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ أي: إن القرآن الذي ضرب الله فيه الأمثال قرآن عربي لا عوج فيه ولا إبهام ولا لبس، بل هو واضح المعاني والبيان والبرهان

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: لعلمهم يتدبرونه فيعلموا ما فيه من الوعد للمتقين، وما فيه من الوعيد للمعرضين ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ﴾ أي: ضرب الله مثلا لرجال يملكون رجلا وهم متشاكسون أي: متنازعون بينهم فيه ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ أي: سالما لرجل لا يشاركه فيه غيره ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ والجواب أنه لا يستوي هذان. وهذا المثل ينطبق على المشرك والمؤمن فهما لا يستويان؛ لأن المشرك يعبد أوثانا وأصناما من الحجارة لا تملك نفعا ولا ضرا، بينما المؤمن يعبد إلها واحدا دلت كل الدلائل الحكيمة والعقلية على وحدانيته في ربوبيته، وألوهيته وأسمائه وصفاته ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: له الحمد والثناء والشكر على ما بيّنه للمؤمنين وأقام به الحجة على الكافرين ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: أن أكثر المشركين لا يعلمون ولا يفهمون ضرب الأمثلة؛ بسبب ما ران على عقولهم من الجهل والبعد عن الله ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ هذا بيان من الله جل وعلا لنبيه ورسوله محمد ﷺ وأمته أنه ما من أحد سيبقى في الدنيا، فالكل مآله إلى الموت، وقد نزلت هذه الآية لما كان المشركون قد ضاقوا ذرعا برسول الله فتمنوا موته، فبين الله أن نبيه ورسوله سوف يموت، وأنهم سيموتون حتما، ولن يبقى على الأرض من دابة ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِّصُونَ﴾ أي: يختصمون أمام ربهم فيما اختلفوا فيه

في الدنيا، فيحكم بينهم بعدله ويجزي كل عامل بما عمل كما قال عز وجل ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١).

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير فوائد ضرب الأمثال للناس لتقريب الأحكام لعقولهم لقوله تعالى ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾^(٢). وقوله عز ذكره ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٣). وفيها: ضرب المثل للفرق بين الموحد لله المخلص له العبادة، وبين المشرك الذي يعبد الأصنام. وفيها: الحكم أن كل مخلوق في الدنيا سيذوق الموت لقوله عز وجل ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾^(٤). وفيها: تقرير الاختصاص بين الخلق يوم القيامة فيخاصم المظلوم الظالم، والصادق الكاذب، وفي هذا: روى الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: لما نزل قول الله تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِمُونَ﴾ قلت: يا رسول الله أكرر علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا؟ قال رسول

(١) سورة يس الآية ٥٤ .

(٢) سورة الروم من الآية ٢٨ .

(٣) سورة العنكبوت الآية ٤٣ .

(٤) سورة العنكبوت الآية ٥٧ .

الله ﷺ: (نعم) فقال: إن الأمر إذاً لشديد^(١). والاختصاص يقتضي القضاء، والله هو الذي يقضي بين الخلق فيما اختلفوا فيه، فيقتص كل مظلوم من ظالمه حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء كما قال رسول الله ﷺ^(٢).

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۚ﴾ (٣٢) وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾

بيان الآيات:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ يقول الحق تبارك وتعالى في خطابه للمشركين الذين كذبوا على الله، فجعلوا الملائكة بناته وكذبوا على رسوله فاتهموه بالسحر والكذب، والمراد أنه لا أحد أظلم ممن كذب على الله ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ﴾ أي: كذب الله بإنكاره ما جاء منه وكذب رسوله بنفي ما قاله عن وحي الله إليه

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب (٤٠)، من سورة الزمر، برقم (٣٢٣٦)، سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٤٤.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٨٢)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٥٩٥.

﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ أي: الكاذبين المنكرين لما جاءهم من الحق ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ أي: الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ والذي صدق به هم الذين آمنوا وصدقوا ما جاء به ثم وصفهم بقوله ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ أي: لهم الجنة عند ربهم يرزقون منها ما يطلبونه ﴿ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ أي: هذا جزاء المحسنين الذين أحسنوا عملهم فأحسن الله إليهم بثوابه ﴿ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا ﴾ أي: يكفر عنهم خطيئاتهم وسيئاتهم ﴿ وَيَجْزِيَهم أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: يضاعف لهم أجورهم الحسنة بعشر أمثالها.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تحريم الكذب على الله وعلى رسوله، والحكم بأنه لا أحد أظلم ممن يكذب عليهما. وفيها: وجوب الصدق في القول والعمل وقد أثنى الله على الصادقين في قوله عز وجل ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾^(١). وقوله ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾^(٢). وقوله ﴿ وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾^(٣).

(١) سورة الأحزاب من الآية ٢٣ .

(٢) سورة مريم من الآية ٥٤ .

(٣) سورة الحشر من الآية ٨ .

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: (لا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ..) الحديث (١).

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ رَحْمَتَهُ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَنْقُومِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٤٠﴾ ۞ ﴾

بيان الآيات:

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۞ ﴾ هذا استفهام تقريرى وجوابه: بلى إنه جل وعلا حارس لرسول الله ﷺ وحارس له من المشركين الذين تمنوا موته، ثم حاولوا قتله ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۞ ﴾ أي: يخوفونك يا محمد بأصنامهم وأوثانهم، فلا تخشهم فإن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۞ ﴾ أي: من يضلله الله؛ بسبب ذنوبه وكفره فلا يهديه أحد من بعده ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۞ ﴾

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، برقم (٢٦٠٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٦٣٧ .

يَهْدِ اللَّهُ فَمَالَهُ مِنْ مُضِلٍّ ﴿١﴾ أي: من يهده الله فلا أحد يقدر على إضلاله ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾ ﴿٢﴾ وهذا أيضا استفهام تقريرى ونقول بلى: فالله هو العزيز بقوته وعظمته وينتقم من أعداء دينه.

﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ ﴿٣﴾ المراد بهم المشركون، فهم يعترفون بأن الله هو الخالق الرازق مصرف كل شيء ومدبره، ولكنهم مع اعتقادهم هذا يشركون في عبادته آلهتهم ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ ﴿٤﴾ أي: لو أصابني ضرر كمرض ونحوه هل هن كاشفات ضره؟ ﴿أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ﴾ ﴿٥﴾ أي: لو أرادني الله بخير هل تستطيع هذه الآلهة إمساك رحمته عني؟ والجواب معلوم وهو أنها لا تستطيع؛ لأنها جماد لا تملك نفعا ولا ضرا ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ ﴿٦﴾ أي: قل لهم: إن الله كافيني ومعينني ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿٧﴾ أي: يتوكل عليه عباده المؤمنون الذين يتعلقون به ويثقون في نصره لعباده ﴿قُلْ يَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ﴾ ﴿٨﴾ أي: قل يا محمد للمشركين من قومك: إذا كنتم تصرون على شرككم وعلى تكذبي لما جئكم به فاعملوا على طريققتكم التي أنتم تسرون عليها، وإني عامل على حالتي ومنهجي الذي أمرني الله به من عبادته وحده والبراءة من الشرك به ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٩﴾ ﴿مَنْ

يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿١﴾ أي: سوف تعلمون من سيحل به عذاب يهينه ويذله في الدنيا ويوم القيامة، وقد حصل للمشركين عذاب الدنيا وخزيها يوم قتلوا في معركة بدر وغيرها.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله كاف أي: حارس عبده ورسوله محمدا ﷺ ومعينه، وقد فعل ذلك عز وجل حيث نصره على أعدائه، ووقاه شر مكائدهم وتدبيرهم لقتله حين تأمر المشركون عليه في مكة، وحين تأمر عليه المنافقون واليهود في المدينة، كما أن الله كاف عباده المؤمنين في أي زمان أو مكان لقوله تعالى ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(١). وفيها: تقرير أن الأصنام والأوثان لا تنفع أحدا ولا تضره وأن تخويفهم بها عمل كاذب. وفيها: تقرير أن الله عز وجل هو الهادي، فلا يهدي أحد من أضله ولا يضل من هداه. وفيها: تقرير اعتراف المشركين بربوبية الله وجحودهم لوحدانيتها. وفيها: وجوب توكل العباد على الله في كل أمورهم؛ لأنه كافيهم وحافظهم لقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٢). وقوله ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾^(٣).

(١) سورة غافر الآية ٥١ .

(٢) سورة الطلاق من الآية ٣ .

(٣) سورة يوسف من الآية ٦٧ .

وقوله ﴿وَكَفَىٰ بَرِّكَ وَكَيْلًا﴾^(١).

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَكَىٰ
فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾
﴿٤١﴾

بيان الآية:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ والمراد
إنا أنزلنا عليك القرآن ﴿لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ أي: أنزلناه هدى ورحمة
للخلق أجمعين إنسهم وجنهم ﴿فَمَنِ اهْتَكَىٰ فَلِنَفْسِهِ﴾ أي:
إن من آمن به وصدقته، فإن نفع ذلك يعود له لأن الله غني عن خلقه
﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ أي: أن من ضل عن الطريق
المستقيم الذي بينه القرآن؛ فإن ضلاله يعود عليه ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ
بِوَكِيلٍ﴾ أي: ما أنت إلا مبلغ لهم ما جاءك من الحق، أما أمر
هدايتهم فمرده إلى الله.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بأن الله نزل كتابه الكريم بالحق ليحق به
الحق ويبطل به الباطل. وفيها: تعزية رسول الله ﷺ عما كان يجده
من قومه من التكذيب والعناد. وفيها: تقرير أن هداية الإنسان لنفسه

(١) سورة الإسراء من الآية ٦٥.

وضلاله عليها. وفيها: تقرير أن رسول الله ﷺ مبلغ للناس وليس بوكيل عليهم لقوله عز وجل ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾^(١).

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٤٢).

بيان الآية:

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه يقبض الأرواح بعد نهاية آجالها، فتقوم الملائكة بإخراجها من الأجساد ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ أي: يقبض بمعنى يحبس الأرواح التي لم تنته بعد آجالها ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ أي: يمسك الأنفس التي انتهت آجالها ﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يرسل الأنفس التي لم تنته آجالها فيعيش أصحابها إلى نهاية آجالهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ أي: في قبض الأرواح وإرسالها دلالات وبراهين على قدرة الله وعظمته وتصرفه في خلقه ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: لمن لهم العقول السليمة والفطر المستقيمة.

(١) سورة هود من الآية ١٢ .

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تقرير عظمة الله وقدرته في قبض الأرواح عند نهاية آجالها وهي الموتة الكبرى وحبسه الأرواح التي لم تنته آجالها وهي الموتة الصغرى عند النوم لقوله عز وجل ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١). وقوله ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾^(٢).

﴿أَمْ أُتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ سُفْعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾^(٤٣) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ^(٤٤) وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ^(٤٥).

بيان الآيات:

﴿أَمْ أُتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ سُفْعَاءَ﴾ يذم الله بهذا المشركين الذين يعتقدون أن آلهتهم تشفع لهم دون أن يكون لهم في اعتقادهم هذا

(١) سورة الأنعام الآية ٦٠.

(٢) سورة الأنعام الآية ٦١.

دليل أو برهان؛ لأن آلهتهم أحجار صماء لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل مما يدل على سفه وجهالة المعتقدين في شفاعتها ﴿قُلْ أَوْلَوْكَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: قل لهم يا محمد على سبيل الإنكار: أتزعمون أن آلهتكم وأصنامكم يشفعون لكم ولو كانوا لا يقدرّون على هذه الشفاعة؟ ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ أي: قل لهم: إن الشفاعة لله، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه فإن كنتم ترجون ثواباً، فاطلبوا الشفاعة من مالكها، وذلك بفعل أسبابها وهي توحيد الله وإخلاص العبادة له وحده، وترك أصنامكم وأوثانكم فهو الذي ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهو الذي يملك الشفاعة وحده ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة فيحاسبكم على أفعالكم.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: إذا ذكر الله وحده وأنه لا إله غيره، ولا معبود سواه اشمأزت قلوب المشركين؛ بمعنى انقبضت ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: من الأصنام والأوثان ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي: يفرحون.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير سفاهة المشركين وجهالتهم في كونهم يعبدون الأصنام ويعتقدون أنها تشفع لهم. وفيها: الحكم بأن الشفاعة لله وحده لقوله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(١).

وقوله ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾^(١). وفيها: تقرير ضلال المشركين؛ لكونهم ينفرون من ذكر الله وحده، ويستبشرون عند ذكر آلهتهم وأصنامهم، فهم في جهلهم ذلك كالأنعام أو أضل سبيلا.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(٤٦) وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ، لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ^(٤٧) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ^(٤٨).

بيان الآيات:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ لما بين الله جل وعلا تعلق المشركين بأصنامهم وجعلها من دون الله، أمر الله نبيه ورسوله محمدا ﷺ أن يوحدوه ويعبدوه لا شريك له؛ لأنه هو الذي خلق السموات والأرض، وخلق الخلق كلهم، وهو الذي يعلم الغيب والشهادة أي: ما خفي من الغيب وما ظهر للعين ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: أنه الذي يحكم بين العباد يوم معادهم إليه فيما كانوا يختلفون فيه في الدنيا ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ المراد بهم المشركون ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا

(١) سورة الأنبياء من الآية ٢٨ .

وَمَثَلُهُ مَعَهُ ﴿٢٤﴾ أي: لو أن لهم كل ما في الأرض وخزائنها ومثله معه من هذه الخزائن وقبل منهم الفداء ﴿٢٥﴾ لَأَفْنَدُوا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٢٦﴾ أي: لفعلوا ذلك من شدة ما يلاقونه ﴿٢٧﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٢٨﴾ أي: ظهر لهم من سيئاتهم ومن العذاب ما لم يكونوا يظنون أنه سيحل بهم ﴿٢٩﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴿٣٠﴾ أي: ظهر لهم من صحائف أعمالهم سيئاتهم التي اكتسبوها في الدنيا ﴿٣١﴾ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٢﴾ أي: أحاط بهم العذاب الشديد؛ لقاء استهزائهم بذكر الله واشمئزازهم منه وفرحهم بذكر أصنامهم واستهزائهم كذلك برسول الله ﷺ.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب اللجوء إلى الله عند اشتداد الكرب والمصائب، وذلك بدعائه والتضرع إليه والاستعانة به والاستغاثة به، فهو المنجي من كل كربة، الكاشف لكل غمة، الدافع لكل نقمة. وفي حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت عائشة رضي الله عنها بأي شيء كان رسول الله ﷺ يفتح صلاته من الليل؟ قالت رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته: (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك، إنك تهدي من

تشاء إلى صراط مستقيم^(١). وفيها: الحكم بأنه لا يقبل من أحد يوم القيامة فدية من العذاب لقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾^(٢).

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤٩) قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

بيان الآيات:

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾ المراد به الإنسان الكافر أي: إذا تعرض الكافر لضرر في نفسه أو ولده أو ماله لجأ إلينا يدعونا لكشف الضر عنه ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا﴾ أي: إذا أسبغنا عليه النعمة طغى وعتا ونسي ما كان يدعونا إليه وقال ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: إنما آتاني الله هذه النعمة لمحبتة لي فرد الله هذا الزعم بقوله

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم (٧٧٠)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ٢٢٥٦.

(٢) سورة المائدة الآية ٣٦.

﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ أي: ما أعطي الكافر هذه النعمة إلا لابتلائه، فإن شكر الله على نعمه وتخلّى عن الكفر به تاب الله عليه، وإن استمر على كفره وعدم شكره انتقم الله منه وأحاط به العذاب الشديد ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: إن أكثر هؤلاء الكفرة لا يعلمون ما يجب عليهم من الإيمان بالله وشكره على نعمه، فلهذا يقولون ما يقولونه من الكذب والتخرص ﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: قال أقوام وأمم مثل مقالة المشركين بأنهم أوتوا النعم لمحبة الله لهم ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فما نفعهم قولهم، وما كان لديهم من الأموال فأخذهم الله بالعذاب الشديد ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا﴾ أي: أصابهم العذاب؛ بسبب شركهم وسيئاتهم ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا﴾ أي: كما أصاب العذاب الأمم الظالمة، فإنه سيصيب كفار قريش؛ بسبب شركهم وكفرهم بما جاءهم من البينات ﴿وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: ليسوا بفائتين من العذاب ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ هذا استفهام إنكاري لسلوك المشركين، والمعنى ألم يعلم هؤلاء الذين قالوا إن الله أنعم عليهم لمحبهه لهم أنه يبسط الرزق لمن يشاء امتحانا له؛ ليرى هل يشكر أم يكفر؟ ويضيق في الرزق على من يشاء ليرى ما إذا كان يصبر أم يسخط، وليس لبسط الرزق أو تقتيره علاقة بمحبة الله لمن وسع عليه رزقه أو كرهه لمن

ضيق عليه هذا الرزق؛ فالأمر راجع إلى حكمة الله وتصرفه في خلقه؛ لأنه العالم بأحوالهم وما ينفعهم في دنياهم وأخراهم. ولهذا قال عز ذكره ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١﴾ أي: في هذا القضاء الذي قضاه، والقدر الذي قدره دلالات وبراهين للمؤمنين ليزدادوا إيماناً على إيمانهم وتوكلاً على توكلهم على ربهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير سفاهة الكافر حين يلجأ إلى الله عند ضره فيدعوه لإزالة هذا الضر؛ فإذا أنعم الله عليه وأزال عنه الضر طغى ونسي ما كان يدعو إليه وزعم أن الله أنعم عليه لمحبتة له كما قال قارون ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ، عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ ﴿١﴾. وفيها: تقرير أن الله ينعم على الكفرة والعصاة ابتلاء لهم ليرى أيرجعون ويتوبون إليه ويشكرونه أم يستمرون على كفرهم؟ فحينئذٍ تقوم عليهم الحجة فيحاسبهم الله. وفيها: أن إسباغ نعم الله على فرد أو قوم وتضييقه على آخرين لا يدل على محبتة لمن أنعم عليهم أو كرهه لمن ضيق عليهم، وإنما هي حكمة الله وقدره وتصرفه في خلقه بما ينفعهم في دنياهم وأخراهم. وفيها: أن في آيات الله عبراً وعظات للمؤمنين حتى يزدادوا إيماناً على إيمانهم وتصديقاً على تصديقهم ليكون ذلك أعظم لأجورهم.

(١) سورة القصص من الآية ٧٨ .

﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ٥٣ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَرُّرًا لِّكَ فَكَذَّبَتْ بِهَا وَاسْتَكْبَرَتْ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ ﴿

بيان الآيات:

﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ﴾ هذه آية عظيمة تدل على رحمة الله بعباده، ورأفته بهم من العذاب ففتح لهم باب التوبة، ووعدهم ووعدده الحق بأنه يغفر لهم جميع ذنوبهم إذا تابوا منها وأخلصوا في توبتهم. وسبب نزول هذه الآية: أن أناسا من المشركين كانوا قد قتلوا فأكثروا القتل، وزنوا فأكثروا الزنا فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزلت هذه الآية^(١) كما نزل قوله تعالى

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٥٨٧، وأخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله)، برقم (٤٨١٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٤١١.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾^(١). الآية. قوله ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ أي: لا تيأسوا من رحمته، فإن تبتم وأنبتم وأخلصتم التوبة غفر لكم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ أي: يغفر ويتجاوز عن جميع ذنوب من تاب إليه ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ هذه دعوة للمذنبين المسرفين على أنفسهم أن ينيبوا إلى ربهم فيرجعوا إليه، ويستسلموا له قبل أن يحل بهم العذاب بغتة، فلا يجدوا حينئذٍ ولياً ولا نصيراً لهم.

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: اتبعوا القرآن العظيم وامثلوا ما فيه من الأمر لكم بطاعة الله والنهي عن معاصيه ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أي: قبل أن يأتاكم العذاب فجأة من حيث لا تشعرون ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ أي: إذا جاء العذاب المباغت بدأت النفس تتحسر على تفريطها وغفلتها، وتعرف أنه لا ينفعها حينئذٍ إلا ما قدمته من العمل الصالح، فلما فقدت هذا العمل وحل بها العذاب، لم يكن أمامها إلا الندم والتحسر على تفريطها، وهذا لا ينفعها ﴿وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ﴾ أي: تقول وهي تندم وتتحسر:

(١) سورة الفرقان من الآية ٦٨ .

إنما كان عملي في الدنيا هو الاستهزاء والسخرية بعباد الله المؤمنين ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي فَأَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: تتمنى فتقول: ياليت الله هداني فأكون من المتقين، وأنجو من هذا العذاب الذي يحيط بي ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ أي: تقول النفس وهي في ندمها وتحسرها حين ترى العذاب: لو أن لي رجعة إلى الدنيا أتوب إلى الله وأخلص له العبادة وأتبرأ من الشرك والكفر والمعاصي وهو معنى قوله ﴿فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وقد أبى الله ذلك فقال ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ أَيْتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: يا أيها النادم والمتحسر على ما فعل سبق أن جاءتك الآيات البينات التي تدلك على طاعة الله وتنهاك عن معاصيه، وتبين لك سبل النجاة من العقاب فكنت تكذب بها وتستهزئ بها وتستكبر عن قبولها، ولم تستجب لنداء الرسول، ولم تقبل دعوة من يدعوك إلى الهدى، بل كنت من الكافرين الطغاة فلك اليوم ما تستحقه من العقاب.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير البشرى للمذنبين أن الله يغفر جميع ذنوبهم إذا تابوا منها، وأصلحوا وشاهدته قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾^(١). وقوله ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ

(١) سورة النساء من الآية ٢٧ .

يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾. وقوله ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا
 إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٢﴾. وفيها: النهي عن القنوط
 واليأس من رحمة الله لقوله تعالى ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا
 يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٣﴾. وفي حديث أنس بن مالك
 قال: سمعت رسول الله يقول: (والذي نفسي بيده لو اخطأتم حتى
 تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتكم الله تعالى لغفر
 لكم والذي نفسي بيده لو لم تخطئوا لجاء الله عز وجل بقوم يخطئون
 ثم يستغفرون الله فيغفر لهم) ﴿٤﴾.

وفيها: دعوة الله للعباد باتباع ما جاء في القرآن من الأوامر
 والنواهي، حتى لا يكونوا عرضة للعذاب المباغت لهم. وفيها: تقرير
 ندامة وحسرة الكافرين يوم القيامة على تفريطهم كما قال تعالى
 ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا
 يَحْسِرُنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ ﴿٥﴾.

(١) سورة المائدة الآية ٣٩ .

(٢) سورة النور من الآية ٣١ .

(٣) سورة يوسف من الآية ٨٧ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ج ٣ ص ٢٣٨، وابن ماجه مختصراً في كتاب الزهد، باب التوبة،
 برقم (٤٢٤٨)، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٤١٩ . قال الألباني: صحيح. سلسلة الأحاديث
 الصحيحة ج ٤ ص ٥٩٤، برقم (١٩٥١).

(٥) سورة الأنعام من الآية ٣١ .

وفيها: فساد مذهب الجبرية كقول أحدهم ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ مع أن الله قد جعل له إرادة وعقلا يهتدي به وبين له الطريق المستقيم، فلم يكن له حينئذٍ من عذر يعتذر به.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٦٠) وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ لما بين الله أهمية التوبة من الذنوب، ودعا العباد إلى الإنابة إليه، بين مصاعب يوم القيامة وأهواله للذين افتروا عليه وعلى رسوله الكذب، فنسبوا إليه جل وعلا الولد، ونسبوا السحر والكهانة لرسوله فيأتون يوم القيامة وقد اسودت وجوههم كما قال تعالى ﴿وُجُوهٌُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ (١). ﴿تَرْهَقُهَا قَفَرَةٌ﴾ (٢). ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ (٣). ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ هذا استفهام تقريرى بأن جهنم مقر ومقام للمتكبرين عن عبادة ربهم ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أي: ينجي برحمته

(١) سورة عبس الآية ٤٠ .

(٢) سورة عبس الآية ٤١ .

(٣) سورة عبس الآية ٤٢ .

المؤمنين الذين عبدوه حق عبادته، وأطاعوه حق طاعته، فلم يشركوا به شيئاً، ولم يفتروا الكذب عليه أو على رسوله. ﴿لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: لا يمسهم سوء يوم القيامة ولا يصيبهم حزن فيها.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير سواد وجوه الكافرين يوم القيامة كما قال تعالى ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾^(١). وفيهما: الحكم بأن الله ينجي المتقين من عباده فلا يمسهم السوء أو الحزن يوم القيامة .

﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾^(٦٣)
لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ
أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا
الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ .

بيان الآيات:

﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ﴾ هذا بيان من الله أنه خالق الأشياء كلها ما ظهر منها وما بطن، وأنه ما من خالق في الكون إلا الله،

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٦ .

فهو المدبر لخلقه المتصرف فيهم بحكمته وإرادته ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أي: حافظ ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: بيده مفاتيح الكون وخزائنه وكل ما فيه تحت ملكه وتصرفه وتدبيره، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض ولا أصغر منها ولا أكبر ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ﴾ أي: كذبوا براهينه ودلائله ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لأنفسهم في الدنيا والآخرة.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ نزلت هذه الآية -كما سبق ذكره- لما دعا المشركون في مكة رسول الله ﷺ إلى عبادة آلهتهم ورغبوه فيها فإذا فعل ذلك عبدوا إلهه^(١). والمراد قل يا محمد لهؤلاء المشركين الجهلة والسفهاء: أتأمروني أن أعبد آلهتكم من دون الله، فحاشا وكلا أن أفعل ذلك فأنا لا أعبد إلا الله الواحد الأحد الذي خلقني وهداني ورزقني فليس لي من رب غيره ولا من إله إلا هو.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن كل شيء في الكون علوه وسفله بيد الله وتحت تصرفه وإرادته، فهو المعين والمعيز والمغيث، فمن استعان أو استعاذ أو استغاث بغيره، فهو مشرك لا يقبل الله

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٦٣ .

منه عدلا ولا صرفا. وفيها: أن الكفرة يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة. وفيها: تقرير جهل المشركين وسفاهتهم في دعوتهم رسول الله ﷺ إلى عبادة أصنامهم مع أنهم يعرفون أنه جاء لإبطالها وتحريمها.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾

بيان الآيتين:

﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ والمعنى: لقد أوحى الله إليك وأوحى إلى الأنبياء من قبلك ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ﴾ أي: أشركت في عبادتك غيرنا ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ أي: ليبطلن كل عمل عملته ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أي: من الذين خسروا دنياهم وأخراهم فلم يبق لهم فيهما شيء سوى الخسارة ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾ أي: أعبد الله ووحده مطيعا منقادا له ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ له على ما أنعم به عليكم من نعمة النبوة ونعمة الإسلام.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير ما أوحى الله به إلى أنبيائه ورسله وآخرهم محمد ﷺ من أن الشرك محبط للعمل، فلا يقبل معه عمل مهما كان

عظمه لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾^(١). وقوله ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢). وفيهما: وجوب عبادة الله وحده وطاعته وحده والشكر له على نعمه وفضائله، وأولها وأهمها: نعمة الإسلام ومبعث رسول الله ﷺ.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٣).

بيان الآية:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الإشارة في هذا إلى المشركين أي: ما عظموه حق تعظيمه حين عبدوا معه أصناما وأوثانا، وعظموها وهم يعرفون أن الله هو الذي خلقهم وخلق أصنامهم، وأنه الأحق بالتعظيم والتقدير؛ لأن الأرض كلها في قبضته كما أنه يطوي السموات بيمينه لقوله تعالى ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تنزهه وتقديسه عن أن يكون له شريك في ملكوته.

(١) سورة النساء من الآية ٤٨ .

(٢) سورة الأنعام من الآية ٨٨ .

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بعظمة الله وقدرته المطلقة وتنزيهه عن الشرك به ومن مظاهر قدرته وعظمته: أن الأرض بطبقاتها ومكنوناتها ومن عليها تحت قبضته وأنه يطوي السماء لقوله تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾^(١). وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء خبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد أن الله عز وجل يجعل السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلائق على إصبع فيقول: أنا الملك. فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الخبر. ثم قرأ عليه الصلاة والسلام ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾^(٢).

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^(٣) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ

(١) سورة الأنبياء من الآية ١٠٤ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب في قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره)، برقم (٤٨١١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٤١٢ .

يَنْتَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوَفَّيْتُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾

بيان الآيات:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ هذه النفخة هي نفخة الصعق التي يموت فيها الأحياء من أهل السموات والأرض إلا من شاء الله، وتقبض الأرواح فلا يبقى إلا الله الواحد القهار قوله ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ قيل: إن المراد جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ثم يأمر الله إسرافيل أن ينفخ في الصور مرة ثانية وهي نفخة البعث^(١) لقوله تعالى ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ أي: أحياء بعد أن كانوا رفاتا، فإذا هم ينظرون أهوال القيامة ويستعدون للحساب ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ أي: تشرق الأرض يوم القيامة من نور الله إذا تجلى عز وجل للخلائق للفصل بينهم ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ المراد به الكتاب المدونة فيه أعمال العباد ﴿وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾ لكي يشهدوا على أممهم ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ وهم الملائكة الحفظة الكاتبون لأعمال العباد ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ أي: قضي بين الخلائق بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لا يُظلم أحد

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، ج ٣ ص ١٣٩، وتفسير ابن وهب ج ٢ ص ٢٤٧.

ولا يُجْزَى إِلَّا بِمَا عَمِلَ ﴿١﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴿٢﴾ أي: ما عملته من خير أو شر. ﴿٣﴾ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤﴾ أي: يعلم ما يفعله عباده من خير أو شر فيوفيههم جزاءه بالعدل.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير النفخ في الصور لأحداث الصعقة التي يموت فيها الأحياء، إلا من شاء الله، أو أنهم يصعقون فيغشون من شدة الصعقة، ولكنهم لا يموتون. وفيها: تقرير النفخة الأخرى للقيام لله رب العالمين كما قال تعالى ﴿١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجُبُونَ بِحَمْدِهِ ﴿٢﴾. وفيها: تقرير أحوال ذلك اليوم الذي يتجلى فيه رب العالمين للخلائق للحكم بينهم وفيه: يوضع الكتاب ويؤتى بالنبين والشهداء للشهادة على العباد وتكون أمة محمد ﷺ هي الشاهد على الأمم لقوله تعالى ﴿٣﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿٤﴾. وفيها: الحكم بأن الله يقضي بين خلقه بالعدل، لقوله تعالى ﴿٥﴾ فَلَا تَظْلِمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٦﴾. وقوله ﴿٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا

(١) سورة الإسراء من الآية ٥٢ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٤٣ .

(٣) سورة الأنبياء من الآية ٤٧ .

وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١﴾.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ
أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ
رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ
الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا
فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ أي: تسوق الملائكة
الكافرين إلى جهنم بعنف وشدة، وهم جماعات جماعات ﴿حَتَّىٰ إِذَا
جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ أي: فتحت بسرعة لتعجل لهم العقوبة
﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ مقرعين لهم ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ
عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾ أي: التي بينت لكم الحق من الباطل والهدى
من الضلال ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي: يحذرونكم من
شر هذا اليوم فكذبتموهم وآذيتموهم وطغيتم واستكبرتم ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾
لقد جاؤنا وأنذرنا وبينوا لنا طريق الحق ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ
الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي: غلبت علينا شقوتنا؛ بسبب معاداتنا
للحق وقبولنا للباطل ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي:

لا مخرج لكم ولا مفر لكم منها ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أي: فبئس المقام وبئس المكان الذي استحققتموه بسبب تكبركم وعنادكم.
أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير حال الكافرين يوم القيامة وما يتعرضون له من الذل والإهانة وتوبيخهم وهم يساقون إلى العذاب لقوله تعالى ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾^(١). أي: يدفعون إليها دفعا وقوله عز ذكره ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثَةً﴾^(٢). وفيهما: إقرار الكافرين بما جاءتهم به رسالهم من البراهين ولكن الشقاوة غلبت عليهم؛ بسبب إصرارهم على معاداة الحق. وفيهما: تقرير سوء عاقبة الاستكبار عن طاعة الله وعبادته.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^(٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ. وَأَوْثَرَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾^(٧٤).

بيان الآيتين:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ أي: يساق المؤمنون

(١) سورة الطور الآية ١٣ .

(٢) سورة مريم الآية ٨٦ .

المتقون إلى الجنة برفق ولطف وهم جماعة بعد جماعة وكل جماعة مع أختها، فالأنبياء مع الأنبياء، والصديقون مع الصديقين، والشهداء مع الشهداء وهكذا، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ أي: إذا وصلوا إلى الجنة وفتحت لهم أبوابها ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ أي: طاب مقامكم كما طاب عملكم ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ أي: ادخلوا الجنة خالدين مخلدين فيها. وبعدها يدخل المؤمنون الجنة ويرون فيها ما لم يخطر ببالهم من النعيم يحمدون الله على صدق وعده لهم، وما أنعم به عليهم من النعيم كما قال تعالى مخبرا عنهم ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ وقوله ﴿وَأَوْثَرْنَا الْأَرْضَ﴾ أي: أرض الجنة ﴿نَتَّبَوُا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ أي: نسكن فيها حيث شئنا ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ أي: نعم الأجر الذي أعطانا الله على عملنا في الدنيا.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير حال المتقين يوم القيامة وما يلاقونه من ربهم من العزة والكرامة ولقاء الملائكة لهم وتحيتهم لهم بالسلام عليهم وإبلاغهم أنهم مخلدون في الجنة.

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

بيان الآية:

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾

لما أخبر الله عز وجل أنه يقضي بين عباده فيساق أهل الجنة إليها وأهل النار إليها بين أن الملائكة في ذلك الموقف العظيم يقفون محدين حول عرش ربهم يسبحون بحمده ويعظمونه ويقدمونه ثم قال عز ذكره ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ أي: قضي بين الخلائق بالعدل فعندئذ يقول كل شيء في الكون ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على قضائه وعدله بين خلقه.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن الملائكة يحدقون في يوم الحساب بعرش ربهم يسبحونه ويقدمونه. تقرير: أن الله يقضي بالحق بين عباده في ذلك الموقف العظيم. تقرير: أنه بعد نهاية الحساب يقول كل من في الكون ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وينبني على هذا: أن من المستحب للعبد أن يفتح أموره بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ويختتمها بهذا الحمد كما قال عز وجل عن المؤمنين في الجنة ﴿وَعَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

(١) سورة يونس الآية ١٠ .

فهرس المجلد السابع

٥	تفسير سورة العنكبوت
	تفسير قوله تعالى ﴿الْمَ ١﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ
٥	يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ.. ﴿١-٤
٦	أحكام ومسائل الآيات
٦	تقرير أن المؤمن يفتن في دينه
٦	الابتلاء بالفتن من سنن الله في خلقه
	تقرير أن الذين يعملون السيئات لن يفلتوا من حساب الله
٦	على أفعالهم
	تفسير قوله تعالى ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ
٦	لَا تٍ .. ﴿٥-٧
٨	أحكام ومسائل الآيات
	تقرير أن الذي يعمل الصالحات ويتطلع إلى لقاء الله
٨	فإن لقاء الله آت
٨	نفع العمل يعود إلى صاحبه
٨	وعد الله بتكفير سيئات عباده إذا آمنوا وعملوا الصالحات
٨	تفسير قوله تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا .. ﴿٨-٩
٩	أحكام ومسائل الآيتين
٩	الحكم بوجوب بر الوالدين
١٠	وعد الله للمؤمنين أن يكونوا في زمرة الأنبياء
	تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ
١٠	فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ .. ﴿١٠-١١

- ١١ أحكام ومسائل الآيتين
- ١١ الحكم بضلال المنافقين
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
- ١١ أَتَبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطِيئَتَكُمْ .. ﴾ ١٢-١٣
- ١٢ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٢ الحكم بأن أحدا لا يحمل خطايا غيره
- ١٣ من صد عن سبيل الله يحمل وزره ووزر من أضله
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ
- ١٣ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا .. ﴾ ١٤-١٨
- ١٥ أحكام ومسائل الآيات
- ١٥ بيان الله لنبيه محمد ﷺ بطول مدة دعوة نوح - عليه السلام - ..
- ١٦ الهلاك عاقبة الظالمين
- ١٦ الحكم بتحريم عبادة غير الله
- ١٦ الأصنام لا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا
- ١٦ على العباد شكر الله
- ١٦ تهديد المشركين من أهل مكة
- تفسير قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ
- ١٦ يُعِيدُهُ .. ﴾ ١٩-٢٣
- ١٨ أحكام ومسائل الآيات
- ١٨ وجوب تفكير الخلق في نشأتهم
- ١٨ الحكم بأن الله كما ينشئ الخلق أولاً سينشئهم مرة أخرى
- ١٨ الحكم بعجز المخلوقين

- ١٨ تقرير يأس الكافرين من رحمة الله بسبب كفرهم
تفسير قوله تعالى ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا
- ١٨ أَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ...﴾ ٢٤-٢٥
٢٠ أحكام ومسائل الآيتين
بيان أن الطغاة يلجأون إلى معاقبة الداعين عندما
٢٠ يعجزون عن الحجج
العلاقة بين عبدة الأصنام وأصنامهم تنقلب إلى عداوة
٢٠ يوم القيامة
تفسير قوله تعالى ﴿فَأَمَنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى
- ٢٠ رَبِّي...﴾ ٢٦-٢٧
٢٢ أحكام ومسائل الآيتين
تقرير وجوب الهجرة عندما يجد المرء نفسه في قوم
٢٢ يشركون بالله ويؤذونه في دينه
٢٢ كون الهجرة سبباً لحصول نعم الله
تفسير قوله تعالى ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ
- ٢٢ لَتَأْتُونَ آلَافَ حِشَّةٍ...﴾ ٢٨-٣٠
٢٣ أحكام ومسائل الآيات
٢٣ تحريم جريمة اللواط
٢٤ تحريم المنكرات التي ترتكب في نوادي القمار والخمور
تفسير قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى
- ٢٤ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ...﴾ ٣١-٣٥
٢٦ أحكام ومسائل الآيات

- ٢٦ تقرير أن من يفعل الفاحشة يعد ظالماً
- ٢٦ الأهم في العلاقة بين البشر علاقة الدين
- الضيافة مما عرفته الأمم، وأن من واجبات المضيف
- ٢٦ حماية ضيفه
- ٢٦ الهلاك عاقبة الفواحش
- تفسير قوله تعالى ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ
- ٢٦ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ..﴾ ٣٦-٣٧
- ٢٧ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٧ تحريم الفساد في الأرض بكل أنواعه
- ٢٧ تقرير أن الله يهلك من ينتهك حرماته
- تفسير قوله تعالى ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ
- ٢٧ مِّن مَّسْكِنِهِمْ..﴾ ٣٨-٤٠
- ٢٩ أحكام ومسائل الآيات
- تقرير أن هلاك الأمم البائدة بسبب مازين لهم الشيطان
- ٢٩ من أعمالهم
- ٣٠ الطغيان سبب لهلاك الأمم واندثار حضارتها
- ٣٠ عقاب الله للأمم البائدة على حسب سلوكها
- ٣٠ الحكم أن الله قضي وقضاؤه الحق أنه لا يظلم أحداً
- تفسير قوله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ
- ٣٠ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا..﴾ ٤١-٤٣
- ٣١ أحكام ومسائل الآيات
- ٣١ فوائد ضرب الأمثلة للناس لتبسيط الأحكام لهم

تقرير أن الأمثال لا يفهمها إلا الذين استنارت بصائرهم

- ٣١ بالعلم والهدى
- تفسير قوله تعالى ﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ ۞ ٤٤-٤٥ ٣٢
- أحكام ومسائل الآيتين ٣٣
- تقرير وجوب تلاوة القرآن بتدبر ألفاظه ومعانيه ٣٣
- وجوب إقامة الصلاة في أوقاتها ٣٣
- الصلاة تمنع صاحبها عن إتيان الفواحش ٣٣
- وجوب ذكر الله في السر والعلن ٣٤
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ ۞ ٤٦ ٣٤
- أحكام ومسائل الآية ٣٥
- تقرير جواز مجادلة أهل الكتاب مجادلة حسنة ٣٥
- تقرير أن هذه المجادلة محصورة في الذين يريدون الحق ٣٥
- وجوب تصديق ما يقوله أهل الكتاب إذا كان قد ورد
- النص في كتاب الله على صدقه ٣٦
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ۖ ۞ ٤٧-٤٩ .. ٣٦
- أحكام ومسائل الآيات ٣٧
- تقرير أن الرسول ﷺ كان أمياً ٣٧
- الله أنزل القرآن آيات بينات ٣٨
- آيات الله لا يجدها إلا المعاندون ٣٨
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ ۖ ۞ ٣٨

٣٨ مِّن رَّبِّهِ... ﴿٥٠-٥٢
٤٠ أحكام ومسائل الآيات
٤٠ تقرير أن الرسول ﷺ لا يملك من أمر الآيات شيئاً
٤٠ القرآن أكبر معجزة جاء بها الرسول ﷺ
٤١ الخاسرون يوم القيامة هم الذين كذبوا الحق
٤١ تفسير قوله تعالى ﴿وَسْتََعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ...﴾ ٥٣- ٥٥
٤٢ أحكام ومسائل الآيات
٤٢ تقرير سفه المشركين وجهلهم في طلب العذاب
٤٢ تأجيل العذاب أو تعجيله لا يترتب على رغبة أحد
٤٢ إحاطة العذاب بالكافرين يوم القيامة
 تفسير قوله تعالى ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ
٤٢ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ...﴾ ٥٦- ٦٠
٤٤ أحكام ومسائل الآيات
 وجوب الهجرة من مكان لا يستطيع أن يقيم فيه المسلم
٤٤ شعائر دينه
٤٥ مامن نفس إلا سيدركها الموت
٤٥ إعداد الله الثواب للمهاجرين والمجاهدين
٤٥ الخروج للهجرة لا يمنع الرزق
 تفسير قوله تعالى ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
٤٥ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ...﴾ ٦١- ٦٣
٤٧ أحكام ومسائل الآيات
٤٧ تقرير سفاهة المشركين وجهلهم

- ٤٧ بسط الرزق أو تضيقه لا يدل على محبة الله أو عدم رضاه ..
تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ...﴾ ١٤-١٦ ..
- ٤٧ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٩ تقرير أن الدنيا دار لهو ولعب والآخرة دار الحياة الأبدية
- ٤٩ الإخبار بأن مشركي العرب كانوا يعترفون بربوبية الله ويشركون في ألوهيته
- ٤٩ المشركون يخلصون العبادة عندما يجدون أنفسهم في خطر ..
- ٤٩ الوعيد للذين يكفرون بآيات الله
- تفسير قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مِّنَّا وَيُحْطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ...﴾ ١٧-١٩ ..
- ٥٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٥١ تنديد الله بكفار قريش
- ٥١ تقرير أنه لا أحد أظلم ممن يفترى على الله الكذب
- ٥١ وعد الله أنه سوف يهدي الذي جاهد في سبيله
- ٥٢ تفسير سورة الروم
- ٥٢ تفسير قوله تعالى ﴿الْم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ...﴾ ١-٧ ..
- ٥٦ أحكام ومسائل الآيات
- تقرير أن رسول الله ﷺ قد صدق فيما أخبر عن ربه
- ٥٦ من غلبة الروم على فارس
- ٥٦ الحكم بأن الله لا يخلف عبادته ما يعدهم به من النصر

تقرير أن أهل الكتب المنزلة من السماء أقرب إلى المسلمين

- ٥٦ من غيرهم
- ٥٦ أكثر الناس يعلمون ظواهر الحياة الدنيا وأسبابها
- ٥٦ تفسير قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ..﴾ ٨-١٠
- ٥٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٥٨ وجوب تفكر المرء في خلق الله
- ٥٩ الحكم بأن الله لا يظلم أحدا من خلقه
- عاقبة السوء المتمثل في الاستهزاء بآيات الله هي العقاب
- ٥٩ الشديد
- تفسير قوله تعالى ﴿اللَّهُ يُبَدِّلُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ..﴾ ١١-١٦
- ٥٩ أحكام ومسائل الآيات
- ٦٠ تقرير أن الذي ينشئ الخلق قادر على إعادته
- ٦٠ يأس المجرمين من رحمة الله يوم القيامة
- تفسير قوله تعالى ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ..﴾ ١٧-٢١
- ٦١ أحكام ومسائل الآيات
- ٦٣ وجوب حمد الله وتسبيحه في الغدو والعشي
- ٦٣ الدلالة على عظمة الله وقدرته في خلق الأشياء المتضادة
- الدلالة على كمال قدرته وعظيم صنعه في إنشاء الخلق
- ٦٣ من تراب
- من آيات الله الدالة على عظمته أن جعل الخلق أزواجا

- ٦٣ وغرس المحبة بينهم
- ٦٣ تفسير قوله تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السِّنِّكُمْ وَالْوَنُكْمُ... ﴾ ٢٢-٢٥
- ٦٦ أحكام ومسائل الآيات
- ٦٦ بيان عظمة الله في تعداد ووصف آياته
- ٦٦ تقرير حكمة الله في اختلاف أسنة خلقه وألوانهم
- ٦٦ حكمة الله في جعل الليل سكناً لخلقه
- ٦٧ إن من آيات الله ما فيه تخويف للعباد كالبرق
- ٦٧ الذين يدركون عظمة الله هم الذين يعونها بقلوبهم
- ٦٧ تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ... ﴾ ٢٦-٢٧
- ٦٨ أحكام ومسائل الآيتين
- ٦٨ الحكم بأن الله هو الذي يخلق الخلق
- ٦٨ الحكم بوحداية الله وأنه لا مثيل له
- ٦٨ تفسير قوله تعالى ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ... ﴾ ٢٨-٢٩ ...
- ٧٠ أحكام ومسائل الآيتين
- تقرير أن الله يضرب الأمثال للناس لتقريب المعاني
- ٧٠ إلى أفهامهم
- ٧٠ الهوى هو السبب في معصية الله
- ٧٠ تفسير قوله تعالى ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا... ﴾ ٣٠-٣٢
- ٧١ أحكام ومسائل الآيات
- ٧١ الحكم بوجوب الالتزام بدين الإسلام

- ٧٢ التحذير من تبديل الفطرة
- ٧٢ وجوب الإنابة إلى الله
- ٧٢ التحذير من التفرق في الدين
- ٧٣ تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ مَنَّ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ..﴾ ٣٣-٣٧ ...
- ٧٥ أحكام ومسائل الآيات
- ٧٥ تقرير سفه المشركين وجهلهم
- ٧٥ تهديد المشركين بأنهم سيجدون سوء عاقبة فعلهم يوم القيامة ..
- ٧٥ تقرير أنه ليس للمشركين حجة أو برهان فيما يفعلونه
- ٧٥ فريق من الناس وهم السفهاء إذا أصابهم رحمة يفرحون بها وإذا أصابهم مرض يئسوا من رحمة الله
- ٧٥ تقرير حكم الله وتدبيره في خلقه أنه يوسع الرزق على من يشاء من عباده
- ٧٥ تفسير قوله تعالى ﴿فَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ..﴾ ٣٨-٤٠
- ٧٧ أحكام ومسائل الآيات
- ٧٧ وجوب بذل النفقة للأقارب ونوعيتها
- ٧٨ وجوب إعطاء الفقير وذو الحاجة وابن السبيل
- ٧٨ تقرير أن الذي يعطي عطية وينتظر مقابلها ليس له أجر
- ٧٨ تقرير مضاعفة الأجر للذي يعطي العطية ابتغاء مرضات الله ..
- ٧٨ تقرير عظمة الله وقدرته في الخلق
- ٧٨ تفسير قوله تعالى ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ

- ٧٨ ٤١-٤٢ ﴿أَيَّدِي النَّاسِ..﴾
- ٨٠ أحكام ومسائل الآيتين
- ٨٠ إذا أفسد الناس علاقتهم مع الله بانتهاك محارمه انتقم منهم ..
- ٨٠ أن الله عز وجل ينذر الناس بسوء عاقبة المعاصي ليتوبوا منها ..
- التفكر في أحداث الأمم الماضية واجب إما بمعاينة ما حدث
- ٨٠ لها أو بقراءة تواريخها
- تفسير قوله تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ، مِنْ اللَّهِ..﴾ ٤٣-٤٥
- ٨٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٨٢ الحكم بوجوب الاستقامة على دين الإسلام
- ٨٢ تقرير أن من كفر في الدنيا وجد في الآخرة جزاء كفره
- ٨٢ تقرير أن الله لا يحب من كفر به
- تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ
- ٨٢ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ..﴾ ٤٦-٤٧
- ٨٣ أحكام ومسائل الآيتين
- ٨٣ الحكم بعظمة الله وقدرته
- ٨٣ الحكم بأن نعم الله على عباده تستوجب شكره
- ٨٤ تقرير أن الله ينتقم من المجرمين
- ٨٤ وعد الله -عز وجل- بنصر المؤمنين
- تفسير قوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا
- ٨٤ فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ..﴾ ٤٨- ٥١
- ٨٥ أحكام ومسائل الآيات

- ٨٥ بيان الله كيف ينشئ السحاب
- ٨٦ وجوب التفكير فيما ينتج بعد المطر
- ٨٦ القادر على إنبات النبات قادر على إحياء الموتى
- ٨٦ من العباد من ينسى نعم الله
- ٨٦ تفسير قوله تعالى ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ..﴾ ٥٢-٥٣
- ٨٧ أحكام ومسائل الآيتين
- ٨٧ التنديد بالكافرين لعدم سماعهم نداء الحق
- ٨٧ لا يسمع آيات الله إلا الذين آمنوا وخضعوا له
- تفسير قوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ
- ٨٧ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ..﴾ ٥٤
- ٨٨ أحكام ومسائل الآية
- ٨٨ تقرير تطور خلق الإنسان وتدرجه
- ٨٨ بيان قدرة الله عز وجل وتفرد بالخلق
- تفسير قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ
- ٨٨ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ..﴾ ٥٥-٥٧
- ٨٩ أحكام ومسائل الآيات
- ٨٩ إنكار المجرمين مدة لبثهم في الدنيا لئلا تقوم عليهم الحجة ...
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ
- ٩٠ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ..﴾ ٥٨-٦٠
- ٩١ أحكام ومسائل الآيات
- ٩١ تقرير أن الله قد أقام الحجة على العباد

- ٩١ تقرير أن المكذبين بآيات الله لا يستهدون بحجة
- الأمر لرسول الله ولأئمة أن يصبروا على ما أصابهم
- ٩١ من الأذى في سبيل الدعوة
- ٩١ الأمر كذلك بالثبات على دين الإسلام
- ٩٢ تفسير سورة لقمان
- تفسير قوله تعالى ﴿الْم ١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ
- ٩٢ الْحَكِيمِ .. ﴿٥-١﴾
- ٩٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٩٣ تقرير فضل القرآن وآياته المعجزات
- ٩٣ القرآن هدي ورحمة لمن آمن وصدق به
- ٩٣ وجوب الصلاة والزكاة والإيمان بالبعث
- ٩٣ من اهتدى بالقرآن يكون على هدى من الله
- تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ
- ٩٣ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ .. ﴿٧-٦﴾
- ٩٥ أحكام ومسائل الآيتين
- ٩٥ الحكم بتحريم اللهو من القول والفعل
- ٩٥ تحريم الاستهزاء بآيات الله
- ٩٥ تحريم الكبر بأنواعه
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
- ٩٥ جَنَّاتُ النَّعِيمِ .. ﴿١١-٨﴾
- ٩٧ أحكام ومسائل الآيات

- ٩٧ تقرير وعد الله للمؤمنين بأن لهم جنات النعيم
- ٩٧ بيان قدرة الله في خلق الكون العلوي والسفلي
- ٩٧ تقرير ضلال المشركين بسبب إعراضهم عن الحق
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ ۞﴾ ١٢-١٥ ٩٧
- ١٠٠ أحكام ومسائل الآيات
- ١٠٠ تقرير أن الله يمن على من يشاء من عباده
- ١٠٠ التحذير من الشرك
- ١٠٠ الأمر ببر الوالدين وتعظيم حق الأم
- ١٠١ حق الوالدين لا يعلو على حق الله
- ١٠١ الأمر للمسلم باتباع سبيل المؤمنين
- ١٠١ الخلائق مرجعها إلى الله
- تفسير قوله تعالى ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۚ ۞﴾ ١٦-١٩ ١٠١
- ١٠٣ أحكام ومسائل الآيات
- ١٠٣ مامن عمل مهما كان حجمه إلا ويعلمه الله
- ١٠٣ وجوب إقامة الصلاة بأركانها وشروطها
- ١٠٣ وجوب الأمر بكل ما فيه خير والنهي عن كل ما فيه شر
- ١٠٤ وجوب الصبر على ما ينال المسلم بسبب دينه
- ١٠٤ تحريم الكبر والاستعلاء على الناس
- ١٠٤ تحريم المشي خيلاء

- ١٠٤ وجوب غض الصوت لما في رفعه من النكارة والقبح
 تفسير قوله تعالى ﴿الْمَرْوَا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾ ٢٠-٢١ ١٠٤
- ١٠٦ أحكام ومسائل الآيتين
 الدعوة إلى التفكير فيما سخره الله لخلقه ١٠٦
 وجوب الإقرار بنعم الله الظاهرة والباطنة ١٠٦
 الحكم بتحريم الجدل بالباطل ١٠٦
 تحريم تقليد من يضل عن الطريق السوي ١٠٦
 تفسير قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
 فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى...﴾ ٢٢-٢٤ ١٠٦
- ١٠٧ أحكام ومسائل الآيات
 من اتجه إلى الله بوجهه وقلبه مخلصا فإن الله ينجيه ١٠٧
 الكافر لا يضر بكفره أحدا بل يضر نفسه ١٠٨
 الكافرون بالله يمتعون قليلا ثم يعذبون ١٠٨
 تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ...﴾ ٢٥-٢٦ ١٠٨
- ١٠٩ أحكام ومسائل الآيتين
 جهل مشركي العرب وسفاهتهم ١٠٩
 تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ
 يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ...﴾ ٢٧-٢٨ ... ١٠٩
- ١١٠ أحكام ومسائل الآيتين
 الحكم بأن الله يتكلم كما يليق بجلاله ١١٠

- ١١٠ كلمات الله غير متناهية
- ١١٠ خلق الخلائق وبعثهم مثل خلق نفس واحدة
- تفسير قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ .. ﴾ ٢٩-٣٠
- ١١١ أحكام ومسائل الآيتين
- ١١٢ تقرير الدلائل العظيمة والآيات البينات التي تقرر وجوب توحيد الله
- ١١٢ كل أعمال المشركين أعمال باطلة
- ١١٢ ثبوت علو الله في ذاته وأسمائه
- تفسير قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ .. ﴾ ٣١-٣٢
- ١١٢ أحكام ومسائل الآيتين
- الحكم بأنه ما من شيء يسير في السموات والأرض إلا بإرادة الله
- ١١٣ وجوب الصبر على أقدار الله
- تقرير لجوء المشركين إلى الله في الضراء ودعاء الأصنام معه في السراء
- ١١٤ تفسير قوله تعالى ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا .. ﴾ ٣٣
- ١١٤ أحكام ومسائل الآية
- ١١٥ وجوب تقوى الله في السر والعلن
- ١١٥ وجوب خشية يوم القيامة

- الوعد بقيام الساعة لا ريب فيه ١١٥
- التحذير من غرور الدنيا والاطمئنان إليها ١١٥
- التحذير من غرور الشيطان والركون إلى وعده ١١٦
- تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ .. ﴾ ٣٤ ١١٦
- أحكام ومسائل الآية ١١٧
- تقرير عدد مفاتيح الغيب ١١٧
- تفسير سورة السجدة** ١١٨
- تفسير قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَنْزِلْ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ .. ﴾ ١ - ٣ ١١٨
- أحكام ومسائل الآيات ١١٨
- الحكم بأن الله أنزل القرآن على نبيه محمد ﷺ ١١٨
- تقرير تكذيب المشركين والكافرين أن محمداً ﷺ هو الذي اختلق القرآن ١١٩
- الحكم بأن القرآن منزل من عند الله ليكون نذيراً للعرب وغيرهم ١١٩
- تفسير قوله تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ .. ﴾ ٤-٦ ١١٩
- أحكام ومسائل الآيات ١٢٠
- الحكم بأن الله عز وجل خلق السموات والأرض وما

- بينهما في ستة أيام ١٢٠
- إن الله استوى على العرش استواء يليق بجلاله وعظمته ١٢٠
- الحكم بأنه لا ولي للخلق إلا الله ١٢٠
- تدبير الخلق وتصريفهم يقرره الله في السماء ١٢٠
- أفعال العباد وأعمالهم تعرج إلى الله ١٢١
- إن الله هو الذي يعلم الغيب وحده ١٢١
- شهادة الله على أفعال العباد ١٢١
- تفسير قوله تعالى ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ...﴾ ٧-٩ ١٢١
- أحكام ومسائل الآيات ١٢٢
- الحكم بأن الله أتقن صنع الأشياء ١٢٢
- تقرير صنع الله للإنسان ١٢٢
- تقرير نعمة السمع والبصر ١٢٢
- وجوب شكر الله على نعمه ١٢٢
- تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالُوا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ...﴾ ١٠-١١ ١٢٢
- أحكام ومسائل الآيتين ١٢٣
- تقرير كفر المنكرين للبعث ١٢٣
- ملك الموت هو الموكل بقبض الأرواح ١٢٣
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ...﴾ ١٢-١٤ ١٢٤
- أحكام ومسائل الآيات ١٢٥
- وصف حال المكذبين بالبعث يوم القيامة ١٢٥

- ١٢٥ اقتضاء مشيئة الله أن يكون للنار أهل وللجنة أهل
- ١٢٥ وجوب المجازاة بالمثل
- تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ .. ﴾ ١٥-١٧ ١٢٥
- ١٢٧ أحكام ومسائل الآيات
- ١٢٧ تحريم الاستكبار عن عبادة الله
- ١٢٧ فضل قيام الليل
- ١٢٧ وعد الله للمؤمنين جزيل الثواب
- تفسير قوله تعالى ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ .. ﴾ ١٨-٢٢ ١٢٨
- ١٢٩ أحكام ومسائل الآيات
- ١٢٩ تقرير عدم التسوية بين المؤمن والفاسق
- ١٣٠ تقرير جزاء المؤمنين وجزاء الفاسقين
- ١٣٠ الذين يكذبون الرسل قد يأخذهم الله بعذاب في الدنيا
- ١٣٠ لا أحد أظلم ممن جاءته آيات الله ثم تولى عنها جحوداً وكفراً..
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ .. ﴾ ٢٣-٢٥ ١٣٠
- ١٣١ أحكام ومسائل الآيات
- تقرير أن الله كما أنزل على موسى التوراة أنزل على
- ١٣١ محمد ﷺ القرآن
- ١٣١ تأكيد الإسراء والمعراج
- تقرير أن الله جعل من بني إسرائيل أئمة يدعون إلى الله

لما كانوا صابرين على طاعته فلما بدلوا في كتابهم سلب

- ١٣١ الله هذه الصفة منهم
- ١٣٢ الحكم بأن الله عز وجل سوف يحكم بينهم
- ١٣٢ تفسير قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ ٢٦-٢٧
- ١٣٣ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٣٣ وجوب الاتعاظ بما حل بالأمم السابقة
- ١٣٣ تقرير جهل المشركين والكافرين
- ١٣٣ تفسير قوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٢٨-٣٠
- ١٣٤ أحكام ومسائل الآيات
- ١٣٤ تقرير سفاهة المشركين باستعجالهم العذاب تكذيباً له
- التوبة تكون في حال الإمهال أما إذا حل العذاب وحضر الموت فلا ينفع ندم ولا توبة
- ١٣٤
- ١٣٥ تفسير سورة الأحزاب
- تفسير قوله تعالى ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ ١-٣
- ١٣٥
- ١٣٦ أحكام ومسائل الآيات
- ١٣٦ وجوب تقوى الله
- ١٣٦ تحريم طاعة الكافرين والمنافقين
- ١٣٧ وجوب اتباع ما أوحى الله إلى نبيه من القرآن

- ١٣٧ وجوب التوكل على الله
- تفسير قوله تعالى ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ .. ﴾ ٥-٤ ١٣٧
- ١٣٩ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٣٩ الحكم بأن الله لم يجعل للمرء إلا عقلا واحدا
- ١٣٩ تحريم الظهار الذي كان سائدا في الجاهلية
- ١٤٠ تحريم التبني وما يترتب عليه من أحكام
- ١٤١ وجوب مناداة المرء المتبني بأبيه
- ١٤١ انتفاء الإثم إذا أخطأ الإنسان في نسبة شخص إلى غير أبيه
- ١٤١ تفسير قوله تعالى ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ .. ﴾ ٦
- ١٤٣ أحكام ومسائل الآية
- ١٤٣ وجوب تقديم إرادة رسول الله ﷺ على إرادة المسلم
- ١٤٤ حرمة أزواج رسول الله ﷺ وأنهن أمهات المؤمنين
- ١٤٤ حصر التوارث بين أولي الأرحام وما يقتضيه ذلك
- الاستثناء من الحكم إذا كان بحكم الوصية الجائزة
- ١٤٤ بمقدار الثلث فما دونه
- ١٤٤ تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ .. ﴾ ٧-٨ ...
- ١٤٥ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٤٥ الحكم بأن الله أخذ العهد والميثاق على الأنبياء والمرسلين
- ١٤٥ سؤال الله للأنبياء عن رسالته هل بلغوها؟
- تفسير قوله تعالى ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ .. ﴾ ٩-١١ ١٤٥

- أحكام ومسائل الآيات ١٤٨
- وجوب تذكر نعم الله على العبيد ١٤٨
- غزوة الأحزاب للمدينة كانت نتيجة تأمر المشركين واليهود ١٤٨
- التنديد بسوء الظن ١٤٨
- تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ ١٤-١٥ ١٤٩
- أحكام ومسائل الآيات ١٥٠
- التنديد بسلوك المنافقين ١٥٠
- وجوب الحذر من المنافقين وعدم الركون إليهم ١٥٠
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَرَ﴾ ١٥-١٧ ١٥٠
- أحكام ومسائل الآيات ١٥١
- الحكم بوجوب الوفاء بالعهد ١٥١
- تقرير أن الفرار من الجهاد لا يؤجل الموت ١٥١
- لا يعصم أحد غيره من الله ١٥٢
- تفسير قوله تعالى ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ ١٨-١٩ ١٥٢
- أحكام ومسائل الآيتين ١٥٣
- التنديد بسلوك المنافقين وجبنهم عن الجهاد ١٥٣
- ذم الشح والبخل ١٥٣
- ذم كثرة الكلام ١٥٣
- المنافقون لا يؤمنون ١٥٤

- ١٥٤ ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ ٢٠ .. تفسير قوله تعالى
- ١٥٥ أحكام ومسائل الآية
- ١٥٥ تقرير أن المنافقين لا يحبون الخير للمؤمنين
- ١٥٥ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ ٢١-٢٢ .. تفسير قوله تعالى
- ١٥٦ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٥٦ الحكم بوجوب الاقتداء برسول الله ﷺ
- ١٥٦ مدح الله للمؤمنين الذين يثبتون عند لقاء العدو
- ١٥٧ ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ ٢٣-٢٤ .. تفسير قوله تعالى
- ١٥٨ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٥٨ ثناء الله على المؤمنين الذين يوفون بالعهد
- ١٥٨ ذم المنافقين وتحقيرهم بسبب سلوكهم
- ١٥٨ ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ ٢٥ .. تفسير قوله تعالى
- ١٥٩ أحكام ومسائل الآية
- ١٥٩ تقرير إرادة الله في هزيمة الأحزاب
- ١٥٩ إخبار الله عن خيبة الأحزاب
- ١٥٩ كفى الله المؤمنين شر قتال الأحزاب
- ١٥٩ ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ ٢٦-٢٧ .. تفسير قوله تعالى
- ١٦١ أحكام ومسائل الآيتين

- ١٦١ تقرير أن مآل نقض العهد الهزيمة والعقاب
- ١٦٢ تقرير قدرة الله في هزيمة أعداء دينه
- ١٦٢ الحكم أن الله يورث الأرض لعباده الصالحين
- ١٦٢ تقرير قدرة الله في نصر عباده
- تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا فَنِعَالَيْنَ أُمَتَّعَنَّ وَأَسْرَحَنَّ سَرًا حَسَنًا...﴾ ٢٨-٢٩
- ١٦٢ جميلًا
- ١٦٤ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٦٤ المشروع للزوج إذا طلبت الزوجة الطلاق أن يطلقها
- ١٦٤ فضل أمهات المؤمنين رضي الله عنهن
- ١٦٤ مشروعية إعطاء المرأة بعد طلاقها بعض المال
- ١٦٤ من يحسن عمله ينال الأجر
- تفسير قوله تعالى ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَّفَ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ...﴾ ٣٠-٣١
- ١٦٥ أحكام ومسائل الآيتين
- تقرير مضاعفة العذاب لمن له خصائص في الفضل إذا أتى بفاحشة
- ١٦٥ أتى بفاحشة
- ١٦٦ فضل طاعة الله واتباع رسوله ﷺ
- تفسير قوله تعالى ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ...﴾ ٣٢-٣٤
- ١٦٦ أحكام ومسائل الآيات
- ١٦٨ الحكم بتحريم خضوع المرأة في كلامها

- الأمر بقرار المرأة في بيتها ١٦٩
- تحريم تبرج الجاهلية ١٦٩
- الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله ١٦٩
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ..﴾ ٣٥ ١٦٩
- سبب نزول الآية ١٦٩
- أحكام ومسائل الآية ١٧١
- تقرير أن الإسلام غير الإيمان ١٧١
- فضيلة القنوت ١٧١
- فضل الصدق في القول والعمل ١٧١
- فضيلة الصبر عند الشدائد ١٧٢
- فضيلة الخشوع وهو السكينة ١٧٢
- فضيلة الصدقة ١٧٢
- فضيلة الصيام ١٧٣
- وجوب حفظ الفرج عن المحرمات ١٧٣
- فضيلة ذكر الله في السر والعلن ١٧٣
- تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ..﴾ ٣٦-٣٧ ١٧٣
- أحكام ومسائل الآيتين ١٧٦
- الحكم بأنه لا خيار للمؤمن ولا للمؤمنة فيما قضى الله ١٧٦
- من يعصي الله ورسوله فقد ضل ١٧٦
- عتاب الله نبيه محمدا على ما يخفيه تحرزا من اللائمة ١٧٦
- رسول الله ﷺ كان يخفي رغبته لأنه كان يخشى القيل والقال .. ١٧٦

- ١٧٧ إبطال عادة التبني إلى الأبد
- ١٧٧ الكفاءة في الدين لا في النسب
- تفسير قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ... ﴾ ٣٨
- ١٧٧ أحكام ومسائل الآية
- ١٧٨ نفي الله الحرج عن نبيه في زواجه من زينب
- ١٧٨ نفي أبوة رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة
- تفسير قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ .. ﴾ ٣٩-٤٠
- ١٧٨ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٧٩ ثناء الله عز وجل على الذين يبلغون رسالاته
- ١٨٠ الحكم بأن رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء
- تفسير قوله تعالى ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا .. ﴾ ٤١-٤٤
- ١٨٠ أحكام ومسائل الآيات
- ١٨٢ وجوب ذكر الله والثناء على الذاكرين
- ١٨٢ وجوب تسبيح الله في الصباح والمساء
- ١٨٢ صلاة الله على عباده
- ١٨٢ صلاة الملائكة على العباد ومعناها
- ١٨٣ المؤمنون يحيون يوم القيامة بالسلام من الملائكة
- تفسير قوله تعالى ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا .. ﴾ ٤٥-٤٨
- ١٨٣

- أحكام ومسائل الآيات ١٨٤
- بعض صفات النبي ﷺ ١٨٤
- نهى الله لنبيه عن الاستماع لكلام الكافرين ١٨٥
- أمر الله لنبيه بالتجاوز عن الأذى ١٨٥
- تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ
ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ
تَعُدُّونَهَا...﴾ ٤٩ ١٨٥
- أحكام ومسائل الآية ١٨٦
- إباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها ١٨٦
- ليس على المطلقة قبل الدخول بها عدة ١٨٦
- حق المطلقة من المهر قبل الدخول عليها ١٨٦
- وجوب تحسين سراح المطلقة ١٨٦
- مشروعية متعة المطلقة ١٨٦
- تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي
ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ...﴾ ٥٠ .. ١٨٦
- أحكام ومسائل الآية ١٨٨
- تقرير عناية الله بنبيه ١٨٨
- إباحة الله تعالى للنبي ﷺ المرأة الواهبة نفسها ١٨٩
- عدم تغير شيء من نكاح المؤمنين ١٨٩
- تفسير قوله تعالى ﴿تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مَنْ
تَشَاءُ...﴾ ٥١ ١٨٩
- أحكام ومسائل الآية ١٩٠

- ١٩٠ تخيير الرسول في إرجاء من يشاء من أزواجه وإيواء من يشاء ..
- ١٩٠ وجوب العدل بين النساء في المبيت
- ١٩١ تفسير قوله تعالى ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ...﴾ ٥٢
- ١٩٢ أحكام ومسائل الآية
- ١٩٢ إكرام الله لزوجات رسوله ﷺ
- ١٩٢ مراقبة الله لأمر خلقه
- ١٩٢ تفسير قوله تعالى ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ...﴾ ٥٣-٥٤
- ١٩٤ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٩٤ تقرير وجوب الاستئذان في دخول بيوت الأجانب
- ١٩٤ تقرير أن الله لا يستحي من الحق
- ١٩٥ الأفضل مخاطبة الرجل للمرأة الأجنبية من وراء حجاب
- ١٩٥ تحريم إيذاء رسول الله ﷺ
- ١٩٥ تفسير قوله تعالى ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ءَابَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ...﴾ ٥٥
- ١٩٦ أحكام ومسائل الآية
- ١٩٦ تقرير المحارم الذين يحل للمرأة كشف وجهها لهم
- ١٩٦ أمر الله للنساء بالتقوى
- ١٩٦ تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ...﴾ ٥٦
- ١٩٧ أحكام ومسائل الآية

- ١٩٧ تقرير الفضل الذي أسبغه الله على نبيه
- ١٩٧ الأمر بالصلاة على النبي ﷺ
- ١٩٧ إجزاء أي صيغة من صيغ الصلاة الإبراهيمية في الصلاة
- تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .. ﴾ ٥٧-٥٨
- ١٩٨ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٩٨ تقرير عقاب من يؤذي الله ورسوله
- ١٩٩ تقرير الوعيد لمن يؤذي المؤمنين
- تفسير قوله تعالى ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ .. ﴾ ٥٩-٦٢
- ١٩٩ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٠١ الحكم بوجوب وضع الخمار على الجيب
- ٢٠١ ذم سلوك المنافقين ومن على شاكلتهم من أهل الفساد
- ٢٠١ الحكم بأن سنن الله في خلقه لا تبدل لها
- ٢٠١ تفسير قوله تعالى ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ .. ﴾ ٦٣-٦٨
- ٢٠٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٠٣ لا يعلم أحد وقت الساعة
- ٢٠٣ الساعة قد تكون قريبة
- ٢٠٣ طرد المنكرين للبعث من رحمة الله
- ٢٠٣ تمني الكافرين يوم القيامة لطاعة رسلهم
- ٢٠٣ وجوب عدم طاعة الضلال والغواية
- تفسير قوله تعالى ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ

- ٢٠٤ ءَاذُوا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا .. ﴿٦٩﴾
- ٢٠٤ أحكام ومسائل الآية
- ٢٠٤ الحكم بتحريم إيذاء النبي ﷺ بأية صفة
تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا
- ٢٠٥ قَوْلًا سَدِيدًا.. ﴿٧٠-٧١﴾
- ٢٠٥ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٠٥ وجوب تقوى الله بطاعته وتوحيده
- ٢٠٦ وجوب سلامة القول
- ٢٠٦ التقوى سبب في الإرشاد إلى الأعمال الصالحة
- ٢٠٦ في طاعة الله وطاعة رسوله الفوز العظيم
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
- ٢٠٦ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا.. ﴿٧٢-٧٣﴾
- ٢٠٧ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٠٧ الحكم بوجوب حفظ الأمانة
- ٢٠٧ تقرير جهل الإنسان في حمله للأمانة
- ٢٠٧ الإنسان حين حمل الأمانة افترق إلى منافق ومشرک ومؤمن ..
- ٢٠٨ تفسير سورة سبأ
- تفسير قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
- ٢٠٨ الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ.. ﴿١-٢﴾
- ٢٠٩ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٠٩ الحكم بوجوب صرف الشكر والثناء لله

- ٢٠٩ الحكم بأن الله هو العالم وحده بالأرض والسماء
تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ .. ﴾ ٣-١ ٢٠٩
- ٢١١ أحكام ومسائل الآيات
٢١١ تقرير حقيقة البعث والجزاء
٢١١ من حكم الله في البعث
٢١١ الذين أوتوا الكتاب والهداية يرون أن القرآن هو الحق
تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُكُمُ عَلَىٰ رَجُلٍ يَنْبِئُكُمْ إِذَا مُرِّقَتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ .. ﴾ ٧-٩ ٢١١
- ٢١٣ أحكام ومسائل الآيات
٢١٣ بيان سلوك المشركين المنكرين للبعث
حلم الله على المشركين والكفرة وذلك بامهالهم ليتفكروا
في قدرة الله على عذابهم ٢١٣
- ٢١٣ فضل الرجوع عن المعصية والتوبة إلى الله
٢١٣ تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا .. ﴾ ١٠-١١
٢١٤ أحكام ومسائل الآيتين
٢١٤ تقرير قدرة الله في جعل الجبال والطير تردد تسبيح داود
٢١٤ وجوب تعلم الصناعة وآلات الحرب
تفسير قوله تعالى ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ .. ﴾ ١٢-١٣ ٢١٥
- ٢١٦ أحكام ومسائل الآيتين
٢١٦ تأكيد قدرة الله - عز وجل -

- ٢١٦ حكم التماثيل والصور
- ٢١٦ و جوب شكر الله على نعمه وفضله
- تفسير قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ... ﴾ ١٤
- ٢١٦ أحكام ومسائل الآية
- ٢١٧ الحكم بأن الله وحده يعلم الغيب والاستدلال على ذلك
- تفسير قوله تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ ءَايَةٌ... ﴾ ١٥-١٩
- ٢١٧ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٢٠ وجوب شكر الله على نعمه والتحذير من الكفر بها
- ٢٢٠ صور وأمثلة من كفران نعمة الله - والعياذ بالله -
- ٢٢١ تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ... ﴾ ٢٠-٢١ ..
- ٢٢٢ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٢٢ تقرير أن إبليس قد صدق ظنه في إغواء الناس
- الفريق الذي آمن بالله حق الإيمان لم يصدق إبليس في ظنه فيه
- ٢٢٢ لم يكن لإبليس حجة على الناس
- تفسير قوله تعالى ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ... ﴾ ٢٢-٢٣
- ٢٢٢ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٢٤ الحكم بأن الله هو المعبود وحده وأن عبادة غيره باطلة
- ٢٢٤ لا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن أذن له

- ٢٢٤ تقرير أن الله إذا تكلم فزع أهل السموات إجلالا لعظمته
تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ
- ٢٢٥ قُلِ اللَّهُ... ﴿٢٤-٢٧
أحكام ومسائل الآيات ٢٢٦
مشروعية إقناع المدعو بالأمثلة التي تجعله يفكر بعقله ٢٢٦
حكم الله بين خلقه فيما اختلفوا فيه ٢٢٧
تحدي المشركين بأن عبادتهم للأصنام لا تتفق مع النقل
أو العقل ٢٢٧
تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ
بَشِيرًا وَنَذِيرًا .. ﴿٢٨-٣٠ ٢٢٧
أحكام ومسائل الآيات ٢٢٨
الحكم بعمومية رسالة رسول الله ﷺ ٢٢٨
تقرير جهل أكثر الناس ٢٢٨
يوم القيامة ويوم الأجل يومان محدودان ٢٢٨
تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا
الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ .. ﴿٣١-٣٣ ٢٢٨
أحكام ومسائل الآيات ٢٣٠
تقرير سلوك الكفار في عدم إيمانهم بالحق ٢٣٠
أتباع الضالين والمفسدين يلومونهم ٢٣٠
تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ
مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِءٍ كَافِرُونَ .. ﴿٣٤-٣٩ ٢٣١
أحكام ومسائل الآيات ٢٣٣

- ٢٣٣ تقرير أن المترفين في الأمم السابقة كذبوا رسلهم
- ٢٣٣ بسط الرزق وتقديره لحكمة
- ٢٣٤ المال والولد لا يقرب إلى الله بل العمل الصالح
- من يسعى في صد الناس عن الإسلام سوف يحضر
- ٢٣٤ يوم القيامة إلى العذاب
- ٢٣٤ ما من نفقة ينفقها العبد إلا ويخلفها الله
- تفسير قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ
- ٢٣٤ أَهْؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ..﴾ ٤٠-٤٢
- ٢٣٥ أحكام ومسائل الآيات
- الحكم ببراءة الملائكة والأنبياء من قبولهم عبادتهم من
- دون الله
- ٢٣٥ تكذيب المشركين ومنكري البعث يؤول بهم إلى العذاب
- ٢٣٦ تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمُ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا
- ٢٣٦ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ أَبَاؤُكُمْ..﴾ ٤٣-٤٥
- ٢٣٧ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٣٧ تقرير سفاهة المشركين وجهلهم
- ٢٣٧ تمنى العرب أن يأتيهم رسول من عند الله
- ٢٣٨ قوة العرب وحضارتهم لا تنفعهم إذا كذبوا الرسل
- ٢٣٨ تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ..﴾ ٤٦
- ٢٣٩ أحكام ومسائل الآية
- ٢٣٩ الرسول كما بعث مبشرا، بعث نذيرا
- ٢٣٩ تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرِ فَهَوْلِكُمْ..﴾ ٤٧-٥٠ ...

- ٢٤١ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٤١ الحكم بأن من يدعو إلى الله إنما يبتغي الأجر عنده
- ٢٤١ الحكم بأن نبوة محمد ﷺ هي الحق الذي أزال الباطل
- ٢٤١ تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ ۖ ﴾ ٥١-٥٤ ..
- ٢٤٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٤٣ الإيمان في الآخرة لا ينفع صاحبه لأن الآخرة ليست دارا للعمل ..
- ٢٤٣ الشك في الرسالة كفر
- ٢٤٤ تفسير سورة فاطر
- تفسير قوله تعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ
- ٢٤٤ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ۖ ﴾ ١-٢
- ٢٤٥ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٤٥ الحكم بوجوب حمد الله من خلقه
- ٢٤٥ تقرير قدرة الملائكة الذين يرسلون إلى الأنبياء
- ٢٤٥ كل شيء بيد الله وتحت قدرته
- ٢٤٥ تفسير قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۖ ﴾ ٣ ...
- ٢٤٦ أحكام ومسائل الآية
- ٢٤٦ وجوب ذكر نعم الله
- ٢٤٦ الخالق هو المستحق للعبادة
- ٢٤٦ العجب من حال المشركين
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّنْ
- ٢٤٦ قَبْلِكَ ۖ ﴾ ٤-٧

- أحكام ومسائل الآيات ٢٤٨
- تسليية الله لرسوله وللمؤمنين في كل مكان ٢٤٨
- الحكم بأن البعث واقع لامحالة ٢٤٨
- تحذير الأمة من الاغترار بالحياة ٢٤٨
- التحذير من الشيطان ٢٤٩
- تقرير الجزاء للكافرين بالعذاب ٢٤٩
- تفسير قوله تعالى ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ ٨ .. ٢٤٩
- أحكام ومسائل الآية ٢٥٠
- التحذير من الشيطان وأتباعه ٢٥٠
- الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، فمن أضل نفسه
باتباعه للشيطان أضله الله ٢٥٠
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فُسِقْنَهُ
إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ ٩-١١ ٢٥٠
- أحكام ومسائل الآيات ٢٥٢
- إحياء الله الأرض بعد موتها بما ينزله عليها وما يماثل ذلك ... ٢٥٢
- العزة في الدنيا والآخرة لا تكون إلا من الله ٢٥٣
- الذين يرتكبون السيئات يبطل الله مكرهم ٢٥٣
- علم الله بعلمه المطلق أمور خلقه ٢٥٣
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ
سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ ١٢-١٤ ٢٥٣
- أحكام ومسائل الآيات ٢٥٦
- عظمة الله وقدرته في خلق الأشياء المتضادة ٢٥٦

- ٢٥٦ تقرير قدرته في تعاقب الليل والنهار
- ٢٥٦ تقرير أن من يدعى من دون الله عاجز في ذاته
- ٢٥٦ من يدعى من دون الله يوم القيامة يتبرأ ممن دعاه
- ٢٥٦ تفسير قوله تعالى ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ط ..﴾ ١٥-١٨ ..
- ٢٥٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٥٨ تقرير أن الناس فقراء إلى الله
- ٢٥٩ تقرير قدرة الله في إفناء الخلق
- ٢٥٩ ما من أحد يحمل وزر غيره
- ٢٥٩ لا يستجيب للندارة الربانية إلا المؤمنون
- ٢٥٩ تقرير أن عمل العامل يعود إليه إن خيراً فخير وإن شراً فشر..
- ٢٥٩ تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ط ..﴾ ١٩-٢١ ..
- ٢٦٢ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٦٢ تقرير ضرب الأمثال للناس تيسيراً لأفهامهم
- ٢٦٢ تشبيه الكفار بالأموات
- ٢٦٢ تحديد رسالة محمد ﷺ بالبشارة والندارة
- ٢٦٢ الهلاك والعذاب عاقبة المكذبين للحق
- تفسير قوله تعالى ﴿الْمُرْتَدَّ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ط ..﴾ ٢٧-٢٨
- ٢٦٢ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٦٣ تقرير قدرة الله في تنويع المخلوقات وتغايرها
- ٢٦٤ تقرير فضل العلم وكونه يوصل إلى خشية الله
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا

٢٦٤ ٣٠-٢٩ ﴿...﴾ الصَّلَاةُ
٢٦٥ أحكام ومسائل الآيتين
٢٦٥ تقرير فضل القرآن وما في تلاوته وتدبره من الأجر العظيم ...
٢٦٥ تقرير فضل أداء ما فرض الله على عباده من العبادات
٢٦٥ تذكير الله للعباد بأنه غفار للذنوب
	تفسير قوله تعالى ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ
٢٦٥ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ٣١
٢٦٦ أحكام ومسائل الآية
٢٦٦ القرآن هو الكتاب الحق الذي أراده الله لنفع عباده
٢٦٦ القرآن مصدق للكتب المتقدمة
٢٦٦ الإيمان بالكتب السابقة يستلزم الإيمان بالقرآن
	تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ
٢٦٦ عِبَادِنَا﴾ ٣٥-٣٢
٢٦٨ أحكام ومسائل الآيات
٢٦٨ الحكم بوجوب الإيمان بالقرآن
٢٦٩ عدم الإيمان بالقرآن يعد كفرا
٢٦٩ تقرير فضل هذه الأمة
٢٦٩ تفسير قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ ٣٦-٣٧ ..
٢٧١ أحكام ومسائل الآيتين
٢٧١ تقرير أن أهل النار لا يحيون فيها ولا يموتون
٢٧١ تقرير إعذار الله للإنسان
	من جاءته الرسالة من الله فقد حجه الله فليس له يوم

- ٢٧١ القيامة من عذر
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ
- وَالْأَرْضِ...﴾ ٣٨-٣٩ ٢٧١
- ٢٧٢ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٧٢ تقرير أن بني آدم يتتابعون في التوارث على الأرض
- ٢٧٣ الاستمرار على الكفر يزيد من مقت الله
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ
- اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ...﴾ ٤٠-٤١ ٢٧٣
- ٢٧٥ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٧٥ تقرير أن المشركين في شركهم إنما يتبعون أهواءهم
- من لطائف الله ورحمته بعباده أنه يمسك السموات عن
- الاضطراب والزوال ٢٧٥
- ٢٧٥ إن الله حلیم على عباده رغم أنهم يعصونه
- تفسير قوله تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ
- نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ...﴾ ٤٢-٤٣ ٢٧٥
- ٢٧٧ أحكام ومسائل الآيتين
- تقرير كذب المشركين في ادعائهم الأفضلية في العبادة
- من اليهود والنصارى ٢٧٧
- ٢٧٧ المكر السيئ يعود على أصحابه بالوبال
- سنة الله لا تتبدل ولا تتغير ٢٧٧
- تفسير قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ
- عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...﴾ ٤٤-٤٥ ٢٧٧

٢٧٨ أحكام ومسائل الآيتين
٢٧٨ وجوب الاعتبار بما حل بالأُمم الهالكة
٢٧٩ تقرير قدرة الله - عز وجل - وأنه ما من شيء يعجزه
٢٨٠ تفسير سورة يس
٢٨٠ تفسير قوله تعالى ﴿يَسْ..﴾ ٧-١
٢٨١ أحكام ومسائل الآيات
٢٨١ الحكم بنبوة ورسالة محمد ﷺ
٢٨١ الغاية من رسالة رسول الله ﷺ إنذار قومه
٢٨١ العذاب جزاء من يجحد هذه الرسالة
٢٨١ تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا..﴾ ٨-١٢
٢٨٣ أحكام ومسائل الآيات
٢٨٣ تقرير أن من انطبع في قلوبهم الشرك أو الكفر لا يهتدون
٢٨٣ المؤمن الذي يخشى الله بالغيب هو الذي تنفع فيه النذارة
٢٨٣ إحياء الله للموتى ليوم لا ريب فيه
٢٨٤ تقرير حقيقة القضاء والقدر
 تفسير قوله تعالى ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مِّثْلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ
٢٨٤ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ..﴾ ١٣-١٩
٢٨٦ أحكام ومسائل الآيات
٢٨٦ تقرير ضرب الأمثال لما فيها من العظة والعبرة
٢٨٦ طبيعة الكفر لا تتغير بالزمان أو المكان
٢٨٦ حالة أهل الكفر إذا فقدوا الحجة

- ٢٨٦ تحريم التشاؤم
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ
- ٢٨٧ يَسْعَى ﴾ ٢٧-٢٠
- ٢٨٩ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٨٩ فضل الدعوة إلى الله والاستشهاد في سبيلها
- المؤمن إذا رأى ثواب الله لأوليائه تمنى أن كل الناس
- ٢٨٩ يؤدي ما أمر الله به
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ
- ٢٨٩ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾ ٣٢-٢٨
- ٢٩٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٩٠ تقرير قدرة الله في إهلاك المكذبين لرسلمهم
- ٢٩١ المكذبون للرسل يتحسرون إذا رأوا العذاب
- ٢٩١ تحريم الاستهزاء بآيات الله ورسله
- ٢٩١ وجوب الاعتبار بما حدث للأمم الهالكة
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَءَايَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا
- ٢٩١ وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾ ٣٦-٣٣
- ٢٩٢ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٩٢ تقرير الأدلة العقلية والحكمية على عظمة الله
- ٢٩٢ تقرير قدرة الله وعظمته في ازدواجية المخلوقات
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَءَايَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ
- ٢٩٣ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾ ٤٠-٣٧
- ٢٩٤ أحكام ومسائل الآيات

- ٢٩٤ توكيد قدرة الله في تسيير الكون
- ٢٩٤ توكيد قدرة الله في جعل الشمس تجري للمستقر
- ٢٩٥ توكيد قدرة الله في تسخير هذا الكون
- تفسير قوله تعالى ﴿وَأَيُّهُمُ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُم فِي الْفُلِّ
- ٢٩٥ الْمَشْحُونِ..﴾ ٤٤-٤١
- ٢٩٦ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٩٦ تقرير فضل الله ونعمته في إنجاء المؤمنين
- ٢٩٦ تقرير فضله على عباده أن خلق لهم من مثل سفينة نوح
- تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ
- ٢٩٧ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ..﴾ ٤٧-٤٥
- ٢٩٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٩٨ تقرير عناد المشركين حين دعوتهم
- تقرير أن المشركين يستهزئون بالفقراء إذا قيل لهم
- ٢٩٨ أعطوهم من مال الله
- تفسير قوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ
- ٢٩٨ صَادِقِينَ..﴾ ٥٤-٤٨
- ٣٠٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٠٠ الكفار يستبعدون قيام الساعة وينكرون البعث
- ٣٠٠ الساعة تأتي بغتة
- ٣٠١ فزع الكفار عند النفخ في الصور
- ٣٠١ الحكم بأن الله يعدل بين الخلائق حين يقفون بين يديه
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ

- ٣٠١ فَكُھُونَ ﴿٥٥-٥٨
- ٣٠٢ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٠٢ تقرير ما يتمتع به أهل الجنة من النعيم المقيم
- ٣٠٢ تقرير أن الله يشرف على أهل الجنة ويسلم عليهم
- ٣٠٢ تفسير قوله تعالى ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ..﴾ ٥٩-٦٢
- ٣٠٣ أحكام ومسائل الآيات
- تقرير أن المجرمين يتميزون يوم القيامة عن المؤمنين
- ٣٠٣ فيذهبون إلى العذاب
- ٣٠٣ تقرير عداوة الشيطان للإنسان
- ٣٠٤ عبادة الله هي الصراط المستقيم
- تفسير قوله تعالى ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ
- ٣٠٤ تُوعَدُونَ﴾ ٦٣-٦٧
- ٣٠٥ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٠٥ تقرير أن جوارح المجرمين تشهد عليهم يوم القيامة
- ٣٠٦ تحذير المشركين والكفرة من تعجيل العقوبة لهم في الدنيا ..
- تفسير قوله تعالى ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي
- ٣٠٦ الْخَلْقِ﴾ ٦٨-٧٠
- ٣٠٧ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٠٧ الحكم بأن القرآن كلام الله
- ٣٠٧ القرآن ذكر
- ٣٠٧ القرآن إنذار لإحياء القلوب
- تفسير قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا

- ٣٠٧ أَنْعَمَّا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١-٧٦﴾
- ٣٠٩ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٠٩ تقرير نعم الله على عباده بما هيا لهم من الأنعام
- ٣٠٩ تقرير غباء المشركين وسفاهتهم في مقابلة نعم الله عليهم
- ٣٠٩ الحكم بأن الأصنام لن تنفع عابديها
- ٣٠٩ تسلية رسول الله ﷺ في تكذيب قومه
- تفسير قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ ٧٧-٨٣
- ٣١٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٣١٢ من البراهين الدالة على قدرة الله على إحياء الموتى
- ٣١٣ كل شيء في الوجود واقع تحت مشيئة الله
- ٣١٤ تفسير سورة الصافات
- ٣١٤ تفسير قوله تعالى ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ ١-٥
- ٣١٥ أحكام ومسائل الآيات
- ٣١٥ تقرير قسم الله تعالى بالملائكة بيانا لفضلهم
- ٣١٥ الحكم بتوحيد الألوهية
- ٣١٥ تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ ٦-١٠ ..
- ٣١٦ أحكام ومسائل الآيات
- ٣١٦ تقرير أن الكواكب زينة في السماء لأهل الأرض
- تفسير قوله تعالى ﴿فَأَسْتَفْنِهِمْ أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ

- ٣١٧ خَلَقْنَا .. ﴿١٩-١١﴾
- ٣١٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٣١٨ وجوب سؤال المنكر للحقيقة بقصد تحديه
- ٣١٨ تقرير عن أصل الإنسان وأنه من الطين اللاصق
- ٣١٨ تقرير أن من طبع الكفر على قلبه ينكر ما يرى من البينات ..
- ٣١٩ تقرير بداية البعث
- ٣١٩ تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالُوا يُؤَيِّنُهَا هَذَا يُؤْمُ الدِّينِ ..﴾ ٢٠-٢٦ ..
- ٣٢٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٢٠ تقرير أن المنكرين للبعث يلومون أنفسهم
- ٣٢٠ الظالمون يحشر بعضهم مع بعض يوم القيامة
- ٣٢١ تفسير قوله تعالى ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ..﴾ ٢٧-٣٧ ..
- ٣٢٢ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٢٢ تقرير تخاصم المتبوعين والتابعين يوم القيامة
- ٣٢٣ أهل الضلال يشتركون في العذاب يوم القيامة
- ٣٢٣ عظم شهادة أن لا إله إلا الله
- ٣٢٣ الحكم بنبوة ورسالة رسول الله ﷺ
- ٣٢٤ تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ..﴾ ٣٨-٤٩ ...
- ٣٢٤ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٢٤ الجزاء حسب العمل
- ٣٢٤ استثناء الله لعباده المخلصين وتخصيصهم بالكرامة الأبدية ..
- ٣٢٥ تفسير قوله تعالى ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ..﴾ ٥٠-٦١ ..

- أحكام ومسائل الآيات ٣٢٦
- تقرير أن أهل الجنة يتحاورون بينهم ٣٢٦
- خطورة قرناء السوء ٣٢٦
- المنكرون للبعث يستهزئون بالمصدقين به ٣٢٦
- لا موت لأهل الجنة ٣٢٦
- تفسير قوله تعالى ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ..﴾ ٦٢-٧٤ .. ٣٢٧
- أحكام ومسائل الآيات ٣٢٩
- تقرير أن الله يمتحن عباده ٣٢٩
- جريان الشرك للأمم السابقة ٣٢٩
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحَ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ..﴾ ٧٥-٨٢ ٣٢٩
- أحكام ومسائل الآيات ٣٣٠
- تقرير أن الله يجيب دعوة عباده المؤمنين ٣٣٠
- إنجاء الله للمؤمنين من الكوارث ٣٣١
- ثناء الله على عباده المؤمنين في الملأ الأعلى ٣٣١
- تفسير قوله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ..﴾ ٨٣-٩٨ ٣٣١
- أحكام ومسائل الآيات ٣٣٣
- دين الأنبياء دين واحد وهو: التوحيد ٣٣٣
- ثناء الله على نبيه إبراهيم ٣٣٤
- للداعي إنكار المنكر بيده إذا استطاع ٣٣٤
- سلوك الطغاة واحد ٣٣٤

تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾

- سَيِّدِينَ.. ﴿٩٩-١١٣ ٣٣٤
- أحكام ومسائل الآيات ٣٣٧
- وجوب الهجرة من المكان الذي لا يقدر فيه العبد على
- عبادة الله ٣٣٧
- إسماعيل هو الذبيح ٣٣٧
- إسماعيل عليه السلام يعد الأول من العباد في بر والديه ٣٣٨
- فضل الأضحية وحكمها ٣٣٨
- ثناء الله وسلامه على المؤمنين ٣٣٨

تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ

- وَهَكُوتٍ.. ﴿١١٤-١٢٢ ٣٣٨
- أحكام ومسائل الآيات ٣٣٩
- تقرير فضل الله على موسى وهارون بالنبوة ٣٣٩
- النصر والغلبة دائماً تكون للمؤمنين ٣٣٩
- تفسير قوله تعالى ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ.. ﴿١٢٣-١٣٢.. ٣٤٠
- أحكام ومسائل الآيات ٣٤١
- تحريم عبادة الأصنام ٣٤١
- عاقبة تكذيب الرسل العذاب يوم القيامة ٣٤١
- تقرير أن الله يجزي المحسنين على إحسانهم ٣٤١
- ثناء الله على المؤمنين بسبب تقواهم ٣٤١
- تفسير قوله تعالى ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ.. ﴿١٣٣-١٣٨ ٣٤٢

- أحكام ومسائل الآيات ٣٤٣
- تقرير إهلاك الله لقوم لوط ٣٤٣
- أساس العلاقة بين العبد وغيره علاقة دين فحسب ٣٤٣
- وجوب التفكير والتدبر في أحكام الله وآياته ٣٤٣
- تفسير قوله تعالى ﴿وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ..﴾ ١٣٩-١٤٨ ... ٣٤٣
- أحكام ومسائل الآيات ٣٤٥
- تقرير مشروعية الاقتراع ٣٤٥
- فضل الذكر والدعاء ٣٤٥
- وجوب التعرف إلى الله في الرخاء ٣٤٥
- أهمية غذاء قرع اليقطين ٣٤٦
- تفسير قوله تعالى ﴿فَأَسْتَفْتِهِمُ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ
- الْبَنُونَ..﴾ ١٤٩-١٦٠ ٣٤٦
- أحكام ومسائل الآيات ٣٤٨
- إبطال كذب المشركين في جعل الملائكة بنات الله ٣٤٨
- رحمة الله بخلقه وتوجيه رسله أن يجادلوا المكذبين
- بالحق والبراهين العقلية ٣٤٨
- تفسير قوله تعالى ﴿فَأَنكُرُوا مَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ
- بِفَتْنَيْنِ..﴾ ١٦١-١٧٠ ٣٤٩
- أحكام ومسائل الآيات ٣٥٠
- تقرير أن أحدا لا يقدر أن يضل أحدا إلا من أضله الله ٣٥٠
- الحكم بأن الملائكة يعبدون الله ويطيعونه ٣٥٠

- تقرير كذب المشركين في زعمهم أنه لو أنزل الله عليهم
 كتاباً لآمنوا به ٣٥٠
- الحكم بعقاب الله للمكذبين للقرآن ٣٥١
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمُنَا لِعِبَادِنَا
 الْمُرْسَلِينَ..﴾ ١٧١-١٨٢ ٣٥١
- أحكام ومسائل الآيات ٣٥٢
- النصر وحسن العاقبة لدين الله ٣٥٢
- وجوب التسبيح بحمد الله سرّاً وعلانية ٣٥٣
- تفسير سورة ص ٣٥٤
- تفسير قوله تعالى ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ..﴾ ١-٣ ٣٥٤
- أحكام ومسائل الآيات ٣٥٥
- القرآن هو كتاب الله المنزل ٣٥٥
- تقرير أن عداوة الكفار للرسول ﷺ كانت بسبب كبريائهم ٣٥٥
- تقرير هلاك الكافرين من الأمم السابقة بسبب تكذيبهم لرسولهم.. ٣٥٥
- تفسير قوله تعالى ﴿وَعَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ..﴾ ٤-١١ ٣٥٥
- أحكام ومسائل الآيات ٣٥٨
- تقرير عدا المشركين لرسول الله وتكذيبهم له ٣٥٨
- تقرير سفاهة المشركين ونقص عقولهم ٣٥٨
- تقرير تحدي الله للمشركين لإظهار نقصهم ٣٥٨
- المكذبون لرسول الله ﷺ وما جاء به ما هم إلا جند مهزوم ... ٣٥٨

- ٣٥٨ تفسير قوله تعالى ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ..﴾ ١٢- ٢٠.....
- ٣٦١ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٦١ الرسول ﷺ ليس أول من كُذِبَ من الرسل
- ٣٦١ الأمر لرسول الله ﷺ بالصبر على ما يناله من الأذى
- ٣٦١ تهديد الله للمشركين
- ٣٦١ تقرير حماقة المشركين وسفاهتهم
- ٣٦١ وجوب الاقتداء بالسلف الصالح
- ٣٦١ فضل صلاة الضحى
- تفسير قوله تعالى ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا
- ٣٦٢ الْمِحْرَابَ..﴾ ٢١- ٢٥.....
- ٣٦٤ أحكام ومسائل الآيات
- تقرير قاعدة أساسية في الفصل بين الخصوم وهي أن
- ٣٦٤ يسمع كلام الخصوم كلهم قبل الحكم
- ٣٦٥ وجوب التوبة
- ٣٦٥ جواز القضاء في المسجد
- تفسير قوله تعالى ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ
- ٣٦٥ فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ..﴾ ٢٦.....
- ٣٦٦ أحكام ومسائل الآية
- ٣٦٦ وجوب العدل بين الناس
- ٣٦٦ تحريم اتباع الهوى
- ٣٦٧ لا يجوز للحاكم أن يحكم بعلمه
- ٣٦٧ الله توعده بالعذاب الذين يضلون عن سبيله

	تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
٣٦٧	بَطْلًا... ﴿٢٧-٢٩
٣٦٩	أحكام ومسائل الآيات
٣٦٩	تقرير كذب من زعم أن السماوات والأرض خلقت عبثا
٣٦٩	تقرير عقوبة الكفار المكذبين للبعث
٣٦٩	تقرير عدل الله في قضائه
٣٦٩	وجوب تدبر آيات الله
٣٦٩	تفسير قوله تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَنَ... ﴿٣٠-٣٣
٣٧٠	أحكام ومسائل الآيات
٣٧٠	تقرير أن الله يهب الولد الصالح لمن يشاء من عباده
٣٧١	إطلاق الخير على الخيل
	تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ
٣٧١	جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ... ﴿٣٤-٤٠
٣٧٣	أحكام ومسائل الآيات
٣٧٣	وجوب ذكر المشيئة عند الرغبة في إجراء عملٍ ما
٣٧٤	وجوب التوبة من كل خطيئة
٣٧٤	تقرير قدرة الله في تسخير المخلوقات
	تفسير قوله تعالى ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي
٣٧٤	مَسْنِي الشَّيْطَانُ بِضَبِّ وَعَذَابٍ... ﴿٤١-٤٤
٣٧٦	أحكام ومسائل الآيات
٣٧٦	تقرير ابتلاء الله لأحد عباده

- ٣٧٧ الكفارة تجب على من يحنث في يمينه
- تفسير قوله تعالى ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى
- ٣٧٧ الأَيْدَى وَالْأَبْصَارِ..﴾ ٤٨-٤٥
- ٣٧٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٧٨ وجوب القوة في الدين على بصيرة
- تفسير قوله تعالى ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ
- ٣٧٩ مَنَابٍ..﴾ ٥٤-٤٩
- ٣٨٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٨٠ وجوب تذكر يوم القيامة وأهوالها
- ٣٨٠ بيان ما أعد الله للمتقين في الجنة
- ٣٨٠ تفسير قوله تعالى ﴿هَذَا وَابِّ لِلطَّغِينِ لَشَرِّ مَنَابٍ..﴾ ٦٤-٥٥
- ٣٨٢ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٨٢ تقرير ما يستحق الطغاة والظلمة
- ٣٨٢ تقرير التخاصم بين أهل النار
- ٣٨٣ المشركون يتذكرون في النار ضعفة المسلمين
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنِّي إِلَّا اللَّهُ
- ٣٨٣ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ..﴾ ٧٠-٦٥
- ٣٨٥ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٨٥ الرسول ﷺ منذر لقومه وغيرهم من الأمم
- ٣٨٥ من دلائل نبوة رسول الله ﷺ ما أوحى إليه
- تفسير قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ

- ٣٨٥ طِين ﴿٧١-٨٥
- ٣٨٧ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٨٧ تقرير أن ادعاء إبليس فضل النار على الطين ادعاء باطل
- ٣٨٨ عدم سجود إبليس لآدم مصدره الحسد
- ٣٨٨ ذم الكبر والاستعلاء
- ٣٨٩ الشيطان لا يستطيع إغواء المؤمنين الأقوياء
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا
- ٣٨٩ مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ ٨٦-٨٨
- ٣٨٩ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٨٩ عدم جواز أخذ الأجرة على الدعوة إلى الله للأنبياء والرسل
- ٣٩٠ تحريم التكلف في القول
- ٣٩١ تفسير سورة الزمر
- تفسير قوله تعالى ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ
- ٣٩١ الْحَكِيمِ﴾ ١-٤
- ٣٩٢ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٩٢ الحكم بنزول القرآن على نبي الله ورسوله محمد ﷺ
- ٣٩٣ الحكم بوجوب توحيد الله وإخلاص العبادة له وحده
- ٣٩٣ الحكم بتحريم الشرك بأي صفة من صفاته الاعتقادية
- ٣٩٣ تقرير خسران المشركين بتقربهم إلى الله بعبادة الأصنام
- ٣٩٣ تفسير قوله تعالى ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ ٥-٦ ..

- أحكام ومسائل الآيتين ٣٩٥
- الحكم بأن الله هو الذي خلق الكون بكل ما فيه ٣٩٥
- تقرير قدرته - عز وجل - في تسلسل خلق الإنسان ٣٩٥
- العجب العجاب ممن يصرف عبادته لغير الله ٣٩٥
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾ .. ٧-٨ .. ٣٩٦
- أحكام ومسائل الآيتين ٣٩٧
- تقرير غنى الله عن خلقه ٣٩٧
- شكر العبد لله يرضيه عنه ٣٩٨
- تحديد مسئولية الإنسان في نفسه ٣٩٨
- تقرير سلوك بعض الإنسان وجحوده لنعم ربه ٣٩٨
- تفسير قوله تعالى ﴿أَمَنْ هُوَ قَنْتُ عَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ .. ٩ .. ٣٩٨
- أحكام ومسائل الآية ٣٩٩
- تقرير عدم المقارنة بين القانت لله وبين الكافر ٣٩٩
- الحكم بأن المؤمن القانت أفضل عند الله ٣٩٩
- تقرير عدم المماثلة بين العالم بأوامر الله ونواهيه وبين من لا يعلم ذلك ٣٩٩
- الفرق بين المتضادات لا يعلمه إلا أصحاب العقول ٣٩٩
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ يَعْبادُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ .. ١٠-١٢ .. ٣٩٩
- أحكام ومسائل الآيات ٤٠٠

- ٤٠٠ دعوة الله للمؤمنين أن يزدادوا تقوى على تقواهم
- ٤٠١ وجوب الهجرة من الأرض التي لا يقدر المسلم على أداء العبادة فيها
- ٤٠١ الحكم بأن الصابرين على تقوى الله والهجرة في سبيله يوفون أجورهم دون حساب
- ٤٠١ تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ... ﴾ ١٦-١٣
- ٤٠٢ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٠٢ الحكم بوجوب عبادة الله وحده وإخلاص الدين كله له
- ٤٠٢ تقرير أن الخاسرين هم الذين يخسرون أهلهم يوم القيامة ..
- ٤٠٢ تقرير حال أهل النار
- ٤٠٢ تفسير قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ... ﴾ ١٨-١٧
- ٤٠٣ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤٠٤ تقرير ثناء الله وبشراه للذين يجتنبون الطاغوت
- ٤٠٤ من صفات المبشرين
- ٤٠٤ تفسير قوله تعالى ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ... ﴾ ٢٠-١٩
- ٤٠٤ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤٠٥ تقرير أن من زاغ عن طريق الحق وأضله الله لا يقدر أحد على هدايته

- ٤٠٥ الحكم بأن وعد الله حق
- تفسير قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
- ٤٠٥ فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ .. ﴾ ٢١-٢٢
- ٤٠٦ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤٠٦ بيان عظمة الله وقدرته في إنزال الماء من السماء إلى الأرض ...
- تقرير أن القلب الذي ينشر بنور الإيمان يختلف عن
- ٤٠٧ القلب القاسي
- ٤٠٧ تفسير قوله تعالى ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ .. ﴾ ٢٣
- ٤٠٩ أحكام ومسائل الآية
- ٤٠٩ القرآن أحسن حديث
- ٤٠٩ المؤمنون هم الذين يخشعون لسمع كلام الله
- تفسير قوله تعالى ﴿ أَفَمَنْ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سَوْءَ الْعَذَابِ يَوْمَ
- ٤٠٩ الْقِيَمَةِ .. ﴾ ٢٤-٢٦
- ٤١٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٤١٠ تقرير عدم المماثلة في الجزاء يوم القيامة بين المؤمن والكافر ..
- تحذير المشركين في مكة أنه ما حل بالأمة قبلهم من
- ٤١١ العذاب قد يحل بهم
- أن الذل والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة ما كان
- ٤١١ ليصيب أقواما إلا بسبب عدم إيمانهم
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ
- ٤١١ كُلِّ مَثَلٍ .. ﴾ ٢٧-٣١

- ٤١٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٤١٣ تقرير فوائد ضرب الأمثال للناس لتقريب الأحكام لعقولهم ..
- ٤١٣ ضرب المثل للفرق بين الموحّد لله وبين المشرك
- ٤١٣ كل مخلوق في الدنيا سيذوق الموت
- ٤١٣ تقرير الاختصام بين الخلق يوم القيامة
- تفسير قوله تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ
- ٤١٤ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ ٣٢-٣٥
- ٤١٥ أحكام ومسائل الآيات
- ٤١٥ تحريم الكذب على الله وعلى رسوله
- ٤١٥ وجوب الصدق في القول والعمل
- ٤١٦ تفسير قوله تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ ٣٦-٤٠
- ٤١٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٤١٨ الحكم بأن الله كاف عبده
- ٤١٨ تقرير أن الأوثان والأصنام لا تنفع أحدا ولا تضره
- ٤١٨ تقرير أن الله - عز وجل - هو الهادي
- ٤١٨ تقرير اعتراف المشركين بربوبية الله
- ٤١٨ وجوب توكل العباد على الله في كل أمورهم
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ
- ٤١٩ بِالْحَقِّ﴾ ٤١
- ٤١٩ أحكام ومسائل الآية
- ٤١٩ الحكم بأن الله نزل كتابه الكريم بالحق

- ٤١٩ تعزية رسول الله ﷺ عما كان يجده من قومه
- ٤١٩ تقرير أن هداية الإنسان لنفسه وضلاله عليها
- ٤٢٠ تقرير أن رسول الله ﷺ مبلغ للناس لا وكيل عليهم
- تفسير قوله تعالى ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا...﴾ ٤٢
- ٤٢٠ أحكام ومسائل الآية
- ٤٢١ تقرير عظمة الله وقدرته في قبض الأرواح
- ٤٢١ تفسير قوله تعالى ﴿أَمْ آتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ...﴾ ٤٣-٤٥ ..
- ٤٢١ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٢٢ تقرير سفاهة المشركين وجهالتهم في عبادة الأصنام
- ٤٢٢ الحكم بأن الشفاعة لله وحده
- ٤٢٢ تقرير ضلال المشركين
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمٌ
- ٤٢٣ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ...﴾ ٤٦-٤٨
- ٤٢٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٢٤ وجوب اللجوء إلى الله عند اشتداد الكرب
- ٤٢٤ الحكم بأنه لا يقبل من أحد يوم القيامة فدية من العذاب
- تفسير قوله تعالى ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ
- ٤٢٥ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ...﴾ ٤٩-٥٢
- ٤٢٥ أحكام ومسائل الآيات

- ٤٢٧ تقرير سفاهة الكافر حين يلجأ إلى الله عند ضره
- ٤٢٧ تقرير أن الله ينعم على الكفرة والعصاة ابتلاء لهم
- ٤٢٧ إسباغ الله نعمته على العبد لا يدل على محبته له
- ٤٢٧ تقرير أن في آيات الله عبرا وعظات للمؤمنين
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ
- ٤٢٨ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةٍ.. ﴿٥٣-٥٩
- ٤٣٠ أحكام ومسائل الآيات
- تقرير البشرى للمذنبين أن الله يغفر جميع ذنوبهم إذا
- ٤٣٠ تابوا منها
- ٤٣١ النهي عن القنوط واليأس من رحمة الله
- ٤٣١ دعوة الله للعباد باتباع ما جاء من الأوامر والنواهي
- ٤٣١ فساد مذهب الجبرية
- تفسير قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ
- ٤٣٢ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ.. ﴿١٠-١١
- ٤٣٣ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤٣٣ تقرير سواد وجوه الكافرين يوم القيامة
- ٤٣٣ الحكم بأن الله ينجي المتقين من عباده
- تفسير قوله تعالى ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
- ٤٣٣ وَكِيلٌ.. ﴿١٢-١٤
- ٤٣٤ أحكام ومسائل الآيات

- ٤٣٤ الحكم بأن كل شيء في الكون بيد الله
- ٤٣٤ الكفار يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة
- تقرير جهل المشركين وسفاهتهم في دعوتهم رسول الله
- ٤٣٤ إلى عبادة أصنامهم
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ
- ٤٣٥ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ...﴾ ١٥-١١
- ٤٣٥ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤٣٥ تقرير أن الشرك محبط للأعمال
- ٤٣٥ وجوب عبادة الله وطاعته وحده
- تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا
- ٤٣٦ قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ...﴾ ١٧ ...
- ٤٣٦ أحكام ومسائل الآية
- ٤٣٦ الحكم بعظمة الله وقدرته المطلقة
- تفسير قوله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
- ٤٣٧ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ...﴾ ١٨-٧٠
- ٤٣٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٣٨ تقرير النفخ في الصور
- ٤٣٨ تقرير النفخة الأخرى للقيام لله رب العالمين
- ٤٣٩ تقرير أحوال ذلك اليوم الذي يتجلى فيه رب العالمين
- ٤٣٩ الحكم بأن الله يقضي بين خلقه بالعدل

تفسير قوله تعالى ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ

زُمرًا... ﴿٧١-٧٢ ٤٣٩

أحكام ومسائل الآيتين ٤٤٠

تقرير حال الكافرين يوم القيامة ٤٤٠

إقرار الكافرين بما جاءتهم به رسلهم من البراهين ولكن

الشقاوة غلبت عليهم بسبب إصرارهم على معاداة الحق ٤٤٠

تقرير سوء عاقبة الاستكبار عن طاعة الله ٤٤٠

تفسير قوله تعالى ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ

زُمرًا... ﴿٧٣-٧٤ ٤٤١

أحكام ومسائل الآيتين ٤٤٢

تقرير حال المتقين يوم القيامة وما يلاقونه من ربهم

من العزة والكرامة ٤٤٢

تفسير قوله تعالى ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِن حَوْلِ الْعَرْشِ

يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ... ﴿٧٥ ٤٤٢

أحكام ومسائل الآية ٤٤٢

تقرير أن الملائكة يحدقون في يوم الحساب بعرش ربهم

يسبحونه ويقدمونه ٤٤٢

تقرير أن الله يقضي بالحق بين عباده ٤٤٢

تقرير أنه بعد نهاية الحساب يقول كل من في الكون:

(الحمد لله رب العالمين) ٤٤٢

